



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم

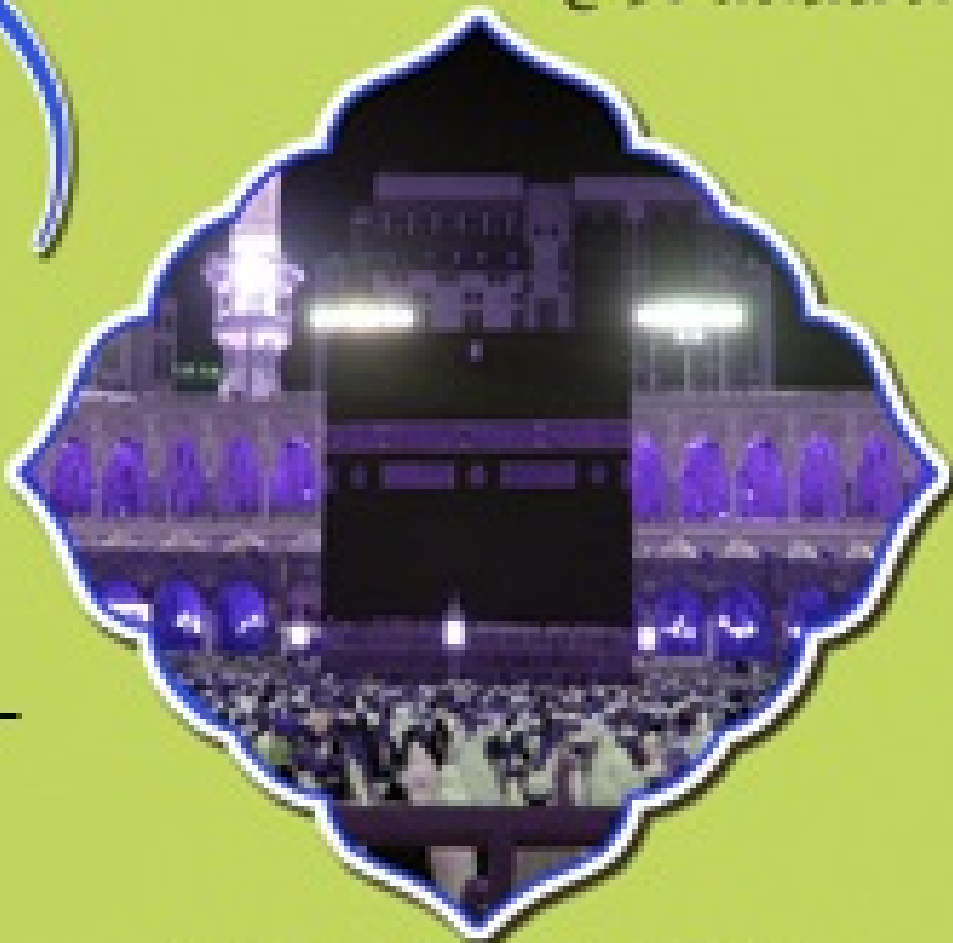


عمران
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مِيقَاتُ الْحَجِّ

تجهيزات مكتوبة فني والشؤون الثقافية
والشؤون المكتبة والإستراتيجية والأحياء المكتبة والسحج



٩

- « الحج ، رموز وجماليات (٤٣) « حج أهل التربة ... »
- « كفاية المحتاج إلى مناسك الحج « سلمان الفارسي «
- « التصرف المعجز عن بلاد الاستطاعة «
- « موضح مقام إبراهيم «
- « لغة الجدل في الحج (٦٦) « الحج مائدة مباركة ... »
- « مكة وأسماؤها وما ترمز إليه في اللغات السامية «

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دو فصلنامه « ميقات الحج »

کاتب:

محمدي ري شهري

نشرت في الطبعه:

مشعر

رقمي الناشر:

مركز القائميہ باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٦	ميقات الحج المجلد ٩
٦	اشارة
٦	كلمة التحرير
١٢	الحج في احاديث الامام الخميني قدس سره
١٤	الحج في احاديث الامام الخامنئي
١٦	مناسك الحج، للمحقق الكركي
٥٠	من معالم الحج والزيارة يللم
٧٩	شروط حج المرأة في بحث فقهي مقارن
١٠٥	تحول القبلة ومسجد القبلتين
١٣٣	أم المؤمنين خديجة
١٥٥	رحلة رجل من البلاط القاجاري
١٨٣	شعر الحج
١٨٧	مهمات مشبوهة في الديار المقدسة (٢)
٢٠٣	من الآيات البينات: مقام إبراهيم عليه السلام
٢١٨	لقاء وحوار
٢٥٢	الحلة الخراسانية تكسى الكعبة الشريفة
٢٦٤	الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية
٢٨٢	معجم ما كتب في الحج والزيارة ... (٦)
٣٢٥	تعريف مركز

میقات الحج المجلد ۹

اشاره

عنوان و نام پدیدآور : میقات الحج [بیابند: مجله]
 مشخصات نشر : تهران: منظمه الحج و الزياره، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -
 فاصله انتشار : شش ماه يكبار

یادداشت : عربی

فهرست نویسی براساس سال ۳ شماره ۵ سال ۱۴۱۷ق.

یادداشت : این نشریه در بیروت نیز منتشر می شود

یادداشت : مدیرالمسؤول: محمد محمدی ری شهری

رئیس التحریر: علی قاضی عسکر

یادداشت : کتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشریات ادواری

شناسه افزوده : محمدی ری شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدیر مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسکر، سیدعلی، ۱۳۲۵، - سردیر

شناسه افزوده : سازمان حج و زیارت

رده بندی کنگره : BP۱۸۸/۸

رده بندی ... : ۲۹۷/۳۵۷۰۵

ص: ۱

کلمه التحریر

ص: ٥

العدد التاسع

كلمة التحرير

قضت «ميقاتُ الحج» أربعَ سنواتٍ من عمرها، وهي تشقُّ طريقَها بتواضع، وترسيخ أقدامها بثبات، وتمدُّ جذورها بعيداً في عالم الثقافة والمعرفة والفكر ... كلُّ هدفها رضا الله تعالى، وخدمته الحرمين الشريفين، والبقاع الأخرى المقدسة في مكَّه والمدينَه، مهدي الرسالة السماوية الخالدة؛ ولتفتح باباً يردُّ منه كلُّ المهتمين بشؤون الحج - الفريضة الإلهية المباركة، ورمز وحدة المسلمين وعنوان قوتهم - وكلُّ الذين لديهم ما يريدون قوله أو كتابته عن الحجاز تاريخاً وحضارةً وتقاليدَ ومواقع وآثاراً وشخصيات ... منذ نبى الله إبراهيم عليه السلام وهو يترك أهله بوادٍ غير ذى زرع وهو يودّع وجوده عند بيتك المحرّم وهو يرفع القواعد من البيت وهو يؤذّن في الناس بالحج ... إلى عصر الإسلام الأول، حيث محمد بن عبد الله يضمّه غار حراء، وحيث انبثاق أعظم رسالة

ص: ٦

عرفتها البشرية، وأوحتها السماء، رحمةً للعالمين، من بين صخور جبل النور، وحيث الصرخة الكبرى إنّ الله برىء من المشركين ورسوله .. ومروراً بعصور الإسلام المتعاقبة، ثم عصرنا المملوء بالأحداث والتساؤلات على كل المستويات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. وأيضاً العقائدية والفقهيّة، التي باتت هي الأخرى تشكّل علاجاً، ومأوى يلجأ إليه كلُّ المتحيرين؛ لمعرفة رأى السماء فيما يدور حولهم، ويستحدث من مشاكل ومعضلات، خاصةً فيما يتعلّق بأداء هذه الفريضة المقدّسة ...

إنّ «ميقات الحج»- التي ولدت وشبّت وترعرعت في قم المقدّسة، حيث الحوزة العلميّة الشامخة، وحيث الجامعات والمؤسسات العلميّة والثقافية المنبثّة هنا وهناك في الجمهوريّة الإسلاميّة- تأمل من ساداتها العلماء والمفكرين والكتّاب والأدباء في هذه البلاد وفي البلدان الأخرى أن يرفدوها بما يقوّم وجودها من عطائهم الثر، وأن يوردوها من منهلهم العذب، وأن ينعموا عليها من فكرهم الثاقب، وأن يسدّدوها بنقدهم البناء، وهي المفتقرة دائماً إلى عطائهم وإلى تسديدهم، والمنتظرة إرشادهم؛ لهذا ولغيره تتمنى أن لا تحرم من موائدهم المليئة بكلّ ألوان المعرفة فقهياً وفلسفياً وتاريخياً .. لتلتقط كلّ ما حوته تلك الموائد- فهي لا تحوى إلّا الجميل- ولتضعه بدورها بين يدي قرائها ومحبيها داخل إيران وخارجها، ولا سيما بعد أن راحت تجد نفسها إلى جوار مجلات أخرى من شتى البلدان، وفي أماكن متعددة من العالم، ونالت نصيبها من أوقات الكثيرين من المحقّقين والباحثين، ومن آرائهم وثنائهم، والأستاذ حمد الجاسر من الرياض في المملكة العربيّة السعوديّة، كان واحداً منهم. فقد تلقت مجلّتنا منه رسالتين مفصّلتين بعث بهما إلى رئيس تحريرها حجة الإسلام والمسلمين السيد علي قاضي عسكري، ومما جاء

ص: ٧

فيهما:

«... ثم بما أكرمني من مجلته هي والحق يقال من خير المجالات المعنية بشؤون الحج...»
«... وأكرمت إكرامك لي بما أتحتني به من تحف لطيفة، كان من أجلها وأعمقها أثراً في نفسي أربعة الأجزاء الأولى من مجلته «مقات الحج» هذه المجلة الرصينة، التي تحوى أبحاثاً ممتعة في موضوعها، وكنت أتمنى أن تمكنني صحتي وقوة بصري من الاستفادة من تلك الأبحاث القيمة جميعها...»
ولا تنسى الهيئة العلمية لتحرير هذه المجلة أن تقدم عظيم شكرها وخالص امتنانها لكل الأخوة والأصدقاء، الذين ساهموا مساهمة جلية في إثرائها كتابةً وقراءةً ونقداً..
مما شجعنا على الاستمرار في إصدارها طيلة هذه السنوات، آمليين أن تكون عند حسن ظن الجميع، فإن وفقنا لذلك فالخير أصبنا، وإلا فكل حسبنا أننا بذلنا جهدنا وحاولنا، سائلين الله أن يتقبل منا ومنكم إنه سميع الدعاء.

الحج في احاديث الامام الخميني قدس سره

ص: ٨

الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره

على الحجاج والزوار الأعزاء أن يتوجهوا من الكعبة، وهي أفضل وأقدس بقاع الحبّ والجهاد، نحو كعبة أسمى؛ كما هو سيد الشهداء الإمام «أبي عبدالله الحسين عليه السلام» حيث توجه من إجماع الحجّ إلى إجماع الجهاد، ومن طواف الكعبة إلى طواف صاحب البيت، ومن الوضوء بزمن إلى غسل الشهادة، وبهذا تبدّل الأُمَّة إلى أمّة ذات بنية مرصوص لا تعرف الهزيمة. ولن تجرأ لا القوى الشرقية ولا الغربية على مواجهتها.

ولا شك في أنّ روح الحج ونداءه، لا يمكن أن يكون غير هذا، حيث أن المسلمين يستلهمون من الحج الدستور العلمي للجهاد ضد النفس والهوى، والنهج لمقارعة الكفر والشرك.

على أية حال، إنّ إعلان البراءة في الحج تجديد لميثاق النضال، وهو تمرين لإعداد صفوف المجاهدين، ومواصلة الصراع ضد الكفر والشرك وعبدة الأوثان.

كما وأنّه لا ينحصر برفع الشعارات، بل إنه منطلق علني لإعلان النضال،

ص: ٩

وتنظيم صفوف جنود الله في مواجهة جنود إبليس والمتأسين بإبليس. لهذا فالحج من مبادئ التوحيد الأولى.

إذا لم يعلن المسلمون براءتهم من أعداء الله، في بيت الله، فأين إذن يعلنون عن ذلك؟

وإذا لم يكن الحرم والكعبة والمسجد والمحراب، معقلًا وسندًا لجنود الله، وللمدافعين عن الحرم والأنبياء، فأين إذن يكمن مأمنهم وملجأهم؟

وبكلمة واحدة، إن إعلان البراءة يمثل المرحلة الأولى للنضال، وأن مواصلة المراحل الأخرى هي من واجبنا، وأن أداءها في كل عصر وزمان، يختلف باختلاف الأساليب والبرامج الخاصة بذلك العصر والزمان، ولا بد من أن نرى ما الذي تتمكن من عمله في عصر كعصرنا، الذي عرّض فيه زعماء الكفر والشرك كل وجود التوحيد للخطر، وجعلوا من المظاهر القومية، والثقافية، والدينية والسياسية للشعوب ألعوبة لتلبية أهوائهم وشهواتهم الخاصة؟!

هل ينبغي ملازمة البيوت، والاكتفاء بالتحليلات، وبالتالي، إلقاء روح العجز والخنوع في قلوب المسلمين، والحيلولة دون وصول المجتمع إلى الإخلاص، الذي هو غاية الكمال ونهاية الآمال؟!

الحج في احاديث الامام الفامنئ

ص: ١٠

الحج في احاديث الامام الخامنئي

- مد ظله العالى -

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير سيدنا ابي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى الخيرة من اصحابه المنتجبين.

حل موسم الحج وهو يحمل بشائر اكبر لقاء سنوي للمسلمين، وجدير بقلوب آلاف المشتاقين - الذين نالوا فيض اللقاء في هذا الموسم - ان تخفق وتتفض لإعداد نفسها، وجدير بالملايين من المسلمين الراجين - الذين لم يدرجوا هذا العام في قائمة النائلين لهذا الفضل - ان يملأوا قلوبهم وأذهانهم بشذى وعبير استذكار كل لحظات أيام السعداء ويدعوا لهم ولأنفسهم، ليعيش كل المسلمين العارفين خلال أيام الحج - مع الحج وشعائره وآيات جلاله وجماله.

فريضة الحج كل عام تشكل حادثة كبرى من حقها ان تستقطب - فى تلك الأيام المعلومات - الأفكار والاهتمامات والعقول والمشاعر فى جميع أرجاء العالم الإسلامى، وأن يعيش المسلمون معها، ويفكروا فيها كل بحسب موقعه الروحى

ص: ١١

والفكرى والسياسى، ومن الطبيعى أن الذين نالوا فيض الحج يحتلون مركز هذا التكليف والتوقع. وإذا كانت أبدانهم وأرواحهم وأفكارهم ومساعيهم ممزوجة بالحج وبركاته وآثاره، فالأجدر أن يحصلوا على أكثر ما يمكن من العطاء المعنوى والروحى والفردى والاجتماعى لهذه الفريضة، وسيحصلون بإذن الله على ذلك.

بركات الحج وإن كانت تستوعب كل جوانب الحياة البشرية، ويعم مطر رحمتها جميع المجالات ابتداءً من خلوة القلب والفكر، ومروراً بساحات السياسة والاجتماع وعزّة المسلمين وتعاون الشعوب المسلمة، فثراها وتحيتها وتبث فيها نشاط الحياة.. ولكن قد يمكن القول: إن مفتاح كل هذا هو «المعرفة»، وأولى هدايا الحج - لمن أراد أن يبصر الحقيقة ويستثمر ما ألهمه الله من قدرة على فهم «الظواهر» - هي المعرفة المتكاملة، التى ينفرد بها الحج، ولا يحصل عليها المسلمون عادةً إلا من هذه الفريضة، ولا تستطيع أية ظاهرة دينية أخرى أن تقدم للأمة الإسلامية تلك المنظومة الكاملة من المعارف كما يقدمها الحج، ومن هذه المنظومة المتكاملة من المعارف:

معرفة الذات على الصعيد الفردى، ومعرفة الذات على صعيد الانتماء للأمة الإسلامية العظمى، ومعرفة النموذج الموجود فى الحج من تلك الأمة الواحدة، ومعرفة عظمة الله ورحمته، ومعرفة العدو..

مناسك الحج، للمحقق الكركي

ص: ١٢

مناسك الحج، للمحقق الكركي

ت «٩٤٠» ه. ق.

تحقيق: فارس حسن كريم، ابو الحسن المطلبي

ترجمة المؤلف (١) اسمه:

هو الشيخ الجليل نور الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد العالی.

ألقابه:

العالمی، الفقيه، الكرکی، العلانی، المحقق الثاني.

مولده:

ولد الشيخ في مدينة كركك نوح (٢) سنة «٨٦٨» ه.

قبس من سيرته:

قصد الشيخ بلاد العراق فوصل النجف الأشرف حوالي سنة «٩٠٩» ه، وهناك نهل علومه حتى بزغ نجمه واشتهر في الآفاق.

وحيثما ظهرت الدولة الصفوية في إيران- بعد فترة مريرة لاقى فيها الشيعة شتى أنواع الاضطهاد- احتاجت في أول أمرها إلى فقهاء يعلمون الناس أمور دينهم، ويشغلون المراكز التي من خلالها تدار شؤون الناس.

وكان الشيخ رحمه الله على رأس المهاجرين إلى إيران إضافة إلى عدده من علماء جبل عامل- حيث كانت تعج

- ١- ١ تجد ترجمته في نقد الرجال: ٢٣٨ رقم ١٥٠، أمل الآمل: ١ / ١٢١ رقم ١٢٩، رياض العلماء: ٣ / ٤٤١-٤٦٠، لؤلؤة البحرين: ١٥١-١٥٤ رقم ٦٢، روضات الجنات: ٤ / ٣٦٠ رقم ٤١٤، مستدرک الوسائل: ٣ / ٤٣١ «الطبعة الحجرية»، الفوائد الرضوية: ٣٠٣-٣٠٦، طبقات أعلام الشيعة- القرن العاشر-: ١٦٠، أعيان الشيعة: ٨ / ٢٠٨-٢١٣، تاريخ كركك نوح: ٨٨-٩٢، وغيرها.
- ٢- ٢ كركك نوح: أي مدينة نوح، أو حصن نوح؛ وقيل: كركك لفظه سريانية «كركو» بمعنى حصن أو معقل، وورد أيضاً بالعبرية «كركونوه» مدينة السلام، وضبطها العرب بفتح الكاف وسكون الراء، بمعنى الجبل تمييزاً لها عن كركك الأردن بفتح الراء. وروى سبط ابن الجوزي المتوفى «٦٥٤» ه قال: ببلد بعلبك في البقاع قرية يقال لها: الكركك فيها قبر يقال إنه قبر نوح. «تاريخ كركك نوح: ٩-١٠».

ص: ١٣

بالعلماء آنذاك- فولاه الشاه إسماعيل منصب شيخ الإسلام في اصفهان، ولما تولّى الشاه طهماسب سنة «٩٣٠هـ» منح الشيخ لقب نائب الإمام عليه السلام.

فكان الشيخ يكتب إلى جميع البلدان كتباً بدستور العمل في الخارج، وما ينبغي تدبيره في شؤون الرعيّة. فهو رحمه الله يعدّ مؤسّس النهضة الشيعيّة في إيران، ومجدّد المذهب، وواضع الأسس الشرعيّة الدستوريّة لدولة الصفويين. والشيخ رحمه الله مع ما كان له من الجاه والنفوذ في إيران تركها راجعاً إلى العراق لأسباب قاهرة. شيوخه:

حضر الشيخ دروس كثير من علماء عصره، منهم: الشيخ محمد بن خاتون العاملي، زين الدين علي بن هلال الجزائري، الشيخ أحمد بن الحاج علي العاملي العينائي، زين الدين جعفر بن حسام العاملي. تلامذته:

لقد ربّى الشيخ أكثر من أربعمئة مجتهد، منهم: الشيخ علي بن عبد العالي الميسي، الشيخ زين الدين الفقعاني، الشيخ أحمد بن محمد بن أبي جامع، الشيخ أحمد ابن محمد بن خاتون العاملي. مؤلّقاته:

ترك رحمه الله العديد من المؤلّفات القيّمة، منها: جامع المقاصد، الرسالة الجعفريّة، الرسالة الخراجيّة، الرسالة الرضاويّة، رسالة الجمعة، حواشي مختلف الشيعة، مناسك الحجّ- الرسالة التي بين يديك- وغيرها. وفاته:

اختلف في تحديد سنة وفاته رحمه الله؛ فقد قيل: سنة «٩٣٧هـ»؛ وقيل: سنة «٩٣٨هـ»؛ وقيل: سنة «٩٤٠هـ»- وهو الموافق لما ذكر من تاريخ وفاته بحساب الجمل، وهو جملة «مقتداي شيعة»-؛ وقيل: توفي سنة «٩٤٥هـ». وقد قيل: أنه مات شهيداً مسموماً، وقد قاله الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي «والد الشيخ البهائي». التعريف بالكتاب:

الكتاب الذي بين يديك- عزيزي القارئ- مختصر في مناسك الحجّ، فتاوي، مع زيارة النبي صلى الله عليه وآله، وأعمال

ص: ١٤

المدينة المنورة.

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني (١):

شرحه تلميذ المصنف الشيخ شرف الدين اليزدي، وسمى الشرح ب «هدية الناج».

النسخ المعتمدة ومنهجية التحقيق:

١- النسخة الخطية المحفوظة في خزانه مخطوطات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قدس سره في قم المقدسه، ذكرت في فهرس المكتبة: ١٣ / ١٣٢ مجموعة رقم ٤٩٣٣، وكتابنا هو الكتاب الثاني عشر في هذه المجموعة ص ١٣٣-١٤٣، كتبت النسخة بخط النسخ، ذات عناوين بارزة، عدد سطور صفحاتها مختلف بقياس ١٨ / ٥ * ١٣ سم، ناسخها حسين بن عبد الرحيم الرستمداري سنة «٩٦٤» هـ بالمشهد الرضوي.

ورمزنا لها بحرف «ك».

٢- النسخة الخطية المحفوظة في نفس المكتبة المذكورة، ذكرت في فهرس المكتبة: ٨٧ / ٩ مجموعة رقم ٣٣٠٧، وكتابنا هو الكتاب الثاني في هذه المجموعة ص ٩-٢٧، كتبت النسخة بقياس ١٥ * ١٢ سم وبخط النسخ، ذات عناوين بارزة، احتوت كل صفحة ١١ سطراً، على النسخة تعليقات الشيخ علي بن محمد بن حسن ابن زين الدين الجبعي العاملي - صاحب كتاب الدر المنثور من المأثور وغير المأثور المولود سنة «١٠١٤» هـ، والمتوفى سنة «١١٠٣» هـ، ناسخها محمد ابن حسن بن أحمد بن فرج في رمضان المبارك سنة «٩٤٦» هـ.

ورمزنا لها بحرف «ش».

والغريب أن هذه النسخة ذكرت في فهرس المكتبة المذكورة تحت عنوان «مناسك الحج الصغير» تأليف الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي، كما فعل ذلك من قبل الشيخ آقا بزرك الطهراني حيث ذكر مثل هذا في الذريعة: ٢٢ / ٢٦٣ رقم ٦٩٨٥ مضيفاً: والنسخة في مجموعة رسائله عند الميرزا محمد الطهراني، وفي كتب الحاج ميرزا علي الشهرستاني.

ومما قوی أن تكون المناسك هذه من تأليفات المحقق الكركي هو أن الشيخ علي بن محمد الجبعي العاملي

ص: ١٥

كتب في إحدى تعليقاته على النسخة (١) وتعقيباً لعبارة المصنّف: «ومن ليس على رأسه شعر يجرئه إمرار الموس على رأسه» قائلاً: استحباباً، وينبغي أن لا يجزيه عن التقصير، قاله المصنّف في حاشية الإرشاد. انتهى.

وبما أن الشهيد الثاني قد تناول «إرشاد الأذهان» بالشرح ثلاث مرّات، وكالتالي:

١- «روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان» فرغ فيه من تأليف كتابي الطهارة والصلاة.

٢- حاشية على عقود الإرشاد (٢) ويبدو أنّها فقدت مع آثار آخر للشهيد.

٣- حاشية الإرشاد وقد طبعت أخيراً مع غاية المراد للشهيد الأوّل بتحقيق الشيخ الفاضل رضا المختارى.

ومن خلال الرجوع إلى هذه الحاشية الكاملة نجد أنّ عبارة الشهيد في الحاشية هكذا: ويجب عليه مع ذلك التقصير مع إمكانه، لأنّه بدل اختيارى والامرار بدل اضطرارى فلا يجزئ عنه (٣). وهو ما يختلف مع ما ذكره الشيخ على العاملى.

ولم تيسر لدينا حاشية الإرشاد المسماة «تعلق الإرشاد» للمحقّق الثّانى كى نطابق العبارة المشار إليها، واللّه أعلم بحقيقة الحال.

٣- النسخة الخطيّة المحفوظة فى المكتبة الرضويّة فى مشهد المقدّسه تحت الرقم ٢٦٤١، كتبت بخطّ النسخ فى ١٣ صفحة بقياس ٢١*١٥ سم، على النسخة شروح وتعليقات، والنسخة غير كاملة أشرنا لموضع انتهائها فى متن الكتاب.

ورمزنا لها بحرف «ر».

وكتنا فى بداية عملنا أن قابلنا النسخ مع بعضها، ولفقنا نصّاً متقناً- قدر الإمكان- وأشرنا إلى مواضع الاختلاف بين النسخ، وما أثبتناه من إحداها جعلناه بين [] وأشرنا إلى نسخته.

والحمد لله ربّ العالمين

١- ١ لاحظته فى ص ٣٦ هامش ٣.

٢- ٢ الدرّ المنثور: ١٨٦/٢.

٣- ٣ حاشية الإرشاد- المطبوع مع غاية المراد- ج ١ ص ٤٥١.

ص: ١٦

صفحة فارغة للمخطوطة

ص: ١٧

صفحة فارغة للمخطوطة ٢

ص: ١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

[وبه نستعين] (١)

الحمد لله على سوايح نعمه الغزار، والصلاة [والسلام] (٢) على نبيه محمد وآله الأطهار.

وبعد:

فهذه جملة [كافلة] (٣) تشتمل على ما لا بد منه (٤) فى بيان مناسك حج بيت الله الحرام، وزيارة رسوله وآله عليه وعليهم السلام، وضعتها على سبيل الاختصار، بالتماس خلاصة بعض الاخوان الأخيار، نفعه الله وإيانا بها،

١-١ من «ش».

٢-٢ من «ش، ك».

٣-٣ من «ر».

٤-٤ فى «ش، ر»: من.

ص: ١٩

وأجزل لنا جميعاً ثوابها، إنه ولئى ذلك، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وهى موضوعه على مقدمه وفصلين (١):

أما المقدمه

فالحج لغة: القصد المتكرر.

وشرعاً: القصد إلى مكة ومشاعرها لأداء المناسك المخصوصه (٢).

وهو أولى من جعله اسماً لجميع المناسك المؤداة فى الميقات ومكة ومشاعرها [لا] (٣) لأن التخصيص خير من النقل، لأن ذلك حيث

لم يثبت النقل، بل لأن النقل بمناسبه (٤) أولى، وعلى الأول فتبين معنى الحج شرعاً ولغة مناسبة العموم والخصوص، بخلاف الثانى.

ثم إن جعله للمناسك يقتضى كون التعريف لفظياً لا صناعياً.

ووجوبه فى العمر مرة بالنص والاجماع، وهو على الفور، حتى إن تأخيره كبيرة موبقه (٥)، وثوابه عظيم، فإنه جمع بين كثير من

العبادات مع ما فيه من المشاق العظيمة والأخطار الجسيمة.

وأخبار فضله وما يترتب عليه من المغفرة، ومضاعفة الحسنات، ومحو السيئات، ورفع الدرجات، بطريق أهل البيت - عليهم أطائب

الصلوات - كثيرة لا تكاد تحصى.

وشرط وجوبه: البلوغ، والعقل، والاستطاعة التى هى الزاد (٦) والزاحله فى المفتقر إلى قطع المسافه، والتمكن من الركوب والمسير،

ووجود المحرم فى المرأة مع الحاجة لا مطلقاً، ونفقته وما يتبعها حينئذ، ونفقته واجب النفقة ذهاباً وعوداً.

ويشترط فى صحته الإسلام، فلا يقع على الكافر ولا عنه (٧)، ولمباشرة أفعاله التمييز، فلا يقع من غير المميز استقلالاً، بل بفعل الولى.

وأنواعه ثلاثة: تمتع، وقران، وإفراد (٨).

فالتمتع فرض من نأى عن مكة بثمانيه وأربعين ميلاً من كل جانب (٩)، وأفعاله الواجبه مرتبه خمسه وعشرون:

التيه (١٠)، والإحرام بالعمرة، والتلبيه، ولبس ثوبى الإحرام، والطواف،

١- ١ فى «ر»: وفصول.

٢- ٢ أى فى أماكن العبادة المخصوصه؛ كالطواف فى الحرم، والسعى بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفات، و....

٣- ٣ من «ش، ر».

٤- ٤ فى «ش، ك»: لمناسبه.

٥- ٥ من «ش، ك». والموبقه: هى المهلكه، وهى كناية عن شدة عذابها فى الآخرة أو المؤاخذه عليها فى الدنيا، فيصير مؤخر الحج بمنزلة الهالك. «مسالك الأفهام: ٢/ ١٢٢». والأدله عليه من الكتاب والسنة كثيرة؛ انظر: سورة آل عمران: ٩٧، والوسائل: ٣/ ٨ أبواب

الحج وشرائطه.

٦- ٦ المراد بالزاد: قدر الكفايه من القوت والمشروب، ذهاباً وعوداً.

٧- ٧ والكافر يجب عليه الحج ولا يصح منه. «شرائع الإسلام: ١/ ٢٢٨».

٨- ٨ ووجه التسميه: أمياً فى الإفراء؛ فلانفصاله عن العمرة، وعدم ارتباطه بها. وأما القران؛ فلاقتران الإحرام بسياق الهدى. «مدارك

الأفهام: ٧/ ١٥٥».

٩-٩ يؤيده صحيفة زرارة عن الباقر عليه السلام. انظر: التهذيب: ٣٣ / ٥ ح ٩٨، الاستبصار: ١٥٧ / ٢ ح ٥١٦، الوسائل: ١٨ / ٨ ب ١ ح ٣.

١٠-١٠ في خ ل «ش»: وهو التية.

ص: ٢٠

ورَكَعَتَاهُ، وَالسَّعْيَ، وَالتَّقْصِيرَ، وَالتَّيَةَ، وَالْإِحْرَامَ بِالْحَجِّ، وَالتَّلْبِيَةَ، وَلُبْسَ الثَّوْبَيْنِ، وَالْوُقُوفَ بِعَرَفَةَ، وَالْمَبِيتَ بِالْمَشْعَرِ، وَالْكَوْنَ بِهِ، وَرَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ (١)، وَالذَّبْحَ، وَالْحَلْقَ أَوْ التَّقْصِيرَ، وَطَوَافَ الْحَجِّ، وَرَكَعَتَاهُ، وَالسَّعْيَ وَطَوَافَ النِّسَاءِ (٢)، وَرَكَعَتَاهُ، وَالْمَبِيتَ بِمِنَى لِيَالِي التَّشْرِيقِ، وَرَمَى الْجَمْرَاتِ الثَّلَاثِ.

وَالْأَرْكَانُ ثَلَاثَةٌ عَشْرَ: التَّيَةُ، وَالْإِحْرَامَ بِالْعُمْرَةِ، وَالتَّلْبِيَةَ، وَطَوَافَهَا (٣)، وَسَعِيهَا، وَالتَّيَةَ، وَالْإِحْرَامَ بِالْحَجِّ، وَالتَّلْبِيَةَ، وَالْوُقُوفَ بِعَرَفَةَ، وَالْكَوْنَ بِالْمَشْعَرِ، وَطَوَافَ الْحَجِّ، وَسَعِيهِ، وَالتَّرْتِيبَ.

وَالْمُرَادُ بِالرُّكْنِ هُنَا: مَا يَبْطُلُ الْحَجَّ بِالْإِحْلَالِ بِهِ عَمْدًا لَا سَهْوًا، فَيَتَحَقَّقُ الْبَطْلَانُ بِفَوَاتِ شَيْءٍ مِمَّا عَدَّ رَكْنًا (٤) عَمْدًا خَاصَّةً، وَلَوْ كَانَ الْفَائِتُ الْمَوْقِفِينَ بَطْلًا مُطْلَقًا، وَلَا تَبْطُلُ بَاقِي (٥) الْأَفْعَالُ وَإِنْ كَانَ عَمْدًا.

وَأَفْعَالُ الْقِرَانِ وَالْإِفْرَادِ هَذِهِ، إِلَّا أَنَّ الْعُمْرَةَ فِيهِمَا (٦) مُتَأَخَّرَةٌ، وَيَزَادُ فِيهَا طَوَافُ النِّسَاءِ وَرَكَعَتَاهُ بَعْدَ الْحَلْقِ أَوْ التَّقْصِيرِ، وَكَذَا فِي كُلِّ عُمْرَةٍ مُفْرَدَةً.

الفصل الأول: في [أفعال] عُمْرَةِ التَّمَتُّعِ (٧) وفيه مباحث:

الأول: الإحرام.

وَمَعْنَاهُ كَفُّ النَّفْسِ عَنْ أُمُورٍ مَخْصُوصَةٍ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ بِالْمَحَلِّ مِنَ الْأَفْعَالِ. فَفِي عُمْرَةِ التَّمَتُّعِ إِلَى التَّقْصِيرِ، وَفِي غَيْرِهَا آخِرُهُ طَوَافُ (٨) النِّسَاءِ مَعَ التَّيَةِ، وَصِفَتُهَا فِي الْعُمْرَةِ الْمُتَمَتُّعِ بِهَا (٩) إِلَى حَيْجِ الْإِسْلَامِ حَيْجِ التَّمَتُّعِ، وَالتَّبِيَّاتِ الْأَرْبَعِ لِعَقْدِ هَذَا الْإِحْرَامِ، لَوْجُوبِ الْجَمِيعِ قَرْبَةً إِلَى اللَّهِ، مَقَارِنًا بِهَا أَوَّلَ التَّلْبِيَةِ.

وَلَمَّا كَانَ الْقَصْدُ إِلَى الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ الَّتِي هِيَ مَوْقُوفًا عَلَى فَهْمِهَا احْتِيَجَ إِلَى كَشْفِ مَا لَا بَدَّ [منه] (١٠) مِنْ بَيَانِ الْمُرَادِ مِنْهَا فِيهَا. فَالْعُمْرَةُ لُغَةً: الزِيَارَةُ، وَشَرْعًا:

زِيَارَةُ الْبَيْتِ لِأَدَاءِ الْمُنَاسِكِ الْمَخْصُوصَةِ عِنْدَهُ (١١).

وَالْمَتَمَتُّعُ بِهَا اسْمُ مَفْعُولٍ مِنَ التَّمَتُّعِ وَهُوَ التَّلَذُّذُ وَالانْتِفَاعُ، وَإِنَّمَا اخْتُصَّتْ بِهَذَا الْاسْمِ لِمَا يَتَخَلَّلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَيْجِ مِنَ الْإِحْلَالِ، مِمَّا وَقَعَ الْإِحْرَامَ مِنْهُ

١- ١ وهي تلي مكة، ولا تُرمى يوم النحر إلهي.

٢- ٢ لِيَجِلَّ لَهُ بِهِ، الْبَاقِي مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ إِتْيَانُ النِّسَاءِ.

٣- ٣ أي طواف العمرة. حاشية «ش».

٤- ٤ كذا في «ش، ر»، وفي «ك»: لفوات شيء عد ركنًا.

٥- ٥ في خ ل «ش»: بياقي.

٦- ٦ في «ك، ر»: فيها.

٧- ٧ من «ش، ر».

٨- ٨ في «ك»: إلى طواف.

٩- ٩ أي المتنتفع بها إلى الحج كما وصفها الله تعالى بقوله: «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَيْجِ» [سورة البقرة: ١٩٦]. «مسالك الأفهام: ٢/

١٠-١٠ من «ش، ر».

١١-١١ أو زيارة البيت محرماً للطواف والسعى. حاشية «ر».

ص: ٢١

مستمرّاً إلى إحرام الحَجِّ مع كونها معدودة من أفعال الحَجِّ. أو لما يحصل بها من الانتفاع بالثواب مضافاً إلى الحَجِّ أو مستمرّاً إليه وبنسبتها (١) إلى حَجِّ الإسلام تتميز عن العُمرة المُتمتّع بها إلى حَجِّ النذر وشبهه.

والمُرَاد بالقُربة: وقوع الفعل على وجه الاخلاص، بحيث يثمر (٢) القُرب إلى رضاه- سبحانه-، ويحظى لديه مجازاً عن القُرب المَكَانِيّ.

وإطلاق القربات على الطاعات والعبادات في كلامه- سبحانه-، وكلامهم عليهم السلام يؤذّن بإثارة هذه الكلمة على غيرها، ويُشعر (٣) بمزيّة لها.

وتَجِبُ التلبيات الأربع مقارنةً للتيّة بالعربية على الوجه المنقول، وصورتها:

لبيك اللهم لبيك، لبيك، إن الحمد والتعمّة والمُلك لك، لا شريك لك لبيك.

ومعنى لبيك: إجابةً بعد إجابةً لك يا ربّ، أو إخلاصاً بعد إخلاص، أو إقامةً على طاعتك بعد إقامة؛ لأنّه إمّا من لبي إذا أجاب الدُّعاء، أو من اللَّب وهو الخالص من كلِّ شيءٍ، أو من لبّ بالمكان إذا أقام به.

وأصل اللّهم: يا الله.

ويجوز في أنّ الكسر على الاستئناف، وتفتح فتقدّر اللام محذوفةً، على أنّ جملتها تعليل لما قبلها، فيقتضى الفتح تخصّيص (٤) التلبية

(٥) بخلاف الكسر، فإنّ عدم التقييد بعلةٍ يقتضى العموم. وهذا هو المراد من قول أبي العباس المبرّد: من فتح فقد خصّ، ومن كسر فقد عمّ.

ويستحبُّ الإكثار من التلبيات الواجبة ومن المستحبات أيضاً، وخصوصاً: لبيك ذا المعارج لبيك، والباقي لبيك داعياً إلى دار السلام، لبيك لبيك غفار الذنوب، لبيك لبيك أهل التلبية، لبيك لبيك ذا الجلال والإكرام، لبيك لبيك تديء والمعاد إليك، لبيك

لبيك تستغنى ويُفتقر (٦) إليك، لبيك لبيك مرهوباً ومرغوباً إليك، لبيك لبيك إله الحق، لبيك لبيك ذا النعماء والفضل الحسن الجميل، لبيك لبيك كشاف الكُرب (٧) العظام، لبيك لبيك عبدك وابن عبدك، لبيك لبيك أتقرب إليك بمحمّد وآل محمّد،

لبيك لبيك يا كريم، لبيك لبيك بالعُمرة المتمتّع بها إلى

١- ١ كذا في «ش، ر»، والكلمة غير مقروءة في «ك».

٢- ٢ في «ك»: يتميز.

٣- ٣ في «ش، ر»: ويسجل.

٤- ٤ في «ر»: تخصّيص، وفي «ش»: فيقتضى الفتح «تخصّيص».

٥- ٥ أي لبيك بسبب أنّ الحمد لك.

٦- ٦ في «ك»: تغنى وفتقر.

٧- ٧ كذا في «ك، ر» وخ ل «ش»، وفي «ش»: الكروب.

ص: ٢٢

الحج لبيك.

والإخلال بمقارنَةُ التَّيَّةِ للتَّيَّةِ مبطلٌ كتكبير الصلاة، وكذا إبدال بعض كلماتها التي لا بدَّ منها بمرادفها كما لو قال: إجابَةٌ بعد إجابَةٍ لك بدل لبيك، ونحوه.

ويجب استدامَةُ التَّيَّةِ حكماً إلى آخره، فلو أخلَّ [بها] (١) أثمَّ ولم يبطل إحرامه.

ويجب لبس الثوبين (٢)، ويشترط كونهما من جنس ما يصلَّى فيه [الرجل] (٣) خاليين من نجاسة، غير مخيطين، فيأثر بأحدهما ويتوشَّح بالآخر، يغطَّى به أحد المنكبين، أو يرتدى به فيغطيها [معاً] (٤) ولا يعقده.

ولا يجوزُ النقص اختياراً، وتجاوز الزيادة والابدال، لكن يستحبُّ الطَّواف في الأوَّلِين، ويجوز للنساء الإحرام في المَخِيْطِ والحريِر اختياراً، وهل يوصف لبس الثوبين بكونه شرطاً للإحرام، أو جزءاً له، أو واجباً لا غير، أو وجه، والاشتراط أحوط.

أما التَّيَّةُ فالتردُّد فيها بين الشرط والجزء كسائر نيات العبادات، والأصحُّ أنَّ التَّيَّةَ جزء وركن، وهي للإحرام كالتَّحريمُ للصلاة، ونسيان التَّيَّةِ غير مخلِّ بصحَّة الإحرام بخلاف نسيان التَّيَّةِ.

وفي كون الإحرام تركاً: يجيء به نحو الأفعال أو بالعكس تردُّد، وللأوَّل رجحان، أما عدّه فعلاً محضاً بناء على تفسيره بتوطين النفس على الكفِّ عن الأمور المخصوصة فلا يخلو من شيء؛ لأنَّ المعروف في كلامهم أنَّ الإحرام عبارة عن اجتناب الأمور المخصوصة، والاختراع في التعريفات غير مقبول، وكذا الصوم.

وأما ما يحرم بالإحرام: فالصَّيد، وهو الحيوان الممتنع بالأصالة اصطياًداً، وأكلها، وإشارة، ودلالة (٥)، وإغلافاً، وذبحاً فيكون ميتة والفرخ والبيض كالأصل، والجراد صيد (٦)، والمتولَّد بين الصيد وغيره يتبع الاسم.

والنساء وطاً ولمساً [وتقبيلًا ونظراً] (٧) بشهوة لا بدونها، وعقداً له ولغيره.

والطيبُّ على العموم أكلها ولمساً وتطيَّباً (٨)، وإن كان المحرَّم ميتاً- ولا

١- ١ من «ك، ر».

٢- ٢ حقيقة أو حكماً ولو بين الحاكى. فحيث لم يحكك اكتفى به عن ثوب. وكذا في الكفن. حاشية «ش».

٣- ٣ من «ر».

٤- ٤ من «ش».

٥- ٥ الدلالة أعم من الإشارة مطلقاً لتحققها بالإشارة والكتابة والقول وغيرها، واختصاص الإشارة بأجزاء البدن، كاليد والعين والرأس. «مسالك الأفهام: ٢/ ٢٤٨».

٦- ٦ والجَرَادُ في معنى الصَّيد البَرِّيِّ. «شرائع الإسلام: ١/ ٢٤٩».

٧- ٧ من «ر»، وفي «ش»: ونظراً.

٨- ٨ في خ ل «ش»: وتطيَّباً.

ص: ٢٣

بأس بخلوق (١) الكعبة، والاكتحال بالسواد، وبما فيه طيب.

وإخراج الدَّم اختياراً، وقصُّ الأظفار، وإزالة الشعر وإن قلَّ اختياراً، والنظرُ في المرأة، والأدهانُ اختياراً وإن لم يكن الدهن مطيباً، وبالمطيب قبل الإحرام إذا كانت رائحته تبقى.

وقطع الشجر والحشيش الأخضرين الثابتين في الحرَم إلأى ملكه، والإذخر (٢) والمحالَّة وعوديها (٣)، وشجر (٤) الفواكه.

والكذب [على الله] (٥)، والجِدال، وهو قول: لا والله، وبلى والله (٦).

وقتلُ هَوامِّ الجسد (٧) كالقمل، وكذا إلقاءه.

ولبسُ المَخيط للرجل [والخُنثى] (٨)، والخُفين، وما يسترُّ ظهرَ القدم له، فإن اضطرَّ شقَّه [وجوباً] (٩). والخاتم للزينة، والحلى للمرأة، إلأن تكون معتادة فيحرم إظهاره للزوج.

والجِئاء للزينة، وتغطية الرأس للرجل ولو بالارتماس، والوجه للمرأة، والتظليل للرجل (١٠) سائراً [اختياراً] (١١) على الأصح.

وكذا لبسُ السلاح، وشمُّ الرِّياحين.

الثاني: الطواف حول الكعبة الشريفة سبعة أشواط.

وهو صلاة إلأى تحريم الكلام كما ورد به النقل.

ويجب فيه امور:

الأول: الطهارة من الحدث ولو اضطراريته، ومن الخبث بأنواعه، وهل يعفى عما يعفى عنه في الصلاة؟ [فيه] (١٢) قولان، أظهرهما العفو، ولو طاف جاهلاً بالنجاسة أجزأ.

الثاني: ستر العورة الواجب سترها في الصلاة، ويختلف باختلاف الطائف.

الثالث: الختان في الرجل المتمكَّن خاصة، وكذا الخُنثى.

الرابع: النية: أطوفُ سبعة أشواطٍ في العمرة المتمتع بها إلى حجِّ الإسلام حجِّ التمتع لوجوبه قربةً إلى الله.

الخامس: مقارنتها لأول الشروع فيه، وإنما يتحقق بمحاذاة أول جزء من مقادير البدن؛ كطرف الأنف، أو البطن لمن كان كبيره لأول

الحجر علماً أو ظناً يمر (١٣) عليه كله، ولا يشترط استقباله ثم الانحراف، بل يجوز جعله على

١- ١ الخَلوق - بفتح الخاء -: أخلاط خاصة من الطيب، منها الزعفران. «مسالك الأفهام: ٢/ ٢٥٣».

٢- ٢ في «ش»: إلأالإذخر. والإذخر: حشيش طيب الريح، أطول من الثيل ينبت على نبتة الكولمان، واحدها إذخره. «لسان العرب: ١/ ٣٠٣ - ذخر».

٣- ٣ المحالَّة - بفتح الميم؛ وقيل: بكسرهما -: البكرة العظيمة، وعودها: اللذان يجعل عليهما ليستقي بها. «مسالك الأفهام: ٢/ ٢٦٧».

٤- ٤ في «ر»: وشجرة.

٥- ٥ من «ك».

٦- ٦ وقيل: يتعدى إلى كل ما يسمّى يمينا. «مسالك الأفهام: ٢/ ٢٥٨».

٧- ٧ الهوام - جمع هامة -: وهى دوابه. انظر الصحاح: ٥/ ٢٠٦٢.

٨- ٨ من «ش، ر». ويلحق بالمخيط ما أشبهه؛ كالدرع المنسوج، وجبة اللبد، والملصق بعضه ببعض. «مسالك الأفهام: ٢/ ٢٥٥».

٩-٩ من «ش».

١٠-١٠ يتحقق التظليل بكون ما يُوجب الظلّ فوق رأسه، كالمحمّل؛ فلا يقدح فيه المشى فى ظلّ المحمّل ونحوه، عندمئل الشمس إلى أحد جانبيه. «مسالك الأفهام: ٢/ ٢٦٤-٢٦٥».

١١-١١ من «ك، ر».

١٢-١٢ من «ش، ر».

١٣-١٣ فى «ك، ر»: ليمرّ.

ص: ٢٤

اليسار ابتداء.

السادس: الحركة الذاتية أو العرضية مقارنةً للتيه.

السابع: استدامتها حكماً- بمعنى أن لا يحدث (١) تيه تنافي الاولي-.

الثامن: جعل البيت على اليسار.

التاسع: إدخال الحجر.

العاشر: جعل المقام على اليمين، ويجب أن يراعى مقدار ذلك من (٢) كل جانب، والدنو من البيت أفضل.

الحادي عشر: خروج جميع البدن عن البيت، فلو مشى على الشاذروان- وهو أساس البيت قديماً-، أو كان يمس الجدار بيده من جانب

الشاذروان [لم يصح] (٣).

الثاني عشر: إكمال العدد.

الثالث عشر: حفظه، فلو لم يحصل العدد أصلاً، أو شك في النقيضه مطلقاً، أو في الزيادة قبل بلوغ الركن بطل.

الرابع عشر: الختم بموضع البداءة من الحجر، فلو زاد عليه متعمداً بطل، وناسياً يتخير في الإكمال سبعاً، والقطع إن بلغ في الشوط الزايد

الحجر، وإلا قطع وجوباً، فإن أكمله فالثاني نفل (٤).

الخامس عشر: الموالاة، وتحقق بإكمال أربعة أشواط، فإن قطعه قبلها استأنف وإن كان لضرورة، وإلا أتم (٥)، ولا يجوز القطع مطلقاً،

إلا لحاجة له ولغيره، ودخول البيت، ونحو ذلك (٦).

ويحرم الطواف للعمرة وعليه بُرُطله، [وهي قلنسوة طويلة كانت تلبس قديماً، وروى أنها من زى اليهود] (٧) وكذا كل طواف يحرم

ستر الرأس فيه.

ويجوز الاخلاص إلى الغير في العدد بشرط كونه بالغاً لا ذكراً (٨)، وفي اشتراط العدالة نظر.

ولو حاضت قبل إتمام (٩) أربعة أشواط من طواف العمرة انتظرت الوقوف، فإن ضاق الوقت [ولم تطهر] (١٠) بطلت مُتعتها ووقفت

وصارت حجتها مفردة، وتعتذر بَعْدَ ذلك.

وتجب ركعتا الطواف، ومحلهما (١١) المقام في البناء المعد لذلك الآن، فإن مَنَعَهُ زحام صلى خلفه أو إلى جانبه، ووقتهما عند الفراغ

منه، وهما كاليومية، ولا جهر فيهما ولا إخفات حتماً، ولا

١- ١ في «ر»: بمعنى أنه لا يجدد.

٢- ٢ في «ك»: في.

٣- ٣ من «ك، ش».

٤- ٤ في «ر»: فعل.

٥- ٥ في «ر»: أتم.

٦- ٦ في «ك، ر»: إلّا الحاجة ونحوها.

٧- ٧ من «ش».

٨- ٨ في «ر»: يشترط كونه بالغاً ذكراً.

٩-٩ فى «ك»: تمام.

١٠-١٠ من «ش».

١١-١١ فى «ك»: ومحلّها، وفى «ش»: ومحلّها خلف المقام.

ص: ٢٥

أداء فيهما ولا قضاء (١).

ولو نسيهما رجع فأتى بهما في المقام، فإن تعذر فحيث شاء من (٢) الحرم، فإن تعذر فحيث أمكن من البقاع، فإن ماتت قضاها المولى. وتيتهما: أصلى ركعتي طواف العمرة المتمتع بها إلى حج الإسلام حج التمتع لوجوبهما قربه إلى الله. الثالث: السعي.

وهو لغة: السرعة في المشي، وشرعاً: الحركات المعهودة من الصفا إلى المروة وبالعكس للقرية. ويعتبر فيه امور:

الأول: التية: أسعى سبعة أشواط بين الصفا والمروة للعمره المتمتع بها إلى حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربه إلى الله. الثاني: مقارنتها للصفا، إما بأن يصعد عليه في أى جزء منه (٣)، أو بأن يلصق عقبه (٤) به، وإذا عاد الصق أصابعه، وكذا يصنع في المروة.

الثالث: الاستدامة حكماً - وقد مر تفصيلها (٥) -.

الرابع: الحركة مقارنة للتية.

الخامس: الذهاب بالطريق المعهودة (٦)، ويختم بالمروة كما قدمناه.

السادس: إتمام السبعة، من الصفا إليه شوطان (٧).

السابع: استقبال المطلوب فلا يمشى القهقري (٨).

الثامن: إيقاعه بعد الطواف والركعتين.

التاسع: عدم الزيادة عمداً فيبطل بها حينئذ، لا سهواً، ولو لم يحصل العدد أو شك في المبدأ وكان في المزدوج على المروة، أو في (٩) الفرد على الصفا، أعاد دون العكس فيهما.

العاشر: الموالاة كالطواف احتياطاً، والمعتمد جواز البناء ولو على شرط.

الحادى عشر: إيقاعه في يوم الطواف وجوباً على المشهور، وليس شرطاً في الصحة.

الرابع: التقصير، وهو إبانة مسمى الشعر أو الظفر، وبه يتحقق [فيها] (١٠) الاحلال من إحرام العمره المتمتع بها، أما المفردة (١١) فلا يتحقق فيها الاحلال التام [إلا] (١٢) بالطواف للنساء وركعتيه بعده، وواجبه ثلاثة:

١- ١ وتيتهما هكذا: أصلى ركعتي الطواف؛ طواف عمره الإسلام، عمره التمتع أداءً، لوجوبه قربه إلى الله «نيات الحج والعمرة: ٨٧».

٢- ٢ في «ك»: في.

٣- ٣ بحيث يرى البيت من بابه، ويحصل ذلك بالدرجة الرابعة. «مسالك الأفهام: ٢ / ٣٥٦».

٤- ٤ في «ر»: عقبيه.

٥- ٥ في «ك»، ر: تفسيرها.

٦- ٦ في «ك»: الطريق المعهود. فلو اقتحم المسجد الحرام ثم خرج من باب آخر لم يجز. «مدارك الأحكام: ٨ / ٢٠٧».

٧- ٧ في «ك»: إتمام السبعة من الصفا إليه شوطاً.

٨- ٨ القهقري: المشى إلى خلف من غير التفات بالوجه. «مسالك الأفهام: ٢ / ٣٥٨».

٩-٩ فى «ش» وفى.

١٠-١٠ من «ر».

١١-١١ فى «ك»: المنفردة.

١٢-١٢ من «ك، ش».

ص: ٢٦

الأول: التية: أقصر للاحلال من إحرام العُمرة المتمتع بها إلى حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربةً إلى الله. ويجب فيها المقارنة للفعل والاستدانة حكماً إلى الفراغ.

الثاني: كونه بمكة، ولا يجب كونه على المروة وإن استحب.

الثالث: تقديمه على إحرام الحج، فلو أهل (١) قبله عامداً انقلبت [عمرته] (٢) حجة مفردة على الأصح، لرواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام (٣)، وساهياً يقع ولا شيء عليه، وجبره بشاة أفضل.

وأما الجاهل ففيه وجهان، أو جههما إلحاقه بالعامد. ويتعين التقصير في عمرة التمتع فلا يجزئ الحلق عنه بخلاف المفردة. والواجب إزالة الشعر بخدي، أو نورة، أو نتف أو قرص بالسِّن.

الفصل الثاني: في أفعال الحج

وفيه مباحث:

الأول: الإحرام، ولا فرق بين إحرام العُمرة والحج إلابالتية (٤)، فينوي:

أحرم بحج الإسلام حج التمتع، والتبى التلبيات الأربع لعقد هذا الإحرام، لوجوب الجميع قربةً إلى الله لتبىك إلى آخرها.

ومحلّه للمتمتع مكة، وأفضله (٥) المسجد، وخلاصته المقام (٦) أو تحت الميزاب، ولو تعذر أحرّم حيث أمكن (٧) ولو بعرفة.

وإحرام القارن والمفرد من ميقات عمرة التمتع، أو من دُوَيْرُهُ أَهْلِهِ إِنْ كَانَتْ أَقْرَبَ [إلى مكة] (٨). ولا يبطل بزوال الشمس يوم التروية

(٩) أو يوم عرفة قبله، بل ولا بغروبها لا عامداً، إذا أدرك المشعر اختيارياً أو اضطرارياً مع اضطراري عرفة (١٠) على الأصح، لكن يُسْتَحَبُّ إيقاعه بعد ظهر التروية.

ولا يجوز له الطواف بعد الإحرام حتى يرجع من منى، فإن طاف ساهياً لم ينتقض إحرامه، وقال الشيخ: يجدد التلبية لعقد بها الإحرام

[والأصح الاستحباب] (١١). أما القارن والمفرد فيجوز لهما الطواف.

[فائدة: لما كان موضع إحرام عمرة التمتع والحج للقارن والمفرد واحداً وهو الميقات المعين شرعاً، أو منزل ذلك

١- ١ أحرّم. حاشية «ش».

٢- ٢ من «ك، ش».

٣- ٣ موسى بن القاسم، عن صفوان، عن إسحاق بن عمار، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المتمتع إذا طاف وسعى ثم لبى قبل أن يقصر فليس له أن يقصر، وليس له متعة. تهذيب الأحكام: ١٥٩/٥ ح ٥٢٩، الاستبصار: ٢/٢٤٣ ح ٨٤٦، جامع المقاصد: ٣/٢١٢.

٤- ٤ في «ر»: بالتلبية.

٥- ٥ في «ش»: وأفضلها. وفي الأفضل منهما خلاف، ورجح في الدروس المقام، وهو خيرة مختلف الشيعة، وهو الأصح. حاشية «ش».

٦- ٦ كذا اختاره الشهيد في الدروس: ٩٥.

٧- ٧ إلى هنا تنتهي نسخة «ر».

٨- ٨ من «ش».

٩- ٩ هو اليوم الثامن من ذي الحجة، سمي بذلك لأن الناس كانوا يتروون فيه الماء ويحملونه إلى عرفة. انظر: علل الشرائع: ٤٣٥ ح ١.

١٠-١٠ فى «ك»: عزمه. وهو تصحيف.

١١-١١ من «ش».

ص: ٢٧

المكلف إن كان منزله أقرب إلى مكة من الميقات وجب تعيين المواقيت وهي ستة؛ فلأهل المدينة ذو الحليفة (١) وأفضله مسجد الشجرة وتعيينه للإحرام منه أحوط، ولأهل الشام ومصر الجحفة، ولأهل اليمن يلملم، ولأهل الطائف قرن المنازل - بسكون الراء - ولأهل العراق العقيق (٢) وأفضله المسلح (٣) وأوسطه غمرة (٤)، وآخره ذات عرق، ومن كان منزله أقرب فالميقات منزله، وميقات العمرة المفردة خارج الحرم ولو سلك طريقاً بين ميقتين أحرم إذا حاذى أحدهما في برّ أو بحر، فإن بين تقدمه أعاد وإلا أجزأ، ولو لم يحاذ ميقاتاً ففي إحرامه من أدنى الحل إلى الحرم أو مساواة أقرب المواقيت إلى مكة وجهان أحوطهما الثاني [٥].

[البحث] (٦) الثاني: الوقوف بعرفة، ومعناه الكون بها يوم التاسع، ووقته من زوال الشمس إلى غروبها نواياً فيه: أقف بعرفة إلى غروب الشمس في حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قرباً إلى الله، ويجب استدامتها حكماً إلى آخره، ويجزئ مسمى الكون وهو الركن، وإن أتم بالإفاضة قبل الغروب (٧).

ولا يقف بنمرة وثويّة وذى المجاز والأراك (٨) فإنها حدود.

ويستحب ضرب الخباء (٩) بنمرة.

ويشترط السلامة من الجنون، والإغماء، والسكر، والنوم في جزء من الوقت. ولو أفاض قبل الغروب عامداً عالماً لم يبطل حجه، ووجب عليه بدنة (١٠). ولو تعذر الوقوف [بها] (١١) نهراً أجزأ (١٢) ليلاً. والواجب فيه مسمى الكون، وهو صالح للمشعر أيضاً.

الثالث: الوقوف بالمشعر (١٣)، ويجب المبيت به ليلة العاشر نواياً أول المبيت: أبيت هذه الليلة بالمشعر في حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قرباً إلى الله.

وهذا الوقوف فيه شائبة الاضطراري، أما الاختياري المحض فمن طلوع فجر النحر إلى طلوع الشمس.

والواجب الكون (١٤)، والركن هو مسمى الكون في هذا الوقت إن لم يكن وقف (١٥) ليلاً، لكن لو أفاض قبل

١- ١ وهو بضم الحاء وفتح اللام: موضع على ستة أميال من المدينة. حاشية «ش».

٢- ٢ هو واد وكله ميقات، فمن أي موضع منه أحرم صح، صرح به جماعة. حاشية «ش».

٣- ٣ لم نقف على شيء نعتمد عليه في ضبط الحاء المهملة والمعجمة. حاشية «ش». وقد قيل: إنه بالسین والحاء المهملتين واحد

المسالح، وهو المواضع العالية، وبالحاء المعجمة لنع الثياب به. «الروضة البهيّة: ٢/ ٢٢٥».

٤- ٤ لم نجد في كون الميم ساكناً أو غيره شيئاً نعول عليه. حاشية «ش».

٥- ٥ ما بين المعقوفين من «ش».

٦- ٦ من «ش».

٧- ٧ في «ش»: وهو ركن، فإن أخل أثم.

٨- ٨ وكذلك عرفة، فهذه الأماكن الخمسة حدود عرفة. والأراك: شجر يُستاك بقضبانته - أي: يُؤخذ منه السواك - له حمل كعناقيد

العنب، يملأ العنقود الكف. والمراد به هنا: موضع بعرفة، من ناحية الشام قرب نمره.

٩- ٩ الخباء: الخيمة، ونحوها.

١٠- ١٠ في «ش»: وجبره بدنة.

١١- ١١ من «ش».

١٢-١٢ في «ش»: أجزاءه.

١٣-١٣ حده ما بين المأزمين إلى الحياض إلى وادي محسر. «شرايع الإسلام». والمأزمان: مفتح بين جمع وعرفه، وآخر بين مكة ومينى. «معجم البلدان: ١٦٣/٢، ج ٥/٤٠».

١٤-١٤ في «ك»: الكل.

١٥-١٥ في «ك»: إن كان قد وقف.

ص: ٢٨

الفجر [عامداً] (١) عالماً وجب عليه شأه.

والاضطراري المحض من طلوع الشمس إلى زوالها، والواجب فيه المسمى. ولو أفاض قبل طلوع الشمس فلا يجاوز إلى وادي مُحَسَّر (٢) إلا بعد طلوعها، فإن فعل أثم ولا كفارة.

وتجب فيه التية مقارنة لأول الفجر:

أقف بالمشعر من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس في حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قرينة إلى الله.

الرابع: نزول منى (٣) يوم النحر للرمي والذبح والحلق، وتجب مراعاة (٤) هذا الترتيب فإن خالف أثم ولم يبطل ما فعله (٥).

والواجب في يوم النحر [هو] (٦) رمي جمره العقبة بسبع حصيات من (٧) الحرم إلا (٨) المساجد، ويجب أن تكون أبقاراً، ويستحب أن تكون برشاً (٩)، منقطة ملتقطة (١٠). رحوه كحليته (١١)، بما يسمى رمياً. ويشترط الإصابة بفعله مباشرة بيده، فلا تجوز (١٢) الاستنابة إلا مع الضرورة.

ووقته ما بين طلوع الشمس إلى غروبها، وفضيلته من الطلوع إلى الزوال. ويقضى لو فات مقدماً على الحاضر (١٣)، ويخرج وقته بخروج أيام التشريق إلى قابل.

وتيته: أرمي هذه الجمره بسبع حصيات في حج الإسلام حج التمتع أداء لوجوبه قرينة إلى الله، وكذا يصنع في رمي الجمرات الثلاث في كل يوم من أيام التشريق، وهي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، مرتباً يبدأ بالاولى، ثم بالوسطى، ثم بجمره العقبة، فلو نكس أعاد على ما يحصل معه الترتيب.

ويحصل بأربع إذا لم يكن عامداً فيتم ما بقي، ولو تعمد أو لم (١٤) يبلغ الأربع أعاد، إلا أنه يعيد مطلقاً مع عدم بلوغها، ويعيد على ما بقى من الجمرات دون التي رماها أربعاً، فيقتصر على إتمام رميها.

ويجب ذبح الثني من النعم الثلاثة (١٥)، ويجزئ من الضأن الجذع [لسنته] (١٦)، وهو ما كمل له سبعة أشهر، والثني من الإبل [وهو] (١٧) ما دخل في السادسة، وفي غيرها ما دخل

١-١ من «ك».

٢-٢ محسّر: موضع بمنى. «الصحاح: ٢/٦٣».

٣-٣ سمي المكان المخصوص بذلك لأن جبرئيل عليه السلام قال هناك لإبراهيم عليه السلام: تمن على ربك ما شئت. انظر علل الشرائع: ٤٣٥ ب ١٧٢ ح ١.

٤-٤ في «ك»: رعاية.

٥-٥ في «ك»: ولم يبطل فعله.

٦-٦ من «ك».

٧-٧ في «ك»: في.

٨-٨ في «ش»: لا.

٩-٩ المراد اختلاف ألوانها والفرق بين البرش والمنقطة- مع اشتراكهما في اختلاف الألوان- أن الاختلاف في الأول في جملة الحصة، والثاني في الحصة نفسها، ويجوز العكس. «مسالك الأفهام: ٢/٢٩٠».

- ١٠-١٠ أى أن يكون كل واحد منها مأخوذة على حدتها من الأرض.
- ١١-١١ أى لا تكون بيضاً ولا سوداً ولا حمراً. «مسالك الأفهام: ٢/ ٢٩٠».
- ١٢-١٢ فى «ك»: فلا تُجزي.
- ١٣-١٣ فى «ش»: الواجب.
- ١٤-١٤ فى «ش»: ولم.
- ١٥-١٥ أى: الإبل، أو البقر، أو الغنم.
- ١٦-١٦ من «ك».
- ١٧-١٧ من «ك».

ص: ٢٩

في الثانية.

ويُشترط تمام (١) الخلقه والصحة (٢)، وأن يكون على كُليّتيه شحْم، ويكفي الظنّ وإن ظهر بعد الذبْحِ خلافه ولا- يجرى المَعِيب، وتَجِبُ الصَّدَقَةُ بثُلْثه، وإهداء ثُلْثه، والأكل نوايياً عند ذبحه: أذْبِحْ هذا الهدى في حَجِّ الإسلام حَجِّ التمتع لوجوبه قُربَةً إلى الله. ويُستحبّ مباشرة الذبْحِ إن أحسنه، وإلّا جَعَلَ يده مع يد الذابِح، وينوي في الصَّدَقَةِ والاهْدَاء والأكل: أتصدّق، أو أهدي ثلث هدى حَجِّ الإسلام [أو أكل من هدى حَجِّ الإسلام] (٣) حَجِّ التمتع لوجوبه قُربَةً إلى الله.

ويشترط في المهدى إليه الايمان، وفي محلّ الصَّدَقَةِ [الايمان و] (٤) الفَقْر معه، ولا ترتيب في الأقسام. ويجب حلق الرّأس أو التقصير كما سبق مقارناً للتيّة: أخلق أو أقصّر للإحلال من إحرام حَجِّ الإسلام حَجِّ التمتع لوجوبه قُربَةً إلى الله. واستدامتها حكماً إلى آخر الفعل.

ويتعيّن على المرأة والخُنْثى التقصير (٥)، ومن ليس على رأسه شعر يُجزئه إمرار المّوس على رأسه (٦). ولا- يخرج عن منى حتّى يأتي بالثلاثة في ذى الحِجَّة، فإنّ رَحَلَ (٧) رجَعَ للذّبْح والحلق بها طوله، فإن تعذّر استناب في ذبح الهدى وحلق مكانه واجباً وبعث بالشعر ليُدْفَن بها ندباً.

وأما الرّمى فيفوت وقته بخروج الثالث عشر كما سبق. وبالحلق يتحلّل من المحرّمات إلّا الطيب والنساء والصّيد، ثمّ يتحلّل من الطيب بطواف الزّيارة والسّعى على الأقوى، فإذا طاف للنساء حلّلن له، وبطوافهنّ يحلّ الصّيد الذي حرّم بالإحرام.

الخامس: العرّود إلى مكّة للطوافين والسّعى، ويسمّى الأوّل طواف الحِجّ، وطواف العود، وطواف الزّيارة، وطواف الرّكن، وطواف الصّدر (٨).

وكيفيّة الجميع كما سبق إلّا في التّيّة، فينوي هنا: أطوف سبعة أشواط طواف حَجِّ الإسلام حَجِّ التمتع لوجوبه قُربَةً

١- ١ في «ك»: ويشترط فيه إتمام.

٢- ٢ فلا يجرى العوراء، ولا العرجاء البيّن عرّجها، ولا التي انكسر قرنّها الدّاخل، ولا المقطوعة الأذن، ولا الخَصِيّة من الفُحول. «شرائع الإسلام»: ١/ ٢٦٠.

٣- ٣ من «ش».

٤- ٤ من «ش».

٥- ٥ وَيَجْزِيهِنَّ مِنْهُ وَلَوْ مِثْلَ الْأُثْمَلَةِ. «شرائع الإسلام».

٦- ٦ استحباباً، وينبغي أن لا يجزيه عن التقصير، قاله المصنّف في حاشية الارشاد. حاشية «ش».

٧- ٧ في «ك»: أحلّ.

٨- ٨ أي الرجوع.

ص: ٣٠

إلى الله، أصلي ركعتي طواف حج الإسلام حجاج التمتع لوجوبهما قرباً إلى الله، أسعى سبعة أشواط سعي حج الإسلام حجاج التمتع لوجوبه قرباً إلى الله، أطوف سبعة أشواط طواف النساء في حج الإسلام حجاج التمتع لوجوبه قرباً إلى الله، أصلي ركعتي طواف النساء في حج الإسلام حجاج التمتع لوجوبهما قرباً إلى الله.

السادس: العود إلى منى للمبيت بها ليالي التشريق الثلاث، ويجوز لمن اتقى الصيد والنساء (١) النفر في الثاني عشر، فسقط المبيت ليلة الثالث عشر ورّميه، إلا أن تغرب الشمس وهو بمنى.

ويجزئ في المبيت الكون بها إلى نصف الليل، ولو باتَ غيرها فعن كل ليلة شاء، إلا أن يبيت بمكة مشغلاً بالعبادة، واجبة كانت أو مستحبة فلا شيء، ولا فرق بين خروجه حينئذٍ من منى قبل غروب الشمس أو بعده.

ويجب استيعاب الليلة بالعبادة إلا ما يضطر إليه من أكلٍ أو شربٍ، أو نومٍ يغلب عليه.

وحد منى من العقبه إلى وادي مُحَسَّر.

ويجب في المبيت التيّة مقارنة لأول الليلة مُستدامة الحكم: آيئت هذه الليلة بمنى في حج الإسلام حجاج التمتع لوجوبه قرباً إلى الله.

والمفرد والقارن يُحرمان من الميقات بالحج، ويأتیان بأفعال الحج إلى آخرها، وبعد الفراغ يأتیان بعمره مفردة.

والفرق بينهما أن المفرد لا يقرب بإحرامه هدياً بخلاف القارن، وحينئذٍ فيذبحه أو ينحره بمنى إذا قرن به إحرام الحج، ويقسمه أثلاثاً كهدي التمتع.

ولو كان نائباً أضاف إلى تيته في كل فعل: نيابة عن فلان، ولو قال:

«لوجوبه (٢) عليه بالأصالة وعلى بالنيابة» كان أكمل، فينوي في إحرامه:

أحرم بالعمره المتمتع بها إلى حج الإسلام حجاج التمتع، والبي التليات الأربع - إلى آخره (٣) - نيابة عن فلان لوجوب الجميع عليه بالأصالة وعلى بالنيابة قرباً إلى الله ليبيك [اللهم ليبيك] (٤) إلى آخره -.

وكذا يفعل (٥) في باقي المناسك.

١ - المراد باتقاء النساء عدم إتيانهن في حال الإحرام بمعنى عدم الجماع لا مطلق ما يحرم على المحرم ممتاً يتعلق بهن كالقبة واللمس بشهوة على ما ورد في لفظ الحديث وعبارة العلامة في المنتهى والتذكرة. أما الحديث فالمراد عن الصادق عليه السلام: من أتى النساء في إحرامه لم يكن له أن ينفر في النفر الأول [الوسائل: ١٠ / ٢٢٥ ح ١]. وأما عبارة التذكرة: [٣٩٤ / ١] فهي قوله إنما يجوز النفر في النفر الأول لمن اتقى النساء والصيد في إحرامه فلو جامع في إحرامه أو قتل صيداً فيه لم يجز له أن ينفر في الأول. ومثلها عبارة المنتهى، ولأن المتبادر إلى الفهم من اتقاء النساء وعدمه وهو مجانبه الوطي وعدمها، وكذا الظاهر أن المراد من اتقاء الصيد عدم قتله كما هو ظاهر عبارة التذكرة والمنتهى أيضاً ويحتمل العموم في كل من الأمرين والأصل يدفعه. وفي بعض الأخبار اعتبار جميع محرمات الإحرام واختاره ابن إدريس، والمشهور الأول، والاتقاء معتبر في إحرام الحج قطعاً، وفي إحرام عمره التمتع في وجه قوى لأنها جزء من الحج، وهل يفرق بين العامد والناسي في الأمرين معاً فيكون الناسي متقياً أم في النساء فقط إذ لا شيء على الناسي لو جامع بخلاف قتل الصيد سهواً أم لا.... فيهما؟ فيه أوجه، ولم أظفر في ذلك بكلام للأصحاب، إلا أن المتبادر من الاتقاء عدم المواقعة، والعمد والنسيان متصور إليهما. حاشية «ش».

٢-٢ في «ش»: لوجوب الجميع.

٣-٣ فى «ش»: «للحجّ» بدل «إلى آخره».

٤-٤ من «ش».

٥-٥ فى «ك»: الفِعل.

ص: ٣١

خاتمة

[فيها بحثان: (١)]

[الأول: (٢)] يستحبُّ للحاجِّ زيارةُ النبيِّ صلى الله عليه وآله بالمدينة استحباباً مؤكداً، وكذا يستحبُّ لغيره. ويجبر الإمام (٣) النَّاسَ على ذلك لو تَرَكوهُ (٤) لما فيه من الجفَاءِ المَحْرَمِ، كما يُجبرون على الأذان.

وقد روى أَنَّهُ صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ أَتَى مَكَّةَ حَاجِّياً ولم يَزرنى إلى المدينة جَفَوْتُهُ يومَ القيامة، وَمَنْ أَتَانى زائراً وَجِبْتُ له شفاعتى، ومن وَجِبْتُ له شفاعتى وَجِبْتُ له الجنة» (٥).

ويستحبُّ زيارةُ فاطمة عليها السلام فى بيتها و [فى] (٦) الرّوضة والبقيع (٧)، قالت عليها السلام: «أخبرنى أبى: أَنَّهُ مَنْ سَلَّمَ عليه وَعَلَى ثلاثة أَيام أَوْجَبَ اللهُ له الجنة».

قيل لها: فى حياتكما؟

قالت: «نعم، وبعد موتنا» (٨).

ويُستحبُّ زيارةُ الأئمة الطاهرين عليهم السلام،- [فى البقيع، وهم:

الحسن وزين العابدين والباقر والصادق- صلوات الله عليهم.

روى [عن الباقر عليه السلام (٩) أَنَّهُ قال] (١٠): «ابْدُوا بِمَكَّةَ واختموا بنا» (١١).

وعنه عليه السلام أَنَّهُ قال: «إنما امرّ الناس أن يأتوا هذه الأحجار، فيطوفوا بها، ثُمَّ يأتونا فيخبرونا بولايتهم، ويعرضوا علينا نصرهم» (١٢).

وعن أبى عبدالله عليه السلام: «مَنْ زار إماماً مُفْتَرَضَ الطاعة كان له ثواب حجّة مبرورة» (١٣).

وعن الامام الرضا صلوات الله عليه: «ان لِكُلِّ إمام عهداً (١٤) فى أعناق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة

قبورهم، فمن زارهم رَغْبَةً فى زيارتهم وتصديقاً بما رَغَبُوا فيه كانت أئمتهم شُفَعاءَهم يومَ القيامة» (١٥). (١٦) البحثُ الثانى:

[فى قولٍ وجيزٍ] (١٧) فى بيان شىءٍ من كفّارات الإحرام:

فأما الصَّيْدُ فمنه ما لِكفّارته بدل على الخُصوص كالنعامة فإنَّ فيها بدنه، فإن عَجَزَ عنها فضَّ قيمتها على البرِّ وأطعم كلَّ مسكين نصف

صاع، فإنَّ زادت عن

١-١ من «ش».

٢-٢ من «ش».

٣-٣ فى «ش»: الإمام عليه السلام.

٤-٤ فى «ش»: ذلك بمكّة.

٥-٥ الكافى: ٤/ ٥٤٨ ح ٥، كامل الزيارات: ١٣ ح ٩، من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٥٦٥ ح ٣٣٨، علل الشرائع: ٤٦٠ ح ٧، التهذيب: ٤/ ٦ ح

٥، البحار: ١٠٠/ ١٤٠٠ ح ٥ و ٦.

٦-٦ من «ش».

٧-٧ وسبب خفاء قبرها عليها السلام دفن على عليه السلام لها ليلاً من غير أن يشعر بها أحداً، فينبغى زيارتها فى المواضع الثلاثة،

وأفضلها بيتها، وأبعد الاحتمالات كونها فى الروضة. «مسالك الأفهام: ٢/ ٣٨٣».

٨-٨ التهذيب: ٩/٦ ح ١٨، عنه البحار: ١٠٠/١٩٤ ح ٩. وأورده في مناقب ابن شهر آشوب: ٣/٣٦٥.

٩-٩ ما بين المعقوفين أثبتناه من «ش».

١٠-١٠ من «ش».

١١-١١ الكافي: ٤/٥٥٠ ح ١، من لا يحضره الفقيه ٢/٥٥٨ ح ٣١٣٨.

١٢-١٢ الكافي: ٤/٥٤٩ ح ١، من لا يحضره الفقيه: ٢/٥٥٨ ح ٣١٣٩. وقال الشيخ الصدوق رحمه الله: هذه الأخبار إنما وردت فيمن يملك الاختيار ويقدر على أن يبدأ بأيهما شاء من مكة أو المدينة، فأما من يؤخذ به على أحد الطريقين فاحتاج إلى الأخذ فيه شاء أو أبي فلا خيار له في ذلك، فإن اخذ به على طريق المدينة بدأ بها وكان ذلك أفضل له لأنه لا يجوز له أن يدع دخول المدينة وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بها وإتيان المشاهد انتظاراً لرجوعه، فربما لم يرجع أو اخترم دون ذلك، والأفضل له أن يبدأ بالمدينة.

١٣-١٣ أخرج في البحار: ١٠٠/١٢٤ ح ٣٢ عن البلد الأمين: روى أن من زار إماماً مفترض الطاعة بعد وفاته وصلى عنده أربع ركعات كتبت له حجة وعمره. وأخرج في ص ١٣٠ ح ١٥ عن مصباح الزائر: عن الصادق عليه السلام قال: من زار إماماً مفترض الطاعة بعد وفاته....

١٤-١٤ قال الفاضل التفرشي: المراد بالعهد ما يشبه العهد فان من قال بإمامة الأئمة عليهم السلام وبأنهم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن الله عز وجل - فرض طاعتهم، فكأنه عهد إليه أن يطيعه ويخلص له عقيدته ويزوره إلى غير ذلك.

١٥-١٥ الكافي: ٤/٥٦٧ ح ٢، كامل الزيارات: ١٢٢ ح ٢، من لا يحضره الفقيه: ٢/٥٧٧ ح ٣١٦٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٦٠ ح ٢٤، علل الشرائع: ٣/٤٥٩ ح ٣، التهذيب: ٦/٧٩ ح ١٥٥ و ص ٩٣ ح ١٧٥، البحار: ١٠/١١٦ ح ١ و ص ١١٧ ح ٢-٤.

١٦-١٦ زاد في «ك»: وليكن هذا آخر الرسالة، والحمد لله وحده، والصلاة على خير خلقه محمد وآله. من تتمه منشآت المصنف - تغمده الله برضوانه -

١٧-١٧ من «ش».

ص: ٣٢

سْتَيْنِ مَسْكِينًا اقْتَصَرَ عَلَى السَّيْنِ، وَإِنْ نَقَصْتَ اقْتَصَرَ عَلَى [قَدْر] (١) الْقِيَمَةِ.

ومنه ما لا بدل له كالحمامة فَإِنَّ فِيهَا شَاءَ عَلَى الْمَحْرَمِ فِي الْحِلِّ، ودرهماً عَلَى الْمَحِلِّ فِي الْحَرَمِ، وَيَجْتَمَعَانِ عَلَى الْمَحْرَمِ فِي الْحَرَمِ. وَفِي الْجَرَادَةِ وَالْقَمَلَةِ إِذَا أَلْقَاهَا أَوْ قَتَلَهَا (٢) كَفَّ مِنْ طَعَامٍ.

وَفِي لُبْسِ الْمَخِيطِ عَمْدًا دَمَ شَاءَ وَإِنْ كَانَ مُضْطَرًّا، لَكِنْ فِي الضَّرُورَةِ يَنْتَفَى الْإِثْمُ خَاصَّةً، وَكَذَا فِي لُبْسِ الْخَفَيْنِ وَنَحْوَهُمَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي لُزُومِ الْكَفَّارَةِ بَيْنَ أَنْ يَشَقَّهُمَا أَوْ لَا.

وَفِي قَلَمِ كُلِّ ظَفَرٍ مَدٍّ مِنْ طَعَامٍ، وَفِي أَظْفَارِ يَدَيْهِ أَوْ رِجْلَيْهِ أَوْ هُمَا فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ دَمٍ، وَلَوْ تَعَدَّدَ الْمَجْلِسُ فَدَمَانِ.

وَفِي إِزَالَةِ مُسَمَّى الشَّعْرِ بِحَلْقٍ وَغَيْرِهِ شَاءَ، أَوْ إِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسَاكِينٍ، لِكُلِّ مَسْكِينٍ مَدٍّ، أَوْ صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

وَلَوْ اضْطُرَّ إِلَى حَلْقِ الرَّأْسِ لِأَذَى انْتَفَى الْإِثْمُ دُونَ الْكَفَّارَةِ، وَلَوْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ شَعْرِ رَأْسِهِ أَوْ لِحِيتهِ بِلَمْسِهِ فِي غَيْرِ الْوُضُوءِ، وَكَذَا الْغُسْلِ عَلَى الْأَقْرَبِ (٣) - وَلَا يَبْعَدُ إِلَّا حَقَّ إِزَالَةِ النِّجَاسَةِ بِهِمَا - وَجَبَ التَّصَدَّقُ بِكَفٍّ مِنْ طَعَامٍ.

وَفِي الْوُضُوءِ وَمَا حَقَّ بِهِ لَا شَيْءَ، وَفِي تَغْطِيَةِ الرَّأْسِ وَلَوْ بِالْأَرْتِمَاسِ فِي الْمَاءِ (٤) أَوْ حَمَلِ سَاتِرِ شَاءَ، وَكَذَا فِي التَّظْلِيلِ سَائِرًا، وَفِي الْجِدَالِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ صَادِقًا شَاءَ، وَلَا شَيْءَ فِيهَا دُونَهَا، وَكَاذِبًا بَدَنَةً، وَفِي الْإِثْنِينَ بَقْرَةً، وَفِي الْوَاحِدَةِ شَاءَ.

وَفِي قَلْعِ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ فِي الْحَرَمِ بَقْرَةً وَإِنْ كَانَ مَحَلًّا، وَفِي الصَّغِيرَةِ شَاءَ، وَفِي الْأَبْعَاضِ وَالْحَشِيشِ الْقِيَمَةَ.

وَلَا كَفَّارَةَ عَلَى الْجَاهِلِ وَالنَّاسِيِ وَالْمَجْنُونِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا الصَّيْدَ فَإِنَّ الْكَفَّارَةَ فِيهِ عَلَى النَّاسِيِ وَالْجَاهِلِ.

وَتَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ الْأَسْبَابِ اتَّخَذَ الْوَقْتُ أَوْ اخْتَلَفَ، كَفَّرَ عَنِ السَّابِقِ أَوْ لَا.

وَيَتَحَقَّقُ التَّكْرَرُ فِي الْحَلْقِ بِتَغَايِرِ الْوَقْتِ، كَأَنْ يَحْلُقَ بَعْضُ رَأْسِهِ غَدْوَةً وَبَعْضُهُ عَشِيَّةً.

وَكَذَا اللَّبْسُ وَالتَّطْيِبُ وَأَكَلَ مَا لَا يَحِلُّ.

وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ لِكُلِّ صَنْفٍ مِنَ الشِّيَابِ

١-١ من «ك».

٢-٢ في «ش»: «ش» و«ش».

٣-٣ وكذا التيمم. حاشية «ش».

٤-٤ في «ك»: «ك» بالماء.

ص: ٣٣

فداء» (١) وليس يبعد (٢)، وهو مقتضى كلام المُنتهى، فعلى هذا يُعتبر تغاير الوقت فى الصَّنّف الواحد دون المتعدّد (٣) وهل يفرق بين ذى (٤) الضّرورة وغيره فى ذلك؟ فيه تردّد. ومحلّ الذبح والنحر والصّدقة مكّه إن كانت الجنايه فى إحرام العُمرة وإن كانت مُتعة، ومنى [إن كانت] (٥) فى إحرام الحجّ. والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وأهل بيته الطاهرين.

فهرس مصادر التحقيق

١- القرآن الكريم.

٢- إحياء الدائر من القرن العاشر «طبقات أعلام الشيعة» للشيخ آقا بزرك الطهرانى، نشر جامعه طهران ١٣٦٦ هـ. ش.

٣- الاستبصار لشيخ الطائفة أبى جعفر الطوسى، نشر دار الكتب الإسلاميه، طهران ١٣٩٠ هـ. ق.

٤- أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، نشر دار التعارف للمطبوعات- بيروت ١٤٠٣ هـ. ق.

٥- أمل الآمل للشيخ الحرّ العاملى، نشر مكتبة الأندلس- بغداد.

٦- بحار الأنوار للعلامة محمد باقر المجلسى، نشر مؤسسه الوفاء- بيروت ١٤٠٣ هـ. ق.

٧- تاريخ كرك نوح للدكتور حسن عباس نصر الله، نشر المستشاريه الثقافيه للجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه بدمشق- ١٤٠٦ هـ. ق.

٨- تهذيب الأحكام لشيخ الطائفة الطوسى، نشر دار الكتب الإسلاميه- طهران ١٣٩٠ هـ. ق.

٩- جامع المقاصد للشيخ على الكركى- مصنّف هذه الرساله-، تحقيق ونشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ١٤٠٨-١٤١٥ هـ. ق.

١٠- الدرّ المنثور من المأثور وغير المنثور للشيخ على بن محمد بن حسن ابن زين الدين الجبعى العاملى، نشر مكتبة المرعى النجفى- قم ١٣٩٨ هـ. ق.

١١- الدروس للشهيد الأول محمد ابن مكى العاملى، نشر مكتبة الصادقى- قم.

١- الكافى: ٤/ ٣٤٨ ح ٢، من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٣٤١ ح ٢٦٢٣، التهذيب: ٥/ ٣٨٤ ح ١٣٤٠.

٢- ٢ فى «ش»: ببعيد.

٣- ٣ فى «ش»: التعدّد.

٤- ٤ فى «ك»: ذوى.

٥- ٥ من «ك».

ص: ٣٤

- ١٢- الذريعة للشيخ آقا بزرك الطهراني، نشر دار الأضواء- بيروت ١٤٠٣ هـ. ق.
- ١٣- روضات الجنات للميرزا محمد الخوانساري، نشر مكتبة إسماعيليان- قم ١٣٩٠ هـ. ق.
- ١٤- الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٤٠٣ هـ. ق.
- ١٥- رياض العلماء للميرزا عبد الله أفندي الاصفهاني، نشر مكتبة المرعشي النجفي- قم ١٤٠١ هـ. ق.
- ١٦- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام للمحقق الحلي، نشر دار الأضواء- بيروت ١٤٠٣ هـ. ق.
- ١٧- الصحاح للجوهري، نشر دار العلم للملايين- بيروت ١٤٠٤ هـ. ق.
- ١٨- علل الشرائع للشيخ الصدوق، نشر مكتبة الداوري- قم.
- ١٩- عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق، نشر مكتبة جهان- طهران.
- ٢٠- غاية المراد للشهيد الأول ومعه حاشية الإرشاد للشهيد الثاني، نشر مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية- قم ١٤١٤ هـ. ق.
- ٢١- فهرس مخطوطات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي «الطبعة الفارسيّة»، نشر المكتبة- قم ١٣٩٥ هـ. ق.
- ٢٢- الفوائد الرضويّة في أحوال علماء المذهب الجعفري للشيخ عباس القمي.
- ٢٣- الكافي للشيخ محمد بن يعقوب الكليني، نشر دار صعب ودار التعارف للمطبوعات- بيروت ١٤٠١ هـ. ق.
- ٢٤- كامل الزيارات لابن قولويه، طبع المطبعة الرضويّة- النجف ١٣٥٦ هـ. ق.
- ٢٥- لسان العرب لابن منظور الافريقي المصري، نشر أدب الحوزة- قم ١٤٠٥ هـ. ق.
- ٢٦- لؤلؤة البحرين للشيخ يوسف البحراني، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر- قم.
- ٢٧- مدارك الأحكام للسيد محمد ابن علي الموسوي العاملي، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث- مشهد ١٤١٠ هـ. ق.

ص: ٣٥

- ٢٨- مسالك الأفهام للشهيد الثاني، تحقيق ونشر مؤسسه المعارف الإسلاميه- قم ١٤١٣ هـ. ق.
- ٢٩- مستدرک الوسائل للميرزا حسن النوري «الطبعة الحجرية»، نشر المكتبة الإسلامية- طهران.
- ٣٠- معجم البلدان لياقوت الحموي، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٣٩٩ هـ. ق.
- ٣١- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية- قم.
- ٣٢- نقد الرجال للتفريشي، نشر مكتبة الرسول المصطفى- قم.
- ٣٣- نيات الحج والعمرة للشهيد الثاني، نشر في مجلة «مقات الحج» العدد رقم ٢- بتحقيقنا.
- ٣٤- وسائل الشيعة للشيخ الحرّ العاملي، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٤٠٣ هـ. ق.

الهوامش:

من معالم الحج والزيارة يللملم

ص: ٤٤

من معالم الحج والزيارة يللم

الدكتور عبد الهادي الفضلي

يللم معلمة من معالم الحج المهمة لأنه من المواقيت التي وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله، والحديث فيه أو البحث عنه يتطلب

تصنيف الموضوع إلى الجوانب التالية:

١- البحث عنه لغوياً.

٢- البحث عنه جغرافياً.

٣- البحث عنه حديثاً.

٤- البحث عنه فقهاً.

فنقول- والله ولي التوفيق:-

يللم لغوياً:

- (لغات الكلمة):

ذكرت المعاجم التي بين يدي ثلاث لغات (لهجات) للكلمة، هي: (يللم)، (ألملم)، (يرموم).

ص: ٤٥

وسمعت عند زيارتي للمنطقة من بعض أفراد قبيلة (فَهْم) القاطنين في أرض (الوُديان) من مركز يللم ثلاث لهجات، هي: يللم وألملم، ومللم... ويضيف الهمداني في (صفة جزيرة العرب) ص ٣٢٦ لهجة أخرى هي: (لملم).

– (جذر الكلمة):

وقد أدى تعدد اللهجة في هذه الكلمة على الاختلاف بين اللغويين في تحديد جذر الكلمة والمادة الأصلية لها التي تدرج في المعجم تحت عنوانها، ويرجع إليها لمعرفة معناها اللغوي إلى الأقوال التالية:

١- ذهب الأزهرى وابن فارس إلى أن الكلمة من المزيد الذى فى أوله ياء، قال ابن فارس فى (المجمل) - ٩٤٣ / ٤ - ٩٤٤ - (باب ما زاد على ثلاثة أحرف أوله ياء): «اليسروع: دويبة تشبه بها أصابع النساء لنعومتها وبياضها، وبيرين:

موضع، وكذلك [يمؤود] ويللم... وسبيل الياء سبيل الهمزة الزائدة فى الرباعى والخماسى، لأن الياء إنما يعتبر بها فى هذين البابين الحرف الذى بعدها».

وقال فى (المقاييس) - ١٦٠ / ٦ - : «فأما ما زاد على الثلاثة فى هذا الباب مثل (اليربوع) وهى دويبة، و (بيرين) وهو موضع، و (يمؤود) و (يللم) وهما موضعان، و (اليرندج) وهى جلود سود، وما أشبه ذلك، فإن سبيل الياء فى أوائلها سبيل الهمزة فى الرباعى والخماسى فانهما زائدتان، وانما الاعتبار بما يجىء بعد الياء، كما هو الاعتبار فى باب الهمزة بما يجىء بعدها».

ونستخلص منه: أن جذر الكلمة ومادتها عنده (لملم)، والياء فى (يللم) مزيدة، والألف فى (ألملم) مبدلة من الياء، وفى (يرموم) زيدت الياء، وأبدلت الراء ان من اللامين.

وتابعهما على ذلك المعلم البستاني فى (محيط المحيط) فذكر الكلمة بلغاتها الثلاث فى مادة (لملم).

٢- وذكر ابن منظور فى (لسان العرب): يللم فى مادة (يلم)، ويرموم فى مادة

ص: ٤٦

(رلم)، ويللم وألملم في مادة (لمم).

ويعنى هذا أن جذر الكلمة عنده ومادتها ثلاثي، وهو بالنسبة إلى كلمة (يرموم): (رلمم)، و (يللمم) من غير إبدال (يلم)، وإبدال يائها همزة (لمم).

وتابعه على ذلك الفيومي في (المصباح المنير) مع فارق اعتباره الأصل في الكلمة (ألملم) - بالهمزة -، والياء في (يللمم) مبدلته من الهمزة، ولذا اعتد جذر الكلمة ومادتها (ألم).

ونسق (المعجم الكبير) نسق (المصباح المنير)، وكذلك (تاج العروس) حيث ذكرت الكلمة فيه في مواد: (يلم) و (لمم) و (رلمم). - (وزن الكلمة):

أما وزن الكلمة فلا - خلاف بينهم في أن وزنها (فَعْلَعَلْ)، قال ابن منظور في (اللسان) - مادة يلم - : «قال ابن بري: قال أبو علي: يللمم فَعْلَعَلْ، الياء فاء الكلمة واللام عينها والميم لامها».

ويدل هذا على أن الياء في الكلمة أصل وليس زائداً، وهو ما ذهب إليه ابن منظور - كما تقدم. يللمم جغرافياً:

قال البكري في (معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع) - ١/ ١٨٧:

«ألملم - بفتح أوله - قال أبو الفتح: هو فَعْلَعَلْ - بفتح أوله - كَصِيْمَحْمَح، ولا يكون من لفظ لملمت، لأن ذوات الأربعة لا تلحقها الزيادة في أولها إلّا في الأسماء الجارية على أفعالها، نحو مُدْخَرَج.

ويقال أيضاً: يللمم، وكذلك القول فيه، لأن الياء بدل من الهمزة. وهو جبل من كبار جبال تهامة، على ليلتين من مكة، أهله كنانة، وأوديته تصب في البحر، قال سلمى بن المُقَعَد:

ولقد نزعنا من مجالس نخلة فنجيزٌ من حُتْنِ بياضِ ألملما» وفي ٢/ ١٣٩٨ قال: «يللمم - بفتح أوله وثانيه - جبل على ليلتين من مكة، من جبال تهامة، وأهل كنانة، تنحدر أوديته إلى البحر. وهو في طريق اليمن إلى مكة، وهو ميقات من حج من هناك.

ويقال: ألملم - بالهمز - وهو الأصل، والياء بدل من الهمزة، - وقد تقدم ذلك في حرف الهمزة -، وقال طفيل:

وسلهبة تنضو الجياد كأنها رداءٌ تدلت من فروع يللمم وقال ابن مُقَبِل:

تراعى عنوداً في الريا وكأنها سهيل بدا في عارض من يللمما» وقال الهمداني في (صفة جزيرة العرب): ص ٣٢٦: «ويللمم: ميقات أهل تهامة.

وجاء في بعض الحديث: ألملم، مكان الياء همزة، قال طفيل:

وسلهبة تنضو الجياد كأنها رداءٌ تدلت من فروع يللمم وقال: لملم أيضاً،.

وقال ياقوت في (معجم البلدان) - ٥/ ٤٤١ - : «يللمم: ويقال:

ألملم - والململم المجموع - : موضع على ليلتين من مكة، وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد معاذ بن جبل. وقال المرزوقي: هو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث.

وقيل: هو وادٍ هناك. قال أبو دهب:

فما نام من راعٍ ولا ارتد سامرٌ من الحى حتى جاوزت بي يللمما» وقال البلاذري في (معجم معالم الحجاز) - ١٠/ ٢٨ - ٢٩ - : «يللمم - ياء مثناة

ص: ٤٨

تحت، مفتوحة، وتكرير اللام والميم:- واد فحل من أودية الحجاز التهامية يأخذ أعلى مساقط مياهه من شفا بنى سفيان، على قرابة (٣٠) كيلاً جنوب غربى الطائف، ثم يندفع غرباً فى انحدار عميق بين صلاهيج (١) جبال فيمر بالسعدية ميقات أهل اليمن على طريق تهامة، على (١٠٠ كيل) جنوب مكة، فيصب فى البحر جنوب جدة على مسافة مرحلتين.

وهو واد متعدد الروافد، منها: حُثْن، ووَدْيَان، وتَصِيل، ونُمار، وشكيل، وغيرها كثير مما يجعل سيله جارفاً. وبه بعض الأراضى الصالحة للزراعة، ولكن لم تستصلح بعد. ونباته الأراك.

وسكانه: فى صدره: فَهْم، وبقية بنى صاهله من هُدَيْل، وأسفله: المجادله من بنى شعبه من كنانة. وروافده الشماليه من ديار هُدَيْل.

فيه مركز حكومى تابع لإماره الليث، وبه مركز صحى، ومقترح انشاء مدرسه فى السعديه، وقد أنشئت، وأنشئت مدرسه بالملاقى حيث الاماره.

وإمارته تضم قبيله فهم فقط.

أما أسافله ففى السعديه اماره تابعه لقائم مقام مكة».

وقال فى المصدر نفسه ص ٢٩: «يللم، ويقال: ألملم، والململم المجموع:

موضع على ليلتين من مكة، وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد معاذ بن جبل.

وقال المرزوقى: هو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث.

وقيل: هو واد هناك، قال أبو دهيل:

فما نام راعٍ ولا ارتد سامرٌ من الحى حتى جاوزت بي يللمما (٢) وقال البكرى: من جبال تهامة، وأهله كنانة، تنحدر أوديته إلى البحر، وهو فى طريق اليمن إلى مكة، وهو ميقات من حج من هناك، ويقال: ألملم- بالهمزة-

١-١ صلاهيج: جمع صَلَّج وهى الصخرة العظيمة.

٢-٢ إلى هنا- مما ذكره البلادى- هو نص عبارة ياقوت المنقولة فى أعلاه، ولا أدرى لماذا لم يُشر البلادى إلى ذلك؟

ص: ٤٩

وهو الأصل، والياء بدل من الهمزة- وقد تقدم في حرف الهمزة-، وقال طفيل:
وسلهبه تنضو الجياد وكأنها سهيل بدا في عارض من يللمما». وجاء في (المعجم الكبير)- مادة ألملم-: «ألملم (فَعَلَّعَل): جبل من جبال
تهامة على ليلتين من مكّة (نحو ٦٠ ك.م)، وهو ميقات أهل اليمن وأهل تهامة في الحج.
وأهله كنانة، وأوديته تصب في البحر».

وفي (محيط المحيط)- مادة لملم-: «ويللم أو ألملم أو يرمرم: ميقات أهل اليمن، وهو جبل على مرحلتين من مكّة».
وفي (المصباح المنير)- مادة ألم-: «وألملم: جبل «في» تهامة، على ليلتين من مكّة، وهو ميقات أهل اليمن».
وفي (النهاية)- لابن الأثير-: «يلملم: فيه ذكر (يلملم) وهو ميقات أهل اليمن، بينه وبين مكّة ليلتان».
وقال الزبيدي في (تاج العروس)- مادة لمم-: «ويللم وألملم أو يرمرم، الثانية على البدل، ميقات أهل اليمن، للإحرام بالحج، وهو
جبل على مرحلتين من مكّة، وقد وردت».

ونستنتج من هذا:

١- أن الجغرافيين واللغويين القدامى اتبعوا في تحديد موقع (يلملم) الطريقة المألوفة لديهم قديماً، وهي اعتبار الوحدة القياسية للمسافة
بين منزلين (والمنزل- هنا- يراد به ما تنزله القوافل اثناء قطعها للمسافات) الليلة، ويريدون بها الامتداد المكاني الذي يقطعه السائر في
نحو ليلة زمنية.

وقد يطلقون على الليلة باعتبارها وحدة قياسية للمسافة المرحلة- كما رأينا في نص التاج-.

ص: ٥٠

وتقدر الليلة بالكيلومتر (الوحدة القياسية المتعارفة الآن في بلداننا الاسلامية) ب (٥٠ كم) - خمسين كيلومتراً - قد تنقص قليلاً، نظراً لاختلاف الطرق التي كانت تسلك قديماً سهوله وحزونه.

٢- ان يللم منزل من منازل الطريق بين مكّة المكرّمه واليمن، ويبعد عن مكّة بمرحلتين أو ليلتين، أي: بينه وبين مكّة المكرّمه حوالي (١٠٠ كم) - مئة كيلومتر -.

وقدّرت المسافه في بعض المناسك - أمثال: منسك الشيخ محمد طاهر الخاقاني ومنسك الشهيد الصدر ومنسك السيد الكلبايگاني - ب (٩٤ كم) - أربعة وتسعين كيلومتراً.

وهنا لابدّ من التنبيه علماً أن لليمن إلى مكّة المكرّمه ثلاثه طرق، هي:

١- طريق تهامه، وهو الذي يمر بيلملم.

٢- طريق صنعاء - صعده، ويمر ببيشه فوادي تُربّه فقرن المنازل فمكّه.

٣- طريق حضرموت - نجران، ويلتقى مع الطريق الثاني بقرن تليث، فيمر أيضاً بقرن المنازل.

فالطريق المقصود هنا هو طريق تهامه.

ومنازله - كما في (مناسك) الحربي ص ٦٤٣ - هي: صنعاء - جازان - الليث - يللملم - مكّه.

وعليه تكون النتيجة: إن لمعرفة موقع يللملم أمارتين هما:

أ- وقوعه على طريق اليمن - مكّة التهامي.

ب- وعلى بُعد مرحلتين أو ليلتين من مكّه.

وقد قمت في يوم الأحد ١٥ / ٦ / ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٧ / ١ / ١٩٨٩ م برحلة استطلاعية بغية إجراء دراسة ميدانية للموقع الراهن.

غادرت جدّه الساعة الثامنة صباحاً بسيارة (جيب تويوتا)، وكان معي

ص: ٥١

ابنای معاد وفؤاد وابنا عمتهما وهما السيدان حسن وحسين الخليفة، وسلطنا من مكّة المكرّمة الطريق الساحلي الذي يعرف بطريق الليث، وطريق اليمن الساحلي.

وأهم المدن التي يمر بها الطريق، هي: مكّة المكرّمة - القنفذة - جيزان - حرض (وهو جمر ك الحدود السعودية) - اليمن. وبعد ١٠٠ كم من مكّة تقع على يمين الطريق محطة بنزين تعرف ب (محطة الطفيل) - بفتح الطاء -، ويقابلها على يسرة الطريق مسجد حديث من انشاء الحكومة السعودية للاحرام منه باعتباره محاذياً للميقات، إلآ انه كان مغلقاً ومهملاً حال وصولنا إليه؛ لغزوف الحجاج عن الاحرام منه بسبب عدم تيقنهم محاذاته للميقات.

وبعد ١١٠ كم من مكّة وعلى يمين الطريق أيضاً هناك محطة تسمى (محطة المجيرمة)، وتحاذي هذه المحطة مركز السعيدة الآتي ذكره بعد قليل.

وبعد ١٢٦ كم من مكّة على يسار الطريق محطة ثالثة معروفة ب (محطة الميقات) لأنها تحاذي ميقات يللم، وقد أشير إلى هذا في لوحة منصوبة على حافة الطريق، وفيها مسجد من الطين رجع بناؤه إلى عهد قريب، وآخر من البناء الجاهز من إنشاء الحكومة السعودية، وحمامات بدائية مصنوعة من الخشب العادي لاغتسال الحجاج، ينقل إليها الماء يدوياً من صهاريج من الصفيح قريبة من المقهى، وفيها أكثر من مقهى وأكثر من بقالة لبيع المواد الغذائية وملابس الاحرام، وأكثر من مطعم، وكلها من النوع الشعبي البدوي. وعندما وصلنا إلى محطة الطفيل المذكورة في الساعة العاشرة قبل الظهر انحدرنا يسرة الطريق العام من منعطف قبيل المسجد المغلق - المشار إليه - في طريق ترابية ممهدة تمهيداً يسيراً.

وسار بنا هذا الطريق آخذاً إلى اليمن حتى صب - بعد مسافة قصيرة - في وادي يللم.

ص: ٥٢

وبعد أن قطعنا حوالي ٢٥ كم من هذا الطريق وصلنا إلى مركز (السعدية).

ورأينا في هذا المركز على حافة الوادي اليمنى بستاناً لأحد أهالي مكة كما قال لنا شخص كان يستقى الماء هناك.

وعلى مقربة من حافته اليسرى رأينا بئراً عميقة وقديمة، عليها مضخة كهربائية تنقل الماء إلى خزان منصوب على حافة الوادي اليسرى،

وفي داخل البئر على الجهة المقابلة للقبلة صخرة ملصقة في جدارها كتب عليها العبارة التالية:

«هذه بئر العلي سلطان الهند ذي الإجلال محمد على خان رحمه الله. صلى الله على محمد وآله. سنة ١١٧١هـ».

وعلى حافة الوادي اليسرى قريباً من البئر مسجد حديث ومدرسة ومستوصف، وهي من منشآت الحكومة السعودية، وبقاله وورشه

لإصلاح السيارات.

وبعد بئر السعدية بحوالي كيلوين بئر أخرى مندثرة، وبالقرب منها على حافة الوادي اليسرى قلعة حربية صغيرة، تشبه تماماً في تصميمها

العام وأحجارها وألوانها محطة قطار الحجاز بالمدينة المنورة، كتب على إحدى أحجارها: «٩٩١ محمد على بكسحاى (؟)».

ودلفنا إلى يللم مع الوادي، وبعد مسافة غير قليلة ضللنا الطريق خارجين من الوادي إلى حرة على مرتفع حافته اليسرى، ثم وبعد

السؤال من رعاة هناك اهتدينا إلى الطريق وهبطنا الوادي ثانية، حتى انتهى بنا بعد خمسة وعشرين كيلومتراً من السعدية، إلى الوديان،

وهو مركز يللم.

وفيه محطة بنزين وعدة بقالات ومطعمان ومقهى ومسجد حديث من إنشاء الحكومة السعودية سنة ١٤٠٢ هـ، ومدرسة للبنات وأخرى

للبنين ومركز حكومي للإمارة، مكتوب على لوحته: (مركز إمارة يللم التابعة لإمارة الليث)، وإمارة الليث تتبع إمارة مكة المكرمة.

ص: ٥٣

وفيه أيضاً بعض الورش لإصلاح السيارات ولصناعة الأبواب والشبابيك الحديدية، وورش نجارة. كما أن فيه بيوتاً قليلة بدوية المادة والبناء.

ويشرف على المركز في شرقي جنوبه جبل يلملم، ويسميه أبناء الوادي (يلملم) و (الوعرة) (١).

وقمنا بتصوير الجبل وبعض المرافق كالمسجد والمستوصف ومدرسة البنين.

وكان وصولنا إليه في الساعة الثانية عشرة قبيل الظهر بنصف ساعة.

وبعد أن تناولنا الغداء في أحد مطعميه، عدنا يضمنا بطن الوادي، الذي مررنا فيه على كثير من شجر الشمر والأراك.

ورأينا في جزء منه عين تنز الماء نزاً، ويسيل منها إلى مسافة لا تقل عن أربعة أو خمسة كيلومترات وسط نهر صغير.

وشاهدنا في أكثر من موضع في الوادي، وفي الحرار على حافته محارق لصنع الفحم من أخشاب شجر الوادي، يعمل فيها سكان

الوادي، وهي على الطريقة البدائية: حفرة صغيرة لا تزيد على مترين في ثلاثة أمتار، يطرح فيها الخشب ويغطي بشيء من الأعشاب

اليابسة، ثم يلقي عليه قليل من النفط لإشعال النار، وتغلق الحفرة بالصفيح، ويستمر الإحراق نهاراً كاملاً.

وابتعنا كيساً كبيراً من الفحم بخمسين ريالاً للاستعمال المنزلي.

وصلينا الظهر في مسجد السعدية، ووصلنا إلى جده الساعة الرابعة عصراً، والحمد لله على التوفيق والسلامة.

ولا يفوتني أن أشير إلى أن سكان الوادي من جهة يلملم قبيلة (فهم)، ومن جهة السعدية قبيلة (الجحادلة).

(نتائج الاستطلاع):

١- أن وادي يلملم يبدأ من سفح جبل يلملم ضيقاً ثم يتسع شيئاً فشيئاً حتى

١-١ يقال جبل واعر لصلابه وحزونه مرتقاه، ولعل التسمية اخذت من هذا.

ص: ٥٤

يتلاشى بعد السعدية وقبيل الطريق الساحلى العام، ليلتقى مع أودية أخرى تصب جميعها فى البحر الأحمر.

٢- أن قمة جبل يللملم تشبه فى شكلها الاسطوانى قمة جبل النور بمكة المكرمة.

٣- لم نهتد إلى رؤية أثر من بقايا طريق اليمن القديم المار بيللملم مباشرة، الذى ذكره غير واحد من الجغرافيين والمؤرخين، ومنهم الحربى فى (المناسك)- كما تقدم.

وممن ذكره الهمدانى فى (صفة جزيرة العرب) ص ٣٤١ قال: «محجة صنعاء إلى مكة- طريقة تهامة: من صنعاء: صليت من البون ثم الموبد ثم أسفل العرقة وأخرف ثم الصرجه ثم رأس الشقيقة ثم حرض ثم الخصوف من بلد حكم ثم البحر ثم عثر ثم بيض ثم زنيف ثم ضنكان ثم المعقد ثم حكى ثم الجو ثم الجوينية من قنونا وتسمى القنأة ثم دوفة وهى للعبيدين من بقايا جرحهم ثم إلى السرين ثم المعجز ثم الخيال ثم إلى يللملم ثم ملكان ثم مكة. هذه طريق الساحل.

والمحجة القديمة إلى حلى العليا وتسمى حلية، وإليها ينسب أسود حلية، وهى التى يعنى الشنفرى بقوله:

بريحانة من بطن حلية نورت لها أرج من حولها غير منست ثم إلى عشم ثم على الليث ومركوب إلى يللملم».

٤- رأينا آثاراً تدل على أن طريق الحاج كان يمر بالسعدية- التى هى محاذية ليللملم على بعد ٢٥ كم- منها: اصلاح بئرها، والبئر الأخرى الواقعة قريباً منها، والقلعة الحربية.

ويستنتج من نسبة إنشاء بئر السعدية والقلعة بعدها إلى الهنود أن حجاج الهند كانوا يمرون من هنا.

ص: ٥٥

ويؤيد هذا ما جاء في محاضرة للاستاذ حسن بن ابراهيم الفقيه عميد الكلية المتوسطة بالقنفذة، التي ألقاها في قاعة المسرح بمقر قيادة سلاح الحدود بالقنفذة، ونشر عدد الأربعاء الأسبوعي من جريدة (المدينة) - التي تصدر بجدء - تعريفاً لها ومقتطفات منها، بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٤٠٩ هـ، وعنوانها: (القنفذة مدينة قديمة يعود تاريخها إلى القرن الثامن الهجري)، فقد جاء فيها: «وتسجل بعض الوثائق التاريخية استخدام مينائها (ميناء القنفذة) باباً لمكة المكرمة يدخل عن طريقه حجاج جنوب الجزيرة العربية وحجاج جنوب شرق آسيا وخاصة حجاج الهند».

ولعل ما جاء في (كتاب الفقه على المذاهب الأربعة) - ١ / ٦٤٠ - من أن يللمل ميقات لأهل اليمن والهند، يشير إلى هذا أيضاً ويؤكده. ويعنى هذا أن الطريق القديم المار بيلملم مباشرة تحول إلى طريق السعدية، ثم تحول إلى الطريق الساحلى الحاضر.

وبين طريق يللمل الراهن ٢٥ كم، فيكون بين موضع المحاذاة فى الطريق الراهن وجبل يللمل ٥٠ كم.

وممن أشار إلى اتخاذ حجاج اليمن موضع السعدية محرماً المؤرخ التركى أيوب صبرى باشا فى كتابه (مرآة جزيرة العرب) - ٢ / ٢٤٦ - ترجمه الدكتور أحمد فؤاد متولى والدكتور الصفصافى أحمد المرسى، فقد جاء فيه تحت عنوان: (بداية المحمل اليمنى وانقطاعه): «بدأ الوزير مصطفى باشا والى اليمن ينظم موكب المحمل الشريف باسم محمل صنعاء اليمن منذ سنة ٩٦٣ هـ بعد الفرمان الصادر بهذا الخصوص، والذي يسمح له بذلك، وعند وصول المحمل المذكور إلى مكة المكرمة كان المرحوم الشريف حسن يستقبله فى (بركة ماجن) ثم يدخل المدينة».

تتحرك القوافل من (جبس) وتتجه نحو زبيد وتبقى فى موقع (المخا) الواقع فى الجنوب من الموقع السابق.

ص: ٥٦

وتتحرك القافلة من زبيد متجهة نحو مرحلة (رفع) ومنها إلى (بيت العقبة الصغير) ومن هناك إلى (قطيع) ومنها إلى (المنصورية) ثم قلعة (فراوع) ومنها إلى (غاغية) ثم تنزل القوافل في (بيت الفقيه الكبير).

وأحياناً يسلك حجاج صنعاء طريق بلاد (حباب وطويلة وبلاد بني الخياط وبلاد بني الأهلية) ثم يواصلون سيرهم في الطريق المعتاد. وتتجه القوافل التي ترد من أحد هذين الطريقين من بيت فقيه إلى (صعلب) ومنها إلى (دومة)، ومن هناك إلى (حيوان) وبعدها إلى (عالية)، ومنها إلى (أبو عريش) ثم (سلامة)، ومنها إلى (ربيش) ومن هناك إلى (نماو) ومن نماو إلى (عتود) ومنها إلى (شفيق) ثم (أبيار)، ومن هناك إلى (دهيان) حيث تحط القوافل رحالها تستريح وتتزود بزاد الطريق. وتكثر الأشجار المسماة (شجر المقل) في أراضي مرحلة دهيان هذه.

وتدخل قوافل الحج التي تغادر دهيان إلى منزل (بركة) التي من جملة آثار عمرو بن منصور من ملوك بني رسول. ثم تتحرك القوافل نحو (شفق)، ومنها تعاود سيرها حتى تنزل في استراحة (قنوتا)، وهذه الاستراحة في وادٍ مياهه وفيرة، وله اسم آخر هو (الواديين).

وتصل القوافل التي تغادر مرحلة قنوتا إلى (ليثة) [/ الليث]، ثم منزل (هصم) المشهور بكثرة مائه، ثم تصل مرحلة (سعدية) التي تعد ميقات سكان تهامة اليمن.

وتعتبر مرحلة سعدية هذه من أكثر المراحل ماء، وتبعد عن منزل (يلملم) ثمانية عشر ميلاً.

٥- أن ما يعرف الآن بمحطة الميقات، والتي هي محرم الحاج في عصرنا هذا، لا تحاذى السعدية، ولكن بالإمكان أن تحاذى يلملم لانعطاف الوادي.

والمحطة التي تليها والتي تعرف بمحطة المجيرمة تحاذى السعدية، ولأنها تحاذى

ص: ٥٧

السعدية تحاذى يلملم أيضاً.

أما محطة الطفيل فتحاذى السعدية ويلملم معاً، وقد أنشأت الحكومة السعودية فيها مسجداً ليكون المحرم المحاذى، ولكن عزوف الحاج اليماني عنه واستمراره على الإحرام من محطة الميقات، استدعى الحكومة غلقه والإعراض عنه. يلملم حديثاً:

ورد توقيت (يلملم) محرماً في الأحاديث التي تكفلت بذكر المواقيت الخمسة، وهي أمثال:

- صحيح معاوية بن عمار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: قال: «من تمام الحج والعمرة أن تحرم من المواقيت التي وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله، لا تجاوزها إلا وأنت محرم، فإنه وقت لأهل العراق - ولم يكن يومئذ عراق - بطن العقيق من قبل أهل العراق، ووقت لأهل اليمن يلملم، ووقت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقت لأهل المغرب الجحفة - وهي مهيعة - ووقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ومن كان منزله خلف هذه المواقيت من ما يلي مكة فوقته منزله» (١).

- حسن الحلبي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «الإحرام من مواقيت خمسة، وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله، لا ينبغي لحاج ولا لمعتمر أن يحرم قبلها ولا بعدها.

وقت لأهل المدينة ذا الحليفة وهو مسجد الشجرة، يصلى فيه ويفرض الحج، ووقت لأهل الشام الجحفة، ووقت لأهل نجد العقيق، ووقت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقت لأهل اليمن يلملم، ولا ينبغي لأحد أن يرغب عن مواقيت رسول الله صلى الله عليه وآله» (٢).

وبهذين الحديثين الشريفيين وأمثالهما احتج فقهاؤنا على مشروعية توقيت يلملم محرماً، وشرعية الإحرام منه. وهناك أحاديث أخرى ذكر فيها أن وقت أهل اليمن هو قرن المنازل، كالذي

١-١ الوسائل: الباب الأول من اليواقيت.

٢-٢ الوسائل: الباب الأول من اليواقيت.

ص: ٥٨

رواه عبدالله بن جعفر في (قرب الإسناد) عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن ابن محبوب عن علي بن رثاب، قال: سألت أبا عبدالله (الصادق) عليه السلام عن الأوقات التي وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله للناس، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وقت لأهل المدينة ذا الحليفة وهي الشجرة، ووقت لأهل الشام الجحفة، ووقت لأهل اليمن قرن المنازل، ولأهل نجد العقيق» (١).

والجمع بين الطائفتين من أحاديث التوقيت لأهل اليمن، هو أن الأحاديث التي ذكر فيها أن يللملم هو وقت أهل اليمن أريد بها من يمر من أهل اليمن على طريق تهامة- وهو الطريق الساحلي- والأول من الطرق الثلاثة التي ذكرتها آنفاً نقلاً عن (مناسك الحربي).

أما الأحاديث التي ذكر فيها أن ميقات أهل اليمن هو قرن المنازل، فأريد بها من يسلك من أهل اليمن أحد الطريقين الآخرين اللذين يمران بقرن المنازل، وهما:

طريق صنعاء- صعده، وطريق حضرموت- نجران، أو غيرهما من الطرق المارة بالطائف.

وبهذا تكون الأحاديث بمجموعيتها قد غطت جميع الطرق من اليمن إلى مكة المكرمة، التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله في العصر الإسلامي الأول وما بعده حتى عصرنا هذا.

يللملم فقهياً:

واستناداً إلى النصوص الشرعية المتقدمة وأمثالها أفتى فقهاؤنا بمشروعية اعتبار يللملم محرماً، وبشرعية الإحرام منه، ولا خلاف بينهم في ذلك.

وقد اختلفت عباراتهم في التعبير عن ذلك بين مطلق ومقيد، ومنها:

- ما جاء في (المقنع) و (الهداية) للصدوق و (النهاية) و (الجمل) للطوسي و (الشرائع) للمحقق: «ولأهل اليمن يللملم».

- وفي (المقنعة) للمفيد: «ووقت لأهل اليمن يللملم، وهي ميقاتهم وميقات كل (١)».

ص: ٥٩

من صحبهم من الحاج في طريقهم ومّر عليه».

- وفي (الجميل) للمرئضى و (الكافى) لابن الصلاح و (المراسم) لسّار و (الجامع) لابن سعيد: «وميقات أهل اليمن يلملم».
- وفي (الاصباح) للصهرشتى و (الغنية) لابن زهرة: «ولمن حجّ على طريق اليمن يلملم».
- وفي (المهذب) لابن البراج: «ويللمم وذلك ميقات أهل اليمن ومن حجّ على طريقهم».
- وفي (السرائر) لابن إدريس: «ووقت لأهل اليمن جبلاً يقال له يلملم، ويقال ألملم».
- وفي (الإشارة) لابن أبى الفضل: «أو يلملم ويختص باليمنيين ومّن نحا نحوهم».
- وفي (الوسيلة) لابن حمزة: «والرابع ميقات أهل اليمن وهو يلملم».
- وفي (القواعد) للعلامة و (الابتهاج) لآل عصفور: «ولليمن جبل يقال له يلملم».
- وفي (اللمعة) للشهيد: «ويللمم لليمن» (١).
- وفي (الهداية) لفتاوى الشيخ يوسف البحرانى: «ويللمم لأهل اليمن ومّن والاهم».
- وفي (العروة) لليزدى: «الرابع يلملم وهو لأهل اليمن».
- وفي (المنهاج) للحكيم: «الخامس يلملم وهو ميقات أهل اليمن ومّن عبر على طريقهم إلى مكّة من أهل الآفاق الأخر».
- وفي (المنهج) للخنيزى: «ويللمم لأهل اليمن».
- وفي (المناسك) للخونى: «الرابع يلملم وهو ميقات من أراد الحج عن طريق اليمن».

١-١ انظر: مجموعة الحج اعداد الشيخ على اصغر مرواريد ط. ١ سنة ١٤٠٦ هـ.

ص: ٦٠

- وفي (الموجز) للصدر: «الرابع يلملم» وهو جبل من جبال تهامة، ويقال إن بعده عن مكة يقدر بأربعة وتسعين كيلومتراً.
- وفي (الرسالة) للخاقاني: «الميقات الرابع يلملم وهو ميقات أهل اليمن وكل من جاء على طريق يلملم وجب عليه الإحرام منه، ويبعد هذا الميقات عن مكة بأربعة وتسعين كيلومتراً».
- وفي (المناسك) للكلبايگاني: «خامساً يلملم وهو جبل من جبال تهامة، ويبعد عن مكة المكرّمة أربعة وتسعين كيلومتراً تقريباً، وهو ميقات أهل اليمن ومن يمر على طريقهم إلى مكة من أهل الآفاق والأقطار والأمصار الأخرى» (١).
- أطلت بذكر الفتاوى لأئمة على شيء مهم هنا، وهو أن جميع هؤلاء المفتين قصرُوا ميقات أهل اليمن على يلملم، والأمر - كما رأينا في النصوص الشرعية من الروايات المذكورة في أعلاه وأمثالها - ليس كذلك، لأن لليمن طرقاً أخرى لا تمر على يلملم، وانها تسلك إلى الطائف حيث يكون الميقات قرن المنازل، والمحرم المحاذي وادي محرم.
- ولأن الفتاوى - عادةً - يفتى بها ليعمل المقلد على وفقها، كان على المفتي تعرف طرق اليمن أولاً والمنازل التي تمر بها إلى مكة، ثم الإفتاء في ضوء هذا.
- فكان الذي ينبغي أن يعبر به للافتاء أن يقال: (يلملم: ميقات من يسلك طريق اليمن التهامي (أو الساحلي) ماراً به - سواء كان من أهل اليمن أو تهامة أو غيرهما).
- وليس هذا الأمر من الإطلاق في التعبير قاصراً على فقهاء الإمامية، فقد رأيت فيما لدى من كتب الفقه السني ما يشارك كتبنا الفقهية في هذا، ومنه:
- ما جاء في (المحلي) لابن حزم ٧/ ٧٠: «ولمن جاء على طريق اليمن منها أو من جميع البلاد يلملم، وهو جنوب مكة، ومنه إلى مكة ثلاثون ميلاً».
- وفي (الروض المربع) للبهوتي: «وميقات أهل اليمن يلملم، بينه وبين مكة

١- ١ لم اذكر أرقام الصفحات من هذه الكتب المنقول عنها؛ لأن موضوع المنقولات معلوم وهو المواقيت.

ص: ٤١

ليلتان».

- وفي (كتاب الفقه على المذاهب الأربعة) ١ / ٤٤٠: «والميقات لأهل اليمن والهند يللملم - بفتح اللامين وسكون الميم بينهما - وهو جبل من جبال تهامة على مرحلتين من مكة».

- وفي (فقه السنة) لسيد سابق: «والميقات أهل اليمن يللملم، جبل يقع جنوب مكة، بينه وبينها ٥٤ كيلومتراً».

- وفي (التحقيق والإيضاح) لابن باز: «الرابع يللملم وهو ميقات أهل اليمن».

نعم، يستثنى من هذه الملاحظة الإمام الشافعي رضى الله عنه فقد تنبه لذلك، وكانت عباراته وافية بالمطلوب، وشاملة لطرق اليمن جميعها.

وقد يرجع هذا إلى أنه ابن مكة، فهو أعرف من سواه بالطرق المؤدية إليها، قال في (الأم) ١ / ١٥٢ - ١٥٣: «وان قوله (يهل أهل المدينة من ذى الحليفة) إنما هو لأنهم يخرجون من بلادهم وقد يكون ذو الحليفة طريقهم وأول ميقات يمرون به».

وقوله: (وأهل الشام من الجحفة) لأنهم يخرجون من بلادهم والجحفة طريقهم وأول ميقات يمرون به، ليست المدينة ولا ذو الحليفة طريقهم، إلا أن يعرجوا إليها.

وكذلك قوله في أهل نجد واليمن، لأن كل واحد منهم خارج من بلده، وكذلك أول ميقات يمرون به.

وفيه معنى آخر أن أهل نجد اليمن يمرون بقرن، فلما كانت طريقهم، ولم يكلفوا أن يأتوا يللملم، وأن ميقات يللملم لأهل غور اليمن وتهامتها ممن هي طريقهم».

- وهنا ملاحظة ثانية هي أن تقدير المسافة بين يللملم ومكة ب (٥٤ كم) أو (٩٤ كم) لا تصدق على الطريق السالك بينهما في عصرنا هذا، وإنما المراد بها الطريق القديم الذى يمر بيللملم مباشرة قبل اندثاره. ولأن المناسك والكتب الفقهية التى ذكرت فيها هذه التقديرات لفقهاء

ص: ٦٢

معاصرين كان ينبغي لهم تقدير المسافة وفق واقعها الحاضر.

والواقع الحاضر هو أن المسافة بين مكة المكرمة ومن موضع المحاذاة إلى جبل يللم في مركز يللم (الوذيان) حوالي ٥٠ كم. ولهذا لا بد من ذكر الطرق الراهنة السالكة إلى مكة من اليمن وتهامه؛ لأضعها بين يدي الفقهاء الأجلاء للإفادة منها في مجال الإفتاء، وهي:

١- اليمن - جيزان - القنفذة - قرن المنازل

المخوأة - الباحة - الطائف (السييل الكبير) مكة

الليث - مفرق المضيليف وادي محرم

محاذاة يللم - مكة

قرن المنازل (السييل الكبير) - مكة

المخوأة - الباحة - الطائف وادي محرم - مكة

٢- اليمن - جيزان - محال المضيليف - محاذاة يللم - مكة

٣- اليمن - جيزان - أبها الباحة - الطائف قرن المنازل (السييل الكبير) - مكة

وادي محرم - مكة

محال المخوأة - الباحة - الطائف قرن (السييل) - مكة

وادي محرم - مكة

المضيليف - محاذاة يللم - مكة

وبعد هذه التطوافة العلمية لا بد من التلميح للترويح بتطوافة أدبية نذكر فيها بعض الشعر العربي ورد فيه ذكر يللم، فقد تغنى الشعراء العرب به مثله مثل المعالم

ص: ٦٣

والمعاهد العربية الأخرى... ومنه:

- قول أبي دَهَبِل وهب بن زمعة الجمحي (ت ٦٣ هـ) يصف ناقه له «لم يكن في زمانها أسير منها ولا أحسن» (١):
 خرجتُ بها من بطن مكّة بعدما أصات المنادى للصلاة وأعتما
 فما نام من راعٍ ولا ارتد سامر من الليل حتى جاوزتُ بي يللمما
 وما ذرّ قرن الشمس حتى تينت بقليبٍ نخلاً مشرفاً ومخيماً
 ومرّت ببطن الليث تهوى كأنها تبادر بالإصباح نهياً مقسماً
 وجازت على البزواء والليل كاسر جناحيه بالبزواء ورداً وأدهما
 فقلت لها قد تعت غير ذميمة وأصبح وادي البرك غيثاً مديماً - قول سلمى بن المقعد:
 ولقد نزعنا من مجالس نخلة فنجيزٌ من حُثنٍ بياضٍ ألملما - قول طفيل:
 وسلهبه تنضو الجياد كأنها رداءٌ تدلت من صخور يللمم - قول ابن مقبل:
 تراعى غوداً في الرواء كأنها سهيل بدا في عارض من يللمما - قول السيد جعفر الحلبي:
 والليل يشهد لي بأني ساهر إن طاب للناس الرقاد وهو موما
 من قرحة لو أنه بيللمم نسفت جوانبه وساخ يللمم - وقول شاعر الحجازيات الشريف الرضي من قصيدة له في رثاء والده

ص: ٦٤

الحسين الموسوي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ والتي مطلعها:

وسمّتك حاليه الربيع المرهم وسقتك ساقية الغمام المرزم ملأ الزمان منائحاً وجرائحاً خَبَطاً ببؤسى في الرجال وأنعم

واستخدم الأيام في أوطاره فليفن أبعد غايه المستخدم

اليوم أغمدت المهند في الثرى ودفنت هَضْب متالع ويللمم - وقوله الآخر:

إني وإن ضرب الحجاب بطوده أو حال دونك يذبل ويللمم

لأراك في مرآة جودك مثلما يلقي العيان الناظر المتوسم - ومن قصيده يهنئ بها الوزير أبا منصور محمد بن الحسن بالمهرجان سنة

٣٧٨ هـ:

إلى كم تصباني الغواني وبينها وبينى عفاف مثل طود يللمم الهوامش:

شروط حج المرأة في بحث فقهي مقارن

ص: ٦٥

شروط حج المرأة في بحث فقهي مقارن

حسن محمد

حسن محمد

لوجوب فريضة الحج على كل من الرجل والمرأة شروط أربعة ذكرها الفقهاء وهي: البلوغ والعقل والحرية، والاستطاعة. وهذه الشروط عليها إجماع علماء الإسلام من كلا الفريقين، وقامت عليها أدلتهم المفصلة. فمن الكتاب الكريم ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً (١)

ومن السنة ذكر كلا الفريقين روايات من طرقه الخاصة على ذلك. كما اتفقت كلمتهم على أنه لا يشترط إذن الزوج للزوجة في الحج الواجب كما لا يجوز له منعها عنه لولا أن علق بعض العامة - كما سنرى - وجوب الحج على إذن الزوج. هذا كله كان محل اتفاق بينهم، إلا أن الخلاف وقع بينهم في شرطين آخرين لوجوب الحج يختصان بالمرأة، وهذان الشرطان هما:

الشرط الأول: أن يكون معها زوجها أو محرماً لها أو نسوة ثقات.

الشرط الثاني: ألا تكون معتدة عن طلاق أو وفاة.

وقد ترتبت على ذلك الخلاف بين فقهاء المسلمين أقوال متعددة تبعاً لأدلتها

ص: ٦٦

نوجزها في هذه المقالة:

الشرط الأول

أقوال فقهاء الفرق الإسلامية:

١- الإمامية: إن ما ذهب إليه فقهاء الإمامية هو أنه ليس هناك فرق في وجوب الحج بين الذكر والانثى والخشى بعد حصول سببه وهو الاستطاعة.

فلا يشترط إذن الزوج للزوجة في الحج إذا ما توفرت لها الاستطاعة. كما لا يشترط لوجوب الحج عليها وجود الزوج أو المحرم لها ويكفي أمن السلامة، وعدم الخوف عليها إذا حجّت وحدها بدون زوج أو محرم (١).

١- إذن الزوج:

لا يشترط إذن الزوج للزوجة في الحج إذا ما توفرت لها الاستطاعة، ولا يجوز له منعها منه، كما أن منعه ليس معيقاً لسفرها، هذا في الحج الواجب، وكذا في الحجّ النذري ونحوه، إذا كان مضيّقاً، وفي المندوب يشترط إذنه، وفي الحج الموسع قبل تضييقه على الأقوى، وكذا في حجة الإسلام له منعها من الخروج مع أول الرفقة مع وجود أخرى قبل تضييق الوقت (٢). وهذا ما عليه فقهاء الإمامية، وإن كان هناك تأمل في الحجّ النذري.

الروايات:

- عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن امرأة لم تحج ولها زوج، وأبى أن يأذن لها في الحج، فغاب زوجها، فهل لها أن تحجّ؟

قال: لا طاعة له عليها في حجة الإسلام (٣).

- عن معاوية بن وهب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: امرأة لها زوج فأبى أن يأذن لها في الحجّ، ولم تحجّ حجة الإسلام، فغاب عنها زوجها وقد نهاها أن تحجّ.

فقال: لا طاعة له عليها في حجة الإسلام ولا كرامته، لتحجّ إن شاءت (٤).

١- المختصر النافع ص ١٠٣، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ١/ ١٦١، الشرائع ١/ ١٦٨، الجواهر ١٧/ ٣٣٠.

٢- ٢ تحرير الوسيلة للإمام الخميني قدس سره ١/ ٣٨٤.

٣- ٣ الوسائل باب: ٥٩ من أبواب وجوب الحج، الحديث ١.

٤- ٤ الوسائل باب: ٥٩١ من أبواب وجوب الحج، الحديث ٣.

ص: ٦٧

- عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن امرأة لها زوج وهي صرورة، ولا يأذن لها في الحج. قال: تحج وإن لم يأذن لها (١).

- وعن الصادق عليه السلام قال: تحج وإن رغم أنفه (٢).

- وفي رواية أخرى: قال عليه السلام: ليس للزوج منعها من حجة الإسلام، وإن خالفته وخرجت لم يكن عليها حرج (٣).

- وقال عليه السلام: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وأيضاً: لا تسخطوا الله برضا أحد من خلقه، ولا تتقربوا إلى الناس بتباعد من الله. وعن علي عليه السلام قال: لا دين لمن دان بطاعة مخلوق في معصية الخالق (٤).

وفي هذا الأمر قال بعض الفقهاء: إن ترك الواجب معصية ولا ريب في ذلك، فكيف يكون للزوج الحق في أن يبطل ما صار واجباً بحق غيره وهو لا يستطيع إبطاله بحق نفسه؟ ثم إن المولى - سبحانه وتعالى - يعطي سلطنته للآخرين فيما لا يتعارض وسلطنته.

والواجبات المفروضة جزء من سلطنته فكيف يمنع ما يعارضها ويناقضها إلأى حالة التخلي عنها وهذا لا دليل عليه؟!.

هذا فيما إذا وجبت عليها حجة الإسلام، وأما فيما إذا تعلق ذمتها بحج وجب بالندب ونحوه. فأيضاً ليس له الحق في منعها منه إذا كان مضيقاً لمراعاة حق الله الذي ترتب عليها بالندب ولقوله عليه السلام: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

فهذا الحديث بل هذه الأحاديث حاكمة على أدلة وجوب طاعة الزوج - وإن كان هناك تأمل في الحج الواجب بالندب وتفصيل مما دعا إلى التوقف نعرض عنه خوف الاطالة (٥) - والنظر إلى هذه الأحاديث يدلنا على أن موضوع حج المرأة التي استقر عليها بعد استطاعتها أمر ليس للزوج منعها عنه.

أما في حالة عدم استطاعتها فإن الحج غير واجب عليها أي هو مندوب وبالتالي لا بد لها من الحصول على إذن الزوج وله أن يمنعها من هذا الحج وليس في

١- ١ الوسائل باب: ٥٩ من أبواب وجوب الحج، الحديث ٤.

٢- ٢ الوسائل باب: ٥٩ من أبواب وجوب الحج، الحديث ٥.

٣- ٣ الوسائل باب: ٥٩ من أبواب وجوب الحج، الحديث ٦.

٤- ٤ انظر الوسائل باب ١١ من أبواب الأمر والنهي من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- ٥ يراجع براهين الحج للكاشاني ١ / ٢٥٠ - ٢٥١، وتفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة للشيخ فاضل اللنكراني ١ / ٣٢٢ - ٣٢٤.

ص: ٦٨

هذا معصية للخالق؛ لأن المعصية تتحقق إذا ما كان هناك وجوبٌ قد وقع، ومنعٌ من الزوج قد حصل. كما أن للزوج أن يمنعها إذا ما كان الواجب موسراً لا مضيئاً انطلاقاً من «ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه» وقد خرج من هذا مورد التضييق فقط، أي إذا كان واجب الحج عليها مضيئاً، فلها أن تخرج من بيتها، وليس له منعها، ففي حالة السعة والحج المندوب ليس في منعه لها معصية، ولا يترتب عليه أي أثر من ذلك، فحق الزوج واجب ولا يفوت بما ليس بواجب.

– عن اسحاق بن عمار، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن المرأة الموسرة قد حجت حجة الإسلام، تقول لزوجها: أحجني من مالي، أله أن يمنعها من ذلك؟

قال: نعم، ويقول لها: حقى عليك أعظم من حقك على في هذا (١).

٢- الزوج، المحرم، الثقات:

ولأهميته التعرّف على المحرم لغته وشرعاً نقول:

حُرْم الشيء، يُحرم حرمةً: امتنع، ويقال حُرْم عليه كذا، أي امتنع عليه فعله... وحُرْم الشيء عليه أو على غيره تحريماً جعله حراماً... الحرام: الممنوع من فعله...

وفي مفردات الراغب: حرم: الحرام: الممنوع منه إنما بتسخير إلهي وإما بمنع قهري، وإما بمنع من جهة العقل، أو من جهة الشرع، أو من جهة من يرتسم أمره...

المَحْرَم: ذو الحرمة جمعها محارم. والمحرم من النساء والرجال: هو الذي يُحرم التزوُّج به لرحمه وقربته. والمحرم: الحرام ويقال: هو ذو محرم منها إذا لم يحلّ له نكاحها...

ومن ذلك: الرَّحْمُ المحرم: هو القريب الذي حُرْم نكاحه أبداً.

وحريم الرجل: ما يدافع عنه ويحميه، ومنه سميت نساء الرجل بالحريم أو أهله.

ص: ٦٩

ومن ذلك سميت المرأة بالحُرْمَة. والحُرْمَة، حرمة الرجل وأصله وجمعها حُرْمٌ (١)...
 والمحرّم ما حَرَّمَ اللهُ تعالى، ومن ضمن ما حرم الله تعالى النساء اللاتي حرم على الرجال نكاحهنّ أو تحريم العقد عليهنّ لأنه حقيقة
 فيه... أى يمتنع نكاحهنّ ولهذا بينت الآية ٢٣ من سورة النساء ما حرم على الرجال من النساء أى ما امتنع:
 حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وامهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من
 الرضاعة وأمّهات نسائكم وربائبكم اللاتي فى حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم
 وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن يجمعوا بين الأختين... (٢)

فالأية- بعد تقدير المضاف أى نكاح أمهاتكم لاستحالة تحريم الذوات- بينت المحرمات من النساء، نسباً أو سبباً «رضاعة ومصاهرة»
 على تفصيل ذكر فى هذه المسألة فى كتب التفسير والفقّه. إضافة إلى زوجة الأب على تفسير ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء...
 (٣)

فهى من المحارم، فيجوز للمرأة السفر مع محرّمها بالنسب والسبب، هذا وإن ضابط المحرم عند الفقهاء هو من حرم عليه نكاحها على
 التأييد بسبب مباح لحرمتها بنسب أو سبب وبالتالي يجوز لها أن تسافر مع كل واحد من هؤلاء باعتبارها المحرم.
 وقد عثرت على رأى للحنابلة، يجعلون فيه الزوج من المحارم قال الحنابلة:
 المحرم الذى يشترط للسفر مع المرأة للحج يشمل زوجها ومن تحرم عليه على التأييد بنسب كأبيها، أو الرضاع كأخيها من الرضاعة، أو
 المصاهرة كأبى زوجها وابن زوجها. ودخل الزوج فى مفهوم المحرم هنا مع كونه يحلّ لها وتحلّ له؛ لحصول المقصود بسفره معها
 وهو حفظها وصيانتها.
 فقد جعلوا الزوج من المحارم لأنه يؤدى الفرض نفسه الذى يؤديه المحرم فى

١- ١ انظر المنجد، المختار من صحاح اللغة، المعجم الوسيط، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً.

٢- ٢ النساء: ٢٣.

٣- ٣ النساء: ٢٢.

ص: ٧٠

سفرها من أمن وسلامة ورعاية، وقد استدلووا على مدعاهم هذا بالحديث الذي أخرجه البخارى عن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: «ولا يخلون رجل بامرأة إلا معها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم، فقام رجل وقال: يا رسول الله إن امرأتى خرجت حاجّة وإنى أكتب في غزوة كذا وكذا. قال صلى الله عليه وآله: فانطلق واحجج مع امرأتك».

وجه الدلالة بهذا الحديث أن الزوج داخل في مفهوم المحرم هنا أو قائم مقامه.

أقول: ولا أرى ضرورة لهذا الدمج بين المحرم والزوج خاصة بعد أن فوّقت روايات أخرى بينهما كالحديث التالي: «لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها» وكالحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا معها أبوها أو ابنها أو زوجها أو ذو محرم منها» فالمقصود بهذا أن الذى يجوز للمرأة مرافقته فى سفرها والذى هو شرط لوجوب الحج عليها هو الزوج ومن هو محرم عليها على التأييد. وأما بالنسبة للحديث الأول، فبما أنها سافرت وليس معها محرم، أمره الرسول بالذهاب مع زوجته، وليس معنى هذا أنه محرم. كما ليس هناك من دليل على أننا إذا اطلقنا كلمة محرم فإنّ هذا الاطلاق يشمل الزوج ومن يحرم عليها على التأييد.

وقد ذكر الزوج فى أحاديث أخرى صراحة بجانب المحرم ممّا يدل على التفريق بينهما.

ثم إننا إذا عدنا إلى العرف واستعمالاته فإنه يميز بين اللفظتين، ويقول هذا زوج لها وهذا محرم.

هذا إضافة إلى الجانب اللغوى لكلمة محرم الذى يعنى فيما يعنيه من معانى «امتنع» أى امتنع عليه نكاحها وليس هذا حال الزوج... وقد عرّف الحنفية المحرم بأنه هو الذى لا يحل له زواجها بسبب النسب أو المصاهرة أو الرضاع.

ص: ٧١

كما أننا ذكرنا أن المحرم من حرم عليه نكاحها على وجه التأييد أي حرمة أبدية، فلا يشمل المُلَاعِن بالنسبة لزوجته التي لاعتها، فإن تحريمها عليه بعد اللعان والتفريق بينهما فرقة مؤبدة إنما هو تحريم على وجه العقوبة والتغليظ وليس لحرمتها، فلا يكون المُلَاعِن حرماً لها (١).

أما شروط المحرم فهي أن يكون: مسلماً بالغاً، عاقلاً، قادراً. أما وظيفته: فهي حفظ المرأة بتوفير الأمن والسلامة لها، وهذا لا يحصل إذا كان المحرم صبيّاً أو مجنوناً أو مريضاً أو عاجزاً عن تلك المهمة المناطة به. أقوال فقهاء الفرق الإسلامية:

١- الإمامية: لا تتوقف استطاعة المرأة لأداء فريضة الحج ووجوب هذه الفريضة على وجود المحرم. هذا ما نراه في الروايات ثم في أقوال فقهاء الإمامية.

الروايات

عن صفوان الجمال قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قد عرفتني بعملى، تأتيني المرأة أعرفها بإسلامها وحبها إياكم، وولايتها لكم ليس لها محرم، قال: إذا جاءت المرأة المسلمة فاحملها، فإن المؤمن محرم المؤمنة، ثم تلا هذه الآية: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.

عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام في المرأة تريد الحج ليس معها محرم، هل يصلح لها الحج؟ فقال: نعم، إذا كانت مأمونة.

وفي رواية: عن المرأة تحج إلى مكة بغير ولي؟ فقال: لا بأس، تخرج مع قوم ثقات.

وفي رواية أخرى:... إن كانت مأمونة تحج مع أخيها المسلم.

وفي رواية:... إذا كانت مأمونة ولم تقدر على محرم فلا بأس بذلك.

... لا بأس أن تحج المرأة الصرورة مع قوم صالحين إذا لم يكن لها محرم ولا زوج (٢).

١- ١ الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي - الاستطاعة.

٢- ٢ انظر وسائل الشيعة ٩ باب ٥٨ من أبواب الحج.

ص: ٧٢

أقوال الفقهاء:

نذكر الآن شيئاً مما قاله بعض فقهاء الإمامية:

يقول السيد الإمام: لا يشترط وجود المحرم في حج المرأة إذا كانت مأمونة على نفسها وبضعها، كانت ذات بعل أو لا،... (١) «وليس

المحرم شرطاً في وجوب الحج عليها مع الاستغناء عنه عند علمائنا» (٢) وعن الجواهر:

فلا يشترط حينئذ في وجوب الحج وجود المحرم في النساء مع عدم الحاجة إليه، بل يكفي غلبة ظنها بالسلامة على نفسها وبضعها للرفقة مع ثقات، وكونها مأمونة أو غير ذلك بلا خلاف أجده فيه بيننا؛ لصدق الاستطاعة بعد جواز خروجها مع عدم الخوف نصياً وفتوى بدونه (٣).

ويمكن استفادة ذلك كله من لسان الروايات حيث إن ما يظهر منها ومن أقوال الفقهاء أن الغرض من استصحاب الزوج أو المحرم أو من تثق بدينه هو السلامة والأمن، فإذا ما توفر لها هذان العنصران فلا حاجة ولا ضرورة لرفقة الزوج أو المحرم؛ لأن رفقتها إنما تُطلب لتوفير السلامة لها، وها هي قد توفرت لها.

لاحظ التعليل الوارد في أقوال الفقهاء لا يشترط وجود المحرم في حج المرأة إذا كانت مأمونة على نفسها وبضعها، وقد ورد هذا التعليل في لسان جملة من الروايات والأخبار:

ففي صحيح ابن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام: «المرأة تريد الحج وليس معها محرم، هل يصلح لها الحج؟ فقال عليه السلام: نعم، إذا كانت مأمونة». أو (.. امرأة تحج بغير ولي فقال: لا بأس تخرج مع قوم ثقات).

ولا فرق بين كونها ذات بعل أم لا وذلك لوجود شرط الوجوب وهو الاستطاعة ولدلالة الأخبار الكثيرة عليه (٤)، وفي صحيح ابن عمار عنه عليه السلام: «عن المرأة تحج بغير ولي؟ قال عليه السلام: لا بأس. وإن كان لها زوج أو أخ أو ابن أخ فأبوا أن

١-١ تحرير الوسيلة ١/٣٨٤.

٢-٢ التذكرة، الذخيرة.

٣-٣ الجواهر: ١٧/٣٣٠.

٤-٤ براهين الحج للكاشاني ١/٢٥١.

ص: ٧٣

يحجوا بها، وليس لهم سعة فلا ينبغي لها أن تقعد، ولا ينبغي لهم أن يمنعوها، وظهوره في عدم الفرق بين من لها زوج ومن لا زوج لها مما لا ينكر.

هذا في حالة كونها آمنة فعليها أن تخرج للحج وليس لهم منعها.

وأما في حالة كونها غير آمنة فيجب عليها حينئذ استصحاب المحرم لو قبل الرقعة ولو بالإجرة، مع تمكنها منها، ومع عدم قدرتها لا تكون مستطية، لكون ذلك من مؤن الحج، فمع التمكن منها يجب، ومع العدم لا وجه للوجوب.

يقول السيد الإمام... ومع عدم الأمن يجب عليها استصحاب محرم أو من تثق به ولو بالإجرة، ومع العدم لا تكون مستطية ولو وجد ولم تتمكن من إجرتها لم تكن مستطية... (١) ويقول صاحب الجواهر: نعم، لو توقف حجها عليه للخوف بدونه، اعتبر حينئذ، وإن لم يجب عليه الإجابة، ولو اقترح إجرة أو نحوها وجب عليها مع استطاعتها لذلك، وإن كان أزيد من إجرة المثل، وإلا لم يجب الحج عليها، ضرورة كونه كغيره حينئذ من المقدمات التي فرض توقف الحج عليها.

بعد هذا يمكن القول: إنه لا وجه لاختصاص الحكم بالزوج أو بالمحرم بعد أن عرفنا أن الواجب على المرأة المستطية استصحاب من تثق به لسلامتها وأمنها ولو لم يكن زوجاً أو محرماً: «تخرج مع قوم ثقات» بل يجب عليها الحج إذا كانت مأمونة، «تحج بغير محرم إذا كانت مأمونة».

وعن صفوان الجمال، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قد عرفتني بعملى، تأتيني المرأة أعرفها بإسلامها وحجها إياكم، وولايتها لكم، ليس لها محرم، قال: إذا جاءت المرأة المسلمة فاحملها، فإن المؤمن محرم المؤمنة، ثم تلا هذه الآية: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض (٢)

وهذا ما استفاده الشيخ في النهاية: وينبغي أن لا تخرج إلّامع ذى محرم لها من أب أو أخ أو عم أو خال، فإن لم يكن لها أحد ممن ذكرناه، جاز لها أن تخرج مع من

١-١ تحرير الوسيلة ٣٨٤ / ١.

٢-٢ الوسائل الباب: ٥٨، وجوب الحج وشرايطه، الحديث ١، ٢، ٣، ٤.

ص: ٧٤

تثق بدينه من المؤمنين.

فإذا كانت مأمونة يجب عليها إذن أن تؤدي فريضة الحج ومناسكها التي علقت على الأمان، أما إذا لم تكن كذلك فيجب على المرأة أن تبذل وسعها لاستصحاب من تستطيع معه أن تكون سالمة آمنة مطمئنة غير خائفة ولو بأن تستأجر محرماً، وإنما يجب ذلك عليها من جهة كون الامتثال أى امتثال الفريضة متوقفاً عليه لخطوره وأهميته حفظ العرض والفرج والنفوس، ويكون ذلك من قبيل مقدمة الواجب التي يجب عليها تحصيلها، اللهم إلا أن يترتب على سعيها ذلك ذلة لها أو يشقّ عليها فعند ذلك يسقط وجوب الحج عليها لقاعدة نفى العسر والحرج وقد (لا يجب عليها الحج من أول الأمر، ولا يلزم عليها تحمل السفر المستلزم للخطر بل ربما يكون السفر أو الخروج من الدار محرماً، فالاستطاعة حينئذ غير حاصله (١)).

أما إذا كان وجوب الحج أو الاستطاعة معلقاً على وجود المحرم، ولأن تحصيل الاستطاعة ليس واجباً عليها، فبالتالي لا يجب عليها بذل جهدها لتحصيل المحرم.

نعم قد ينتقل عملها إلى الاستتابة.

الاستتابة: في البداية لا بدّ من ملاحظة ما يلي:

أولاً: اطلاق أدلة التكليف توجب على المكلف الحي أداء ما كلف به بنفسه وبمباشرته له. ولله على الناس حج البيت....

ثانياً: أن فعل الشخص الآخر خارج عن قدرة ذلك المكلف؛ لهذا فالاستتابة وهي فعل الغير تحتاج إلى دليل آخر.

ثالثاً: ولو وجد الدليل واستتاب المكلف، فسقوط التكليف بفعل النائب هذا يحتاج أيضاً إلى دليل آخر.

فالاستتابة إذن خلاف الأصل، إلا أن النيابة عن الحي في الحج - شريطة

ص: ٧٥

استطاعته أولاً. وشريطة وجود العسر والحرج والضرر ثانياً. وثالثاً عدم علم المكلف بارتفاع ذلك العسر والحرج والضرر، أو عدم علمه بحصول الأمن والسلامة في السنوات اللاحقة- خرجت النيابة عن الحي في الحج عن الأصل للروايات الخاصة وبالتالي فلا إشكال فيها. هذا ملخص ما ذكره بعض الفقهاء عند تعرضهم لمسألة الاستنابة.

فالمرأة التي وجب عليها الحج ولم يتوفر لها الأمان والسلامة وحفظ الفرج والعرض فيجب- على قول- عليها الاستنابة في هذه الحالة. تقول الروايات:

محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي عليه السلام يقول: لو أن رجلاً أراد الحج فعرض له مرض، أو خالطه سقم فلم يستطع الخروج فليجهز رجلاً من ماله ثم ليعثه مكانه.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:... وإن كان موسراً وحال بينه وبين الحج مرض أو حصر أو أمر يعذره الله تعالى فيه فإنّ عليه أن يحج عنه من ماله ضرورة لا مال له.

... وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام عن أبيه أن علياً عليه السلام قال لرجل كبير لم يحج قط:

إن شئت ان تجهز رجلاً ثم ابعثه يحج عنك...

وفي رواية أخرى: إن شئت فجهز رجلاً ثم ابعثه يحج عنك.

وعلى ضوء هذه الروايات التي ذكرنا قسماً منها اختلفت آراء الفقهاء بين وجوب الاستنابة واستجبابها، فالذي ذهب إلى الوجوب كان ذلك مستنداً إلى ظاهر الروايات التي تدل على الوجوب، في حين استند الفريق الثاني في ذهابه إلى الاستجباب إلى أن بجانب هذه الروايات روايات أخرى تعلق الأمر فيها على المشيئة وبالتالي فهي لا تدل على الوجوب بل على عدمه، فرفعوا اليد عن الأدلة الظاهرة في الوجوب وحملوا المسألة (الاستنابة) على الاستجباب.

ص: ٧٦

وهنا يمكن أن يرد السؤال التالي: إذا كانت الاستنابة مستحبةً عليها وبالتالي لها الحق في عدم الاستنابة، فهل تحج مع الحرج وعدم السلامة أم أنها لا تحج، علماً بأن وجوب الحج عند الإمامية مبني على الفور لا التراخي الذي يُعمل به عند بعض المذاهب الأخرى، فيؤجل الحج حتى يتوفر عنصر السلامة والأمان؟ وهذا ما أجاب عنه البحث الفقهي في كون عنصر الأمان والسلامة إن كانا جزءاً من الوجوب والاستطاعة فلا يجب عليها السعي لتحصيل الاستطاعة؛ لأن تحصيلها ليس بواجب، وبالتالي تكون غير مستطاعة فلا حج عليها. وإن كان الأمان والسلامة من المقدمات للواجب فعليها تحصيلهما أو تحصيل ما يؤدي إليهما إلا إذا ترتب عليها في ذلك مهانة وحرج فيسقط وجوب الحج عليها لقاعدة نفي العسر والحرج.

أما إذا حجت مع عدم توفر عنصرى الأمان والسلامة صح حجها على تفصيل بأن جعل وصولها الميقات هو الحد الفاصل للصحة وعدم الصحة، وخلاصته: أن حالة الخوف الحاصل وعدم الأمان إن كان قبل الميقات - وها هي قد وصلت الميقات - فقد أجزأ عملها عن حجة الإسلام بعكس ما لو كان الخوف وعدم الأمان قد حصل بعد الميقات ففي صحة حجها إشكال وإن ذهب صاحب العروة الوثقى إلى اقوائية الصحة.

وتوضيح ذلك كما ذكر السيد الخوئي: إنَّ الخوف الحاصل قد يكون في خصوص الطريق قبل الوصول إلى الميقات، وقد يكون من الميقات وما بعده، فإن كان على النحو الأول فلا ريب في الحكم بالصحة، لاقتران جميع الأعمال بالشرائط المعتبرة كالأمان وعدم الخوف، والمفروض زوال الخوف بالوصول إلى الميقات. نعم لا يجب عليها الحج من أول الأمر، ولا يلزم عليها تحمل السفر المستلزم للخطر، بل ربما يكون السفر أو الخروج من الدار محرماً فالاستطاعة حينئذ غير حاصل.

وأما لو تحملت السفر المستلزم للخوف، وزوال الخوف عند الميقات، فقد

ص: ٧٧

حصلت الاستطاعة هناك ويجب عليها الحج وصحح حجها، لعدم خلل في أفعاله وأجزائه.

وإن كان على النحو الثاني، وكان الخوف وعدم الأمن حصلاً من الميقات وما بعده، فقد استشكل البعض في صحة حجها، وصرح بعض آخر بعدم اجزائه، بينما ذهب ثالث إلى تفصيل انتهى به إلى أن العبرة في الحكم بالصحة بالأمن الواقعي، والأمن الحاصل لها طريق إلى الواقع مستنداً بصحيح معاوية بن عمار: (عن المرأة تحج إلى مكة بغير ولي، فقال: لا بأس تخرج مع قوم ثقات) حيث علق وجوب الحج عليها بكون القوم ثقات، ومن المعلوم أن الوثوق طريق إلى الواقع لا أنه مأخوذ في الحكم (١). بعد ذلك تنتقل إلى معرفة آراء الفرق الإسلامية الأخرى:

* الشافعية: لهم رأيان:

الأول: وهو المشهور عندهم وعليه جمهورهم وهو الاستفادة مما عندهم من نصوص وروايات، والقائل بعدم وجوب الحج عليها إلا إذا كانت برفقة محرم لها أو زوج أو نسوة ثقات وإلا لم يلزمها الحج؛ لأن الشرط لوجوب هذه الفريضة عليها عند أصحاب هذا الرأي هو حصول الأمن لها والسلامة على نفسها، وهذا ما يتوفر لها بالزوج أو المحرم أو وجود نسوة يتصفن بالثقة والعدالة ولو وجدت امرأة واحدة وإن كانت ثقة فلا يجب عليها الحج، ولكن يجوز لها الحج معها.

الثاني: في حين ذهب فريق منهم إلى رأي آخر يختلف عن الأول كثيراً في مسألة الجواز والوجوب.

حيث يقول: يلزمها الحج بوجود نسوة ثقات أو امرأة واحدة ثقة، وقد يكثر الأمن ولا تحتاج إلى أحد بل تسير وحدها في جملة القافلة، وتكون آمنة.

وقد اختلفوا أيضاً في خروجها لحج التطوع وسفر الزيارة والتجارة ونحو ذلك من الأسفار التي ليست واجبة، فقال بعضهم: يجوز لها الخروج فيها مع نسوة

ص: ٧٨

ثقات كحجة الإسلام، وقال الجمهور: لا يجوز إلامع زوج أو محرم، يقول النووي: وهذا هو الصحيح للأحاديث الصحيحة. وأما بخصوص إذن الزوج فقد نقل في معنى المحتاج أن الشافعية قالت: ليس للمرأة حج التطوع إلا بإذن زوجها، وكذا لحج الفريضة في الأصح في المذهب (١).

وهذا بخلاف ما نقله بعض من أنهم (فقهاء المذاهب الإسلامية) اتفقوا على أنه لا يشترط إذن الزوج للزوجة في الحج الواجب (٢). * المالكية: قالت: يشترط لوجوب الحج على المرأة أن تجد محرماً من محارمها يسافر معها للحج، أو يخرج معها زوجها إن كانت ذات زوج، ويقوم مقام المحرم الرفقة المأمونة في سفر الفرض فقط. والرفقة المأمونة قد تكون من النساء فقط، أو من الرجال فقط، أو من مجموع الجنسين (٣).

قال الدسوقي في حاشيته... في حق المرأة أن تجد محرماً من محارمها يسافر معها أو زوجاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر يوماً وليلاً إلا ومعها محرم...» (٤).

* الظاهرية: قالت: المرأة التي لا زوج لها ولا ذا محرم يحج معها فإنها تحج ولا شيء عليها، فإن كان لها زوج ففرض عليه أن يحج معها، فإن لم يفعل فهو عاص لله تعالى، وتحج من دونه وليس له منعها من حج الفرض، ولكن له منعها من حج التطوع. فقد قال ابن حزم في الفقه الظاهري... وليس له منعها في فرض، وله منعها من حج التطوع (٥). وقد احتج ابن حزم وغيره من الظاهرية بقوله تعالى: ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً. فالحج واجب في هذه الآية ولم يشترط أو يعلق هذا الواجب على وجود المحرم أو الزوج، فحال المرأة حال جميع المسلمين في أن الحج واجب على من توفرت الاستطاعة عنده وهو ما يتفق مع رأى الإمامية.

أما موقفهم إزاء الأحاديث الناهية عن سفر المرأة إلامع محرم أو زوج، فقد

١- ١ انظر معنى المحتاج: ١/ ٤٦٨.

٢- ٢ الفقه المقارن، جناتي.

٣- ٣ الشرح الصغير للدردير، حاشية الصاوي ٢٦٣-٢٦٤، حاشية الدسوقي ٢/ ٩- ١٠.

٤- ٤ الدسوقي في حاشية على الشرح الكبير ٢/ ٩، وانظر ٧/ ١٠٧ من موسوعة الفقه الإسلامي.

٥- ٥ المحلى ٧/ ٤٧، موسوعة الفقه الإسلامي ٧/ ١٢٢، نيل الأوطار للشوكاني ٤/ ٣٢٦ باب النهي عن سفر المرأة للحج إلا بمحرم.

ص: ٧٩

عدوها أحاديث عامة لكل سفر إلّا السفر الواجب، وبما أن سفر الحج واجب فقد استثنى من نواهي السفر المذكورة. ولم ينجو قول ابن حزم من الردّ عليه بأن يقال: إن اشتراط المحرم أو الزوج لا- يتعارض مع الآية المذكورة. لأن وجودهما من جملة الاستطاعة المطلوبة لوجوب الحج. ولم تكن الاستطاعة متوقفة فقط على وجود الزاد والراحلة دون الشروط الأخرى التي منها وجود الزوج أو المحرم للمرأة.

ويواصل صاحب هذا القول كلامه بقوله: لأننا نقول: إن أحاديث النهي عن سفر المرأة إلّا مع زوج أو محرم تضمنت اشتراط وجود الزوج أو المحرم مع وجود الزاد والراحلة بالنسبة لسفر الحج، وهذه الزيادة غير منافية لشرط الزاد والراحلة فيتعين قبولها... (١)* الزيدية: قالت: وجود المحرم للمرأة هو شرط أداء لحجها، وليس هو شرط وجوب، كما أن هذا هو في حقّ الشابة، أما في حق العجوز فليس بشرط، فيجوز لها الخروج إلى الحج مع نساء ثقات أو مع غيرهن (٢). كما جعلوا اجرة المحرم جزءاً من الاستطاعة، ويلزمها المحرم إذا كانت المسافة بريداً (٣) فصاعداً أو ثلاثة أيام فصاعداً (٤).

* الحنابلة: قالوا: لا- يجب الحج على المرأة التي لا- محرم لها ولا زوج، وقد نصّ على ذلك الإمام أحمد، فقد قال أبو داود، قلت لأحمد: امرأة موسرة لم يكن لها محرم، هل يجب عليها الحج؟ قال: لا، وقال المحرم من السبيل. وعنه أن المحرم لحفظها، فهو كأمن الطريق، وإمكان المسير.

وعن أحمد أيضاً: أن المحرم من شرائط الأداء لا الوجوب، وعلى هذا من فاتها الحج بعد إكمال شرائط الوجوب بموت أو بمرض لا شفاء منه أخرج من مالها ما يحج به عنها. ولكن المذهب عند الحنابلة هو الأول، أي أن وجود المحرم- أو الزوج- من شرائط الوجوب واحتجوا لمذهبهم بجملة من الأحاديث التي منها:

١-١ انظر مغنى المحتاج ١/ ٤٦٨.

٢-٢ شرح الأزهار ٢/ ٦٥-٦٦، موسوعة الفقه الإسلامى ٧/ ١٢٣، الفقه الإسلامى وأدلته، الاستطاعة.

٣-٣ البريد: فرسخان.

٤-٤ موسوعة الفقه الإسلامى ٧/ ١٢٣ الاستطاعة.

ص: ٨٠

الدارقطني بإسناده عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا تحجن امرأة إلّا ومعها ذو محرم»..
ولأنها لا يمكنها الحج بلا محرم، فإذا امتنع من الحج معها- مع أن نفقته عليها لأنها كالراحلة- فهي كمن لا محرم لها وبالتالي لا تحج
(١).

أما في مسألة إذن الزوج فقد ذهبوا إلى أنه يستحب للمرأة أن تستأذن زوجها في حجة الفريضة، فإن أذن لها فيها، وإلا خرجت بغير
إذنه إذا وجدت المحرم، أما في حج التطوع فلا بدّ من إذنه.
قال ابن المنذر: أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أنه له منعها من الخروج في حجّ التطوع، وذلك لأن حقّ الزوج عليها واجب،
فليس لها تفويته بما ليس بواجب (٢).

ومعنى هذا أن لها تفويت حقه بواجب وهو حجة الإسلام.

* الاباضية:

وملخص ما ذهبوا إليه أن المرأة تحج مع زوج أو محرم، فإن منعها زوجها أو أبوها وكانت مستطيعه لم يلزمها الحج.
فإن لم تجد زوجاً أو محرماً فلها أن تسافر مع ثقات يمنعونها من الضرر كمنعهم أنفسهم وإن لم تجد فلها أن تستأجر، وإلا سقط عنها
الحج (٣).

* الحنفية: قالت:- بعد أن قسموا الاستطاعة إلى أنواع ثلاثة: البدنية والمالية والأمنية وجعلت سلامة المرأة من النوع الثالث- يشترط
لحج المرأة أن يكون معها زوجها أو محرم لها، فإن لم يوجد أحدهما لا يجب عليها الحج فبعد أن ميزوا بين شروط وجوب الحج
عندهم وشروط الأداء لانهم يفرقون بين الوجوب وبين الأداء ذكروا شروطاً أربعة للأداء كان ثالثها: وجود زوج أو محرم للمرأة، لا
فرق بين أن تكون المرأة شابة أو عجوزاً إذا كان بينها وبين مكة ثلاثة أيام فأكثر؛ أما إذا كانت المسافة أقل من ذلك، فيجب عليها
أداء الحج وإن لم يكن

١- ١ موسوعة الفقه الإسلامي- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- باب الاستطاعة ٧ / ١١٩ المغنى ٣ / ٢٣٦- ٢٣٧، ٢٣٨.

٢- ٢ المغنى ٣ / ٢٤٠.

٣- ٣ موسوعة الفقه الإسلامي، الاستطاعة ٧ / ١٣٠.

ص: ٨١

معها محرم ولا زوج؛ والمحرم هو الذي لا يحل له زواجها بسبب النسب؛ أو المصاهرة أو الرضاع. هذا وان ابن عابدين في الوقت الذي عدّ أمن الطريق والمحرم من شروط الاداء، فقد عدّها الكاساني من شروط الوجوب وقال:.... ولأنها إذا لم يكن معها زوج أو محرم لا يؤمن عليها، إذ النساء لحم على وضم (الوضم ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب وحصير...) إلّما ذبّ عنه.

وقال أيضاً في خصوص قوله تعالى: ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً: هذه الآية لا تتناول النساء حال عدم الزوج أو المحرم؛ لأن المرأة لا تقدر على الركوب والنزول بنفسها، فتحتاج إلى من يركبها، وينزلها، ولا يجوز ذلك لغير الزوج والمحرم فلم تكن مستطية في هذه الحالة فلا يتناولها النصّ ... (١) وقد ذكر في البدائع أنهم قالوا: لها أن تخرج مع المحرم في حجة الفريضة من غير إذن زوجها إذا وجدت المحرم مع وجود الزاد والراحلة لها وله، فقد استطاعت إلى حج البيت سبيلاً فوجب عليها الحج، وإذا قيل: إن حق الزوج في الاستمتاع بها يفوت بخروجها، فيجب أخذ إذنه، فإن أذن خرجت، وإن أبى لم تخرج؛ لأن الحج على التراخي لا على الفور، فإننا نقول: إن منافع الزوجة والاستمتاع بها من قبل زوجها مستثناء من حق الزوج فيها في أوقات أداء الزوجة الفرائض كما في الصلوات الخمس وصوم رمضان، فكذلك في حج الفريضة بخلاف حج التطوع إذا منعها فعليها الامتناع (٢).

اقول: وفرق كبير بين الصلاة والصوم التي تكون على مقربة من زوجها وبين فريضة تتطلب سفراً طويلاً وغياباً لأيام وليالي، فالقياس على الصلاة والصيام لا أظنه ينهض دليلاً على ما ذهبوا إليه من استثناء.

وذكروا للمحرم شروطاً فقالوا: ويشترط فيه أن يكون مأموناً عاقلاً بالغاً، ولا يشترط كونه مسلماً.

واحتجوا بجملة أحاديث، كما احتجوا بأن حجّها بدون المحرم أو الزوج

١-١ موسوعة الفقه الإسلامي، الاستطاعة ٧/ ١٠٢.

٢-٢ البدائع ٢/ ١٢٤.

ص: ٨٢

يعرضها للفتنة وهذا ضرر بها، والضرر مرفوع شرعاً (١).

الادلة:

إن الذين اشترطوا وجود الزوج أو المحرم للمرأة لوجوب الحج عليها، احتجوا بالأحاديث الصحيحة الثابتة عندهم التي تدل على ما ذهبوا إليه، التي منها:

* اخرج الإمام البخارى عن ابن عباس: «لا تسافر المرأة إلّامع ذى محرم، ولا يدخل عليها رجل إلّامعها محرم. فقال رجل: يا رسول الله إنى أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا، وامراتى تريد الحج، فقال صلى الله عليه وآله: اخرج معها» (٢).

* وأخرج عبدالرزاق وغيره عن ابن عيينة عن عكرمة عن النبي صلى الله عليه وآله: «ولا تحجنّ امرأة إلّامعها محرم» (٣).

* واخرج الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه وآله: «نهى أن تسافر المرأة مسيرة يومين إلّامعها زوجها أو ذو رحم...» (٤).

* وعن نافع عن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا- يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة ثلاث ليالٍ إلّامعها ذو محرم.

في حين احتج القائلون: بأن للمرأة أن تحج وحدها، ولا يشترط لوجوب الحج عليها وأداءه وجود الزوج أو المحرم بهذه الأدلة:

١- الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً فالحج في هذه الآية لم يعلق وجوبه إلّاعلى الاستطاعة.

٢- حديث عدى بن حاتم الذى قال فيه: «بيننا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أتاه رجل فشكا إليه الفاقة. ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال صلى الله عليه وآله: يا عدى، هل رأيت الحيرة؟ قال عدى: لم أرها وقد أنبثت عنها. قال صلى الله عليه وآله: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلّالله، قال عدى: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف

١- ١ موسوعة الفقه الإسلامى، الاستطاعة ٧/ ١٠٣.

٢- ٢ صحيح البخارى بشرح العسقلانى ٣/ ٧٢.

٣- ٣ صحيح البخارى بشرح العسقلانى ٤/ ٧٥.

٤- ٤ صحيح مسلم بشرح النووى ٩/ ١٠٦.

ص: ٨٣

إِلَّا اللَّهُ...» (١).

فبعض فقهاء العامة أخذوا بهذا الحديث واستدلوا به على جواز سفر المرأة وحدها. في حين ذهب بعض آخر منهم إلى أن هذا الحديث لا ينفعنا في مسألة جواز سفر المرأة وحدها فضلاً عن وجوبه، لأنه أمر مستقبلي أخبر به الرسول وأنه سيقع هذا لا غير فهو من النبؤات المستقبلية، وبالتالي لا يصمد هذا الحديث أمام الأحاديث الناهية عن سفر المرأة وحدها (٢).

وقد ردّ هذا بأن هذا الخبر ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله ولم يستنكره أو يعبر عن استيائه بل هي حالة ممدوحة (... حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله) ولأنها مبعث على السرور والمدح فيمكن أن تدل على جواز سفرها...

٣- القياس: فقد اتخذ هذا الفريق مَن أسلمت في دار الحرب، وأن لها الحق في أن تخرج إلى دار الإسلام وحدها. وليس هذا فقط بل الأسيرة المسلمة إذا تخلصت من أسر الكفار، فإن لها الخروج إلى دار الإسلام وحدها. اتخذ من ذلك دليلاً على أنه يجوز للمرأة إذن أن تخرج وحدها إلى الحج قياساً على جواز خروجها وحدها إلى دار الإسلام.

ويرد عليه أنه قياس مع الفارق؛ لأن خروج المرأة المسلمة وحدها إلى دار الإسلام في هاتين الحالتين هو خروج للضرورة، فلا يصح أن يقاس عليه خروج المسلمة للحج في حال السعة والاختيار.

وقد اُضيف هذا الفريق في رده قائلاً: إن الفقهاء اختلفوا في الحج هل هو على الفور أو على التراخي؟

فإن قلنا بالتراخي فمما يجعل سفرها حتى يوجد المحرم أو الزوج أولى من سفرها وحدها.

ثم إن الأسيرة ومن أسلمت في دار الحرب، إنما تدفعان بخروجهما وحيدتين ضرر بقائهما بين الكفار بتعرضهما للفتنة أو الاعتداء على عرضهما فجاز لكل

١- ١ صحيح البخارى- باب علامات النبوة في الإسلام، بشرح العسقلاني ٦/ ٦١٠-٦١١.

٢- ٢ المغني ٣/ ٢٣٨.

ص: ٨٤

واحدة منهما دفع هذا الضرر بتحمل ضرر السفر لو وحدها، وهو ضرر مظنون وليس هو مثل ضرر بقائهما في دار الكفر... أما في السفر إلى الحج وحدها ففيه ضرر محتمل تتحملة المرأة دون دفع أى ضرر أصلاً (١). وفرق القاضى فى مسألة الهجرة ومسألة الحج قائلاً: واتفق العلماء على أنه ليس لها أن تخرج فى غير الحج والعمرة إلّا مع ذى محرم إلّا الهجرة من دار الحرب فاتفقوا أن عليها أن تهاجر منها إلى دار الإسلام وإن لم يكن معها محرم. والفرق بينهما أن إقامتها فى دار الكفر حرام إذا لم تستطع إظهار الدين، وتخشى على دينها ونفسها، وليس كذلك التأخر عن الحج فإنهم اختلفوا فى الحج هل هو على الفور أم على التراخى؟ وقد ذهبوا إلى التراخى وبالتالى يصح لها تأخير الحج. وفى رواية للدارقطنى عن أبى أمامة مرفوعاً: (لا- تسافر المرأة سفرَ ثلاثة أيام أو تحجّ إلّا ومعها زوجها أو لا تحجّن امرأة إلّا ومعها زوجها) (٢) و «لا- تسافر المرأة ثلاثة إلّا ومعها ذو محرم» (٣) واحتج ابن حزم لمذهبه بحديث أبى معبد عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب ويقول: «لا- يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ ولا تُسافر امرأةٌ إلّا مع ذى محرم. فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتى خرجت حاجّةً وإنى اكتتبتُ فى غزوةٍ كذا أو كذا. فقال صلى الله عليه وآله: انطلق فاحجج مع امرأتك» (٤). وقد استدلل ابن حزم بهذا: لأن نهيّه عليه الصلاة والسلام عن أن تسافر امرأة إلّا مع ذى محرم- وقع- أى وقع سفر المرأة بدونه- ثم سأل الرجل عن امرأته التى خرجت حاجّةً لا مع ذى محرم، ولا مع زوج، فأمره النبى صلى الله عليه وآله بأن ينطلق فيحج معها، ولم يأمر صلى الله عليه وآله بردها، ولا عاب سفرها إلى الحجّ دونه ودون ذى محرم. ويمكن هنا ردّ استدلال ابن حزم بأنه لو لم يكن ذلك- أى وجود المحرم أو الزوج مع المرأة فى سفرها- شرطاً لما أمر صلى الله عليه وآله زوجها بالسفر معها وترك الغزو الذى كتب فيه (٥). ولما ورد عن نافع وعن روايات أخرى ذكرها مسلم فى (سفر المرأة مع

١- ١ المغنى ٣ / ٢٣٨.

٢- ٢ انظر الفقه الإسلامى وأدلته ص ٣٦، وعن نيل الأوطار ٤ / ٤٩١.

٣- ٣ انظر الفقه الإسلامى وأدلته ص ٣٦، متفق عليه عند البخارى ومسلم وأحمد عن ابن عمر، عن نيل الأوطار ٤ / ٢٩٠، باب النهى عن سفر المرأة للحج... أورد ثلاث روايات عن ابن عباس وابن عمر وعن أبى سعيد وعن أبى هريرة.

٤- ٤ متفق عليه عن ابن عباس، واللفظ لمسلم سبل السلام ٢ / ١٨٣.

٥- ٥ المحلى ٧ / ٤٧- ٥١، نيل الأوطار للشوكانى ٤ / ٢٩١- ٢٩٢.

ص: ٨٥

محرم إلى حج وغيره) (١).

رفقة النساء الثقات:

رفقة النساء الثقات هي الاخرى تقوم مقام الزوج أو المحرم في سفر المرأة للحج هذا ما رآه الإمام البخاري استناداً إلى ما رواه في صحيحه: أن عمر بن الخطاب قد أذن لأزواج النبي صلى الله عليه وآله في آخر حجّيه حجّها، فبعث معهن عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف، ثم كان عثمان بعد عمر بن الخطاب يحج بهن في خلافته أيضاً.

وبعد ذكر هذا يقولون: إن وجه الدلالة بحج أمهات المؤمنين برفقة عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف أن هذا الأمر حصل باتفاق عمر وعثمان وعبدالرحمن ابن عوف ونساء النبي ودون نكير عليهن من غيرهم من الصحابة.

ومن هذا كله يستفيدون أيضاً الاجماع على جواز سفر المرأة للحج برفقة نساء ثقات، لأن أمهات المؤمنين كن ثمانية في سفرهن للحج، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في شرحه «لصحيح البخاري» من حديث أم معبد الخزاعية، الذي أخرجه ابن سعد، قالت: «رأيت عثمان وعبدالرحمن في خلافة عمر حجاً بنساء النبي صلى الله عليه وآله فنزلن بقديد، فدخلت عليهن وهن ثمان».

وأما المالكية: فيقولون: إن الرفقة المأمونة تقوم مقام الزوج والمحرم ولكن بشرط إن كانت الرفقة نساء فقط أو نساء ورجالاً فنساء النبي صلى الله عليه وآله أكثر من واحدة بدلالة الحديث الآخر عن أم معبد الخزاعية، ولا يستدل على كفاية الرفقة إن كانت رجالاً فقط.

فالمالكية يشترطون إذن لصحة الرفقة وجود نساء أو نساء ورجال ثقات.

الشرط الثاني

أما بالنسبة إلى الشرط الثاني لوجوب الحج على المرأة، وهو ألا تكون معتدة

ص: ٨٦

من طلاق أو وفاة، فنقول:

إن الإمامية ذهبوا إلى أن المطلقة في عدتها الرجعية يجوز لها أن تؤدي حجة الإسلام إذا استطاعت، لأن البيونة في العدة الرجعية لا تحصل إلا بعد انقضاء هذه العدة فحالها حال الزوجة في عدم كون إذن زوجها شرطاً في استطاعتها أو في وجوب حجة الإسلام عليها وليس له منعها، وأما في الحج المندوب والموسع فهي تحتاج إلى إذن زوجها وله منعها. أما البائنة فلها أن تحج حجاً واجباً أو مندوباً مضيئاً أو موسعاً في عدتها لانقطاع عصمتها من الزوج. أما التي توفي عنها زوجها، فهي أيضاً لها أن تحج الحج الواجب أو المندوب.. لانتهاء إذن الزوج بانتفاء وجوده.

الروايات

* عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: لا تحج المطلقة في عدتها.

فهذه الرواية - وبالنظر الأولى لها - عامة تشمل كل مطلقه وكل صاحبة عده، ولكن نظراً لانقطاع عصمة المرأة البائنة من زوجها فقد ملكت نفسها بذلك وليس له سلطته عليها بعد وقوع البيونة تلك وبالتالي فلا تحتاج إلى إذنه، ولا تكثرث بمنعه لو حدث، إذا ما أرادت أن تحج حجاً واجباً أو مستحباً..

فعن سعيد بن أبي خلف في المطلقة، قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن شيء من الطلاق، فقال: إذا طلق الرجل امرأة طلاقاً لا يملك فيه الرجعة، فقد بانت منه ساعة طلقها وملك نفسه ولا سبيل له عليها (١).

وكذلك المتوفى عنها زوجها لها أن تحج واجباً كان الحج أو مستحباً في عدتها لانتهاء وجود الزوج بوفاته. لهذا كله فقد خرجت كل من البائنة والمتوفى عنها زوجها حكماً وموضوعاً

ص: ٨٧

من هذه الرواية وكذلك من الآية التي ستأتي.

بقي عندنا الحالة الثالثة وهي المرأة المطلقة رجعيًا في عدتها، التي لا تحصل بينونة فيها إلا بعد انقضاء العدة كما قلنا، لذلك عليها ان تبقى في بيتها وهو بيت الزوجية طيلة فترة العدة لا تخرج منه ولا تخرج منه، إلا إذا أتت بفاحشة مبينة كما في الآية التالية: لا تخرجهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فليس للزوج إخراجها منه مادامت تقضى فترة عدتها من طلاقها الرجعي، وليس لها هي الأخرى أن تخرج من هذا البيت إلا للضرورة ظاهرة فإن خرجت فقد ائمت كما عن مجمع البيان (١). وإنما ألزمت بالبقاء في بيت زوجها لا كعقوبة لها ولكن لإعطاء فرصة أخرى لكل من الزوج والزوجة ليراجع كل منهما نفسه، فلعل الحياة الزوجية الطيبة تعود من جديد بينهما ويعيشا بالمعروف..

وهذه المرأة إذا أرادت أن تؤدي حجاباً مستحجاباً أو موسعاً - فقد جاءت هذه الرواية وغيرها من الروايات لتوضح لنا - أن عليها أن لا تخرج في هذه الحالة من بيتها، ولا بد لها من إذن زوجها وإذا منعها ليس لها مخالفتها؛ لأن المطلقة الرجعية بحكم الزوجة، وهذا بعكس ما لو استطاعت ووجبت عليها حجة الإسلام، فلها أن تخرج في هذه الحالة من بيتها لتؤدي فريضة الحج فحالتها - لاستمرار عنوان الزوجية عليها - حال الزوجة المستطبعة التي استقر عليها الحج في عدم كون إذن زوجها شرطاً في استطاعتها وفي وجوب الحج عليها، كما ليس له منعها من هذا الحج.

فإذن إضافة إلى الاستثناء الوارد في الآية... إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، يستثنى امرؤ آخر - استناداً إلى الروايات - وهو أن تخرج لأداء فريضة الحج التي استقرت عليها بسبب استطاعتها دون الحج المستحب أو الموسع علماً بأن صاحب الوسائل حمل رواية معاوية هذه على أن المراد لا تحج تطوعاً في عدتها الرجعية

ص: ٨٨

بدون إذن الزوج.

*... عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: المطلقة تحج في عدتها، وهذه الرواية عامة أيضاً تشمل الحج سواءً أكان حجاً واجباً أو مستحباً.

*... عن منصور بن حازم: إن كانت ضرورة حجت في عدتها، وإن كانت حجت، فلا تحج حتى تقضى عدتها.

فهذه الرواية المرسله، تدل مع المطلقة تحج في عدتها حجة الإسلام دون الحج المندوب.

أما روايات حج المرأة وهي في عدة وفاة زوجها فهي:

* عن داود بن الحصين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن المتوفى عنها زوجها، قال: تحج وإن كانت في عدتها.

* وعن زرارة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المرأة التي يتوفى عنها زوجها، أتتحج؟ فقال: نعم.

* وعن عبد الله بن بكير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المتوفى عنها زوجها، تحج في عدتها؟ قال: نعم، وتخرج وتنتقل من

منزل إلى منزل (١).

أما الحنفية فقد اشترطوا لوجوب حج المرأة بأن لا تكون معتدة أية عدة كانت، سواء أكانت في عدة طلاق أو في عدة وفاة... فإذا كانت معتدة وقت خروج أهل بلدها للحج فلا يجب عليها الحج.

دليلهم:

١- الآية: ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن فقد نهى الله تعالى المعتدات عن الخروج.

٢- ولما روى أن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود ردًا المعتدات من الميقات.

٣- ولأن الحج يمكن أدائه في وقت آخر، أما العدة فلا بد من قضائها في وقتها

ص: ٨٩

أى لها وقت مخصوص وهو ما بعد الطلاق أو الوفاء مباشرة، فكان الجمع بين الأمرين أولى بل المتعين.
وأما إذا لزمها العدة بعد خروجها للسفر، فإن كانت العدة من طلاق رجعي، فإن على زوجها أن لا يفارقها؛ لأن الطلاق الرجعي لا يزيل الزوجية، ولكن الأفضل أن يُراجعها زوجها.

وإن كانت العدة من طلاق بائن أو عن وفاة يُنظر: فإن كانت المسافة بينها وبين بلدها أقل من مدة السفر، أى أقل من مسيرة ثلاثة أيام، وإلى مكة مدة السفر، أى: مسيرة ثلاثة أيام، فإنها ترجع إلى بلدها؛ لأنه ليس فيه إنشاء سفر، فصار كأنها في بلدها، وإن كانت المسافة بينها وبين مكة أقل من مدة السفر.

وإن كانت المسافة من الجانبين أقل من مدة السفر فهي بالخيار إن شاءت مضت إلى مكة، وإن شاءت رجعت إلى بلدها.
وإن كان من الجانبين مدة سفره فإن كانت في المصر فليس لها أن تخرج حتى تنقضى عدتها في قول أبي حنيفة، وإن وجدت محرماً.
وعند أبي يوسف ومحمد: لها أن تخرج إذا وجدت محرماً، وليس لها أن تخرج بلا محرّم، وإن كان ذلك في المفازة أو في بعض القرى بحيث لا- تأمن على نفسها ومالها، فلها أن تمضي فتدخل في موضع الأمان، ثم لا تخرج منه في قول أبي حنيفة سواء وجدت محرماً أو لم تجد، وعند أبي يوسف ومحمد: تخرج إذا وجدت محرماً.

هذا هو مذهب الحنفية (١).

الحنابلة:

وأما عند الحنابلة: لا تخرج إلى الحج في عدة الوفاء نصّ عليه أحمد، قال:
ولها أن تخرج إليه في عدة الطلاق البائن؛ لأن لزوم المنزل والمبيت فيه واجب في عدة الوفاء، وقدم على الحج لأنه يفوت، والطلاق البائن لا يجب فيه ذلك.

وإن كانت في عدة طلاق رجعي فإن هذا الطلاق لا يرفع النكاح، فهي

١- ١ الفقه الإسلامي وأدلته ٣/ ٣٧ للدكتور الزحيلي، والفقه على المذاهب الأربعة، وانظر البدائع ٢/ ١٢٤.

ص: ٩٠

زوجته ما دامت في العدة، وإذا خرجت للحج فتوفى زوجها، فإن كانت قريبة من بلدها رجعت لتعتد في بيتها، وإن كانت بعيدة عن بلدها مضت في سفرها إلى الحج (١).
الهوامش:

تحوّل القبلة ومسجد القبلتين

١-١ انظر المغنى ٣ / ٢٤٠ - ٢٤١.

ص: ٩٣

تحول القبلة ومسجد القبلتين

محمد على المقدادى

قال الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز:

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتَهُمْ عَنِ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيًّا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ * قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَتَهُ تَرْضَاهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ اتَّبَعْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنْ

ص: ٩٤

فَرِيقًا مِنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ* وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ* وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِنَّم نِعَمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١)

إن تحوّل القبلة من بيت المقدس (٢) إلى الكعبة المشرفة من أهم الوقائع التي حدثت في غرب المدينة المنورة، بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله إليها من مكة المكرمة، وبعد مضي أكثر من أربع عشرة سنة من أداء الصلاة ودفن الموتى وذبح الذبائح إلى القبلة الأولى بيت المقدس.

هذه الواقعة حوت مراتب كبيرة من الأمور الدينية والتشريعية والأخلاقية والتربوية والتاريخية، نستعرضها في خمسة محاور وبالله التوفيق.

أولاً: البواعث التي أدت إلى تحويل القبلة.

ثانياً: تفسير الآيات الواردة حول هذا الموضوع.

ثالثاً: الروايات الواردة في شأن نزول تلك الآيات الشريفة.

رابعاً: ما هو السبب لجعل بيت المقدس قبله أولاً، ثم الكعبة ثانياً؟

خامساً: زمان تحول القبلة ومكانه، وكيفيته وقوعه.

١- البواعث التي أدت إلى تحويل القبلة

لا شك في أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يزل مطيعاً لأوامر الله سبحانه وراضياً بها، ولم يكن في نفسه الشريفة كراهة حتى للحظة واحدة بالنسبة إلى القبلة الأولى، لأن الكراهة لا تجتمع مع الإطاعة، ولكنه كان منتظراً ومنتوقاً نزول الوحي في أمر

١- ١ سورة البقرة: ١٤٢ - ١٥٠.

٢- ٢ قراءة «بيت المقدس» أو «البيت المقدس» كل من القراءتين صحيحة انظر: المنجد، حرف الباء: ٥٥.

ص: ٩٥

القبلة، كما يشير إليه القرآن الكريم: قد نرى تقلب وجهك في السماء... (١)
وذلك لبواعث نذكر بعضها:

١- نقل المفسرون والمؤرخون أن اليهود كانوا يعيرون المسلمين، ويتفاخرون عليهم ويقولون: نحن أقدم منكم زماناً لعبادة الله نحو الصخرة في بيت المقدس، وأنتم أتبعتم قبلتنا، فاعتنم رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك غمماً شديداً، كما دلت عليها الأخبار الواردة من طرق الفريقين، الشيعة والسنة، سندكرها.

قال العلامة الطباطبائي قدس سره: إن اليهود كانوا أمة لا يرون لغير المحسوس من عالم الطبيعة أصالة، ولا لغير الحس وقعاً، إذا جاءهم حكم من أحكام الله معنوي، قبلوه من غير تكلم عليه، وإذا جاءهم أمر من ربهم صوري متعلق بالمحسوس من الطبيعة كالقتال والهجرة والسجدة وخضوع القول وغيرها، قابله بالانكار وقاوموا عليه ودونه أشد المقاومة.

وبالجملة فقد أخبر الله سبحانه عما سيعترضون به على تحويل القبلة وعلم رسوله ما ينبغي أن يجابوا ويقطع به قولهم.

أما اعتراضهم: فهو أن التحول عن قبله شرعها الله سبحانه للماضين من أنبيائه إلى بيت ما كان به شيء من هذا الشرف الذاتي، ما وجهه؟ فإن كان بأمر من الله، فإن الله هو الذي جعل بيت المقدس قبله فكيف ينقض حكمه وينسخ ما شرعه، واليهود ما كانت تعتقد النسخ (كما تقدم في آية النسخ)، وإن كان بغير أمر الله ففيه الانحراف عن مستقيم الصراط والخروج من الهداية إلى الضلال، وهو تعالى وإن لم يذكر في كلامه هذا الاعتراض، إلّا أن ما أجاب به يلوّح بذلك؟

وأما الجواب: فهو إن جعل بيت من البيوت كالكعبة، أو بناء من الأبنية أو الأجسام كبيت المقدس، أو الحجر الواقع فيه قبله، ليس لاقتضاء ذاتي منه يستحيل التعدي عنه، أو عدم إجابته اقتضائه، حتى يكون البيت المقدس في كونه

ص: ٩٦

قبله لا- يتغير حكمه ولا يجوز إلغاؤه، بل جميع الأجسام والأبنية وجميع الجهات التي يمكن أن يتوجه إليه الإنسان في أنها لا تقتضى حكماً ولا- يستوجب تشريعاً على السواء، وكلها لله، يحكم فيها ما يشاء، وكيف يشاء، ومتى يشاء، وما حكم به من حكم فهو لهداية الناس على حسب ما يريد من صلاحهم وكمالهم الفردي والنوعي، فلا يحكم إلاليهدي به ولا يهدى إلالي ما هو صراط مستقيم إلى كمال القوم وصلاحهم (١).

٢- قال الزمخشري: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة؛ لأنها قبله أبيه إبراهيم، وأدعى للعرب إلى الإيمان؛ لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم، ولمخالفة اليهود، فكان يراعى نزول جبريل عليه السلام والوحي بالتحويل (٢).

٣- وذكر أن الباعث للتحويل هو اختبار المسلمين وامتحانهم لاتباع النبي صلى الله عليه وآله بما أمرهم به وما نهاهم عنه، قال الإمام أبو محمد العسكري عليه السلام: إن هوى أهل مكة كان في الكعبة، فأراد الله أن يبين متبع محمد صلى الله عليه وآله من مخالفه، باتباع القبلة التي كرهها، ومحمد صلى الله عليه وآله يأمر بها، ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس، أمرهم بمخالفتها والتوجه إلى الكعبة، ليبين من يوافق محمداً صلى الله عليه وآله فيما يكرهه، فهو مصدقه وموافقه... الحديث (٣).

٤- وقد ذكر أيضاً، أن الكعبة كانت مشغولة في صدر الإسلام بأصنام المشركين وأوثانهم، وكان السلطان معهم، والإسلام لم يقو بعد بحيث يظهر قهره وقدرته، فهدى الله رسوله إلى استقبال بيت المقدس، لكونه قبله لليهود، الذين هم أقرب في دينهم من المشركين إلى الإسلام، ثم لئلا يظهر أمر الإسلام بهجرة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة، قرب زمان الفتح وتوقع تطهير البيت من أرجاس الأصنام، جاء الأمر بتحويل القبلة (٤).

وسنذكر مطالب أخرى في المحور الرابع إن شاء الله تعالى.

١- ١ الميزان ١: ٣١٧، ٣١٨.

٢- ٢ الكشاف ١: ٢٠٢.

٣- ٣ البرهان في تفسير القرآن ١: ١٥٩.

٤- ٤ الميزان ١: ٣٢٩.

ص: ٩٧

٢- تفسير الآيات المباركة حول التحويل

الآيات الواردة في سورة البقرة من رقم ١٤٢ إلى ١٥٠ تحكى واقعة تحويل القبلة، وما هو مربوط بتلك الواقعة من توطين الرسول صلى الله عليه وآله نفسه للجواب عما يثيره اليهود والمشركون حول هذه المسألة، ومن ابتلاء المسلمين، وقبول صلواتهم تجاه القبلة الأولى من قبل الله سبحانه وتعالى، وغيرها من النكات.

وقد ادعى بعض المفسرين تقدم بعض هذه الآيات على بعضها الآخر ونسخ بعضها بعضاً، قال العلامة الطباطبائي قدس سره: الآيات مترتبة متسقة منتظمة في سياقها على ما يعطيه التدبر فيها وهي تنبئ عن جعل الكعبة قبلة للمسلمين، فلا يصغى إلى قول من يقول: إن فيها تقدماً وتأخراً، أو إن فيها ناسخاً ومنسوخاً، وربما رووا فيها شيئاً من الروايات، ولا يعبا بشيء منها بعد مخالفتها لظاهر الآيات (١).

إذا عرفت هذا فلنشرع ببيان ما ورد في تفسير هذه الآيات البيئات، ولنبدأ بما قاله المفسر المتأله الفيض الكاشاني رحمه الله قال: قوله تعالى: سيقول السفهاء من الناس الذين خفّ أحلامهم أو استمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر، يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين، وفائدة تقديم الإخبار به، توطين النفس وإعداد الجواب ما وليهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعنى بيت المقدس قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم وهو ما يقتضيه الحكمة والمصلحة من التوجه إلى بيت المقدس تارةً، وإلى الكعبة أخرى (٢).

وقال العلامة الطباطبائي قدس سره في ذيل هذه الفقرة من الآية الشريفة: قل لله المشرق والمغرب، اقتصر من بين الجهات بهاتين لكونهما المعينتين لساير الجهات الأصليّة والفرعيّة، كالشمال والجنوب، وما بين كل جهتين من الجهات

١- المصدر نفسه ١: ٣١٧.

٢- تفسير الصافي: ٤٩.

ص: ٩٨

الأربعة الأصلية، والمشرق والمغرب جهتان إضافيتان تتعنان بشروق الشمس أو النجوم وغروبهما، يعمان جميع نقاط الأرض غير نقطتين موهوتين، هما نقطتا الشمال والجنوب الحقيقيتان، ولعل هذا هو الوجه في وضع المشرق والمغرب موضع الجهات. ثم ذكر قدس سره للفقرة الأخيرة من الآية الشريفة يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ما هذا لفظه: تنكير الصراط، لأن الصراط يختلف باختلاف الامم في استعداداتها للهداية إلى الكمال والسعادة (١).

قوله تعالى: ... وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول... وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ذكر الزمخشري (٢) أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلى بمكة إلى الكعبة، ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفاً لليهود، ثم حوّل إلى الكعبة ثانياً بعد الهجرة.

ثم نقل الزمخشري عن ابن عباس: كانت قبلته بمكة بيت المقدس، إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه. أقول: إن الزمخشري بعد أن ادعى ذلك لم يذكر دليلاً للمدعى بل نقل عن ابن عباس تلك الرواية التي ذكرناها تعارض ما قال ولا تفيده شيئاً.

نعم، بما أن رسول الله كان موخّداً ومؤمناً إبراهيمياً وكان عابداً لله سبحانه وتعالى من أوّل عمره إلى آخره فهل صلواته في مكة المكرمة قبل البعثة وبعدها كانت تجاه الكعبة أو بيت المقدس؟ لهذا البحث مجال واسع يتطلب محلاً آخر. وقال السيد عبد الله شبر (٣): وقيل: المراد الكعبة، أي ما رددناك إلى ما كنت عليها إلا لنعلم الثابت من المرتد لأنه صلى الله عليه وآله كان يصلى بمكة إليها.

هذا، ولكن روى الفيض الكاشاني قدس سره في تفسيره الصافي، عن كتاب الاحتجاج أنه: «لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة أمره الله عز وجل أن يتوجه نحو بيت المقدس في صلاته ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن، وإذا لم يمكن استقبال بيت

١-١ الميزان ١: ٣١٩.

٢-٢ الكشاف ١: ٢٠٠.

٣-٣ تفسير شبر: ٦١.

ص: ٩٩

المقدس كيف كان، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل ذلك طول مقامه بها...» (١).
وأنت كما ترى لا يمكن أن يكون مثل هذه الطائفة من الأخبار دليلاً لو فرض أن الزمخشري وغيره قد استفاد منها، وسياق الآيات الكريمة وظاهرها لا يساعده، مع أنه نجد غير واحد من المفسرين يخالف هذا الادعاء كالفيض الكاشاني والعلامة الطباطبائي....
قال في تفسير الميزان: وظاهر الآية أنه دفع لما يختلج في صدور المؤمنين من تغيير القبلة ونسخها، ومن جهة الصلوات التي صلّوها إلى القبلة، وما شأنها؟

ويظهر من ذلك أن المراد بالقبلة التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله عليها، هو بيت المقدس لا الكعبة، فلا دليل على جعل بيت المقدس قبله مرتين، وجعل الكعبة قبله مرتين، إذ لو كان المراد من القبلة في الآية الكعبة، كان لازم ذلك ما ذكر (٢).
وفي تفسير آلاء الرحمن: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ظاهر قوله تعالى في الآية التي بعد هذه فلنولينك قبلة أنزلت قبل تحوله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة، وظاهر السوق أن هذه الآية نزلت قبل تلك، مع أن ظاهر قوله تعالى: التي كنت عليها كنت تتوجه إليها فيما مضى وصرفت عنها، فتشكل هذه الظواهر.

ولأجل ذلك قال بعضهم: إن كان تامه بمعنى أنت عليها. وقال في الكشاف:

إن التي كنت عليها مفعول ثان لجعلنا، والمقصود من الموصول مكة، أي وما جعلنا القبلة مكة. وفيه تعقيد ومخالفة للاعتبار مع أن الإشكال المذكور على حاله.

ويرتفع من أصله بأن قوله تعالى: كنت عليها لا يختص بما بعد الانصراف عنها وانقطاع الكون، بل قيل باعتبار الكون الماضي وتوجهه صلى الله عليه وآله إلى البيت المقدس أشهراً عديدة من دون نظر إلى الانقطاع نحو: وكان الله غفوراً رحيماً أي: وما جعلنا بيت المقدس قبله لك هذه المدة إلا لنعلم اللام للعاقبة، والحصر إنما هو باعتبار العاقبة لا حكمه التشريع (٣).

قوله تعالى:.... إَلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلٰى عَقْبَيْهِ وَإِنْ

١-١ تفسير الصافي: ٤٩.

٢-٢ الميزان ١: ٣٢٤ والمراد من قوله رحمه الله: «جعل بيت المقدس قبله مرتين وجعل الكعبة قبله مرتين» أي: مرة في مكة المكرمة ومرة أخرى في المدينة المنورة.

٣-٣ آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١: ١٣٤.

ص: ١٠٠

كانت لكبيراً إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم (١)

قال البلاغى رحمه الله فى تفسيره: وكبيره ثقيله، ومن اللازم أن يكون استقبال بيت المقدس ثقيلًا على قريش والعرب إلا الذين هداهم الله إلى الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله فيعلمون أن ذلك أمر من الله الحكيم وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم فى الكافى عن ابن أبى عمير الزبيدى عن أبى عبد الله عليه السلام فى الآية: إن الله سمى الصلاة إيماناً. وذكر الصدوق فى الفقيه: قال المسلمون: صلاتنا إلى بيت المقدس تضيع يا رسول الله؟ فأنزل ذلك. وذكر أنه أخرج حديثه فى كتاب النبوة. وفى رواية العياشى: أنه لما حولت القبلة قالوا: ما حالنا؟ أى فى صلاتنا الماضيه، وما حال من مضى فى صلاتهم إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله: وما كان الله ليضيع إيمانكم. وفى الدر المنثور عن ابن عباس نحوه وصححه الحاكم (٢).

ونقل الطبرى فى تفسيره عن ابن عباس قال: لما وجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبه قالوا: كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك وهم يصلون نحو بيت المقدس؟ فأنزل الله جل ثناؤه: وما كان الله ليضيع إيمانكم ونقل أيضاً عن أبى إسحاق عن البراء قال: مات على القبلة قبل أن تحول إلى البيت رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى ذكره: وما كان الله ليضيع إيمانكم (٣)

قوله تعالى: قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام....
تقدم سابقاً تفسير هذه الآية الشريفة فى المحور الأول من المباحث فراجع.

قال على بن إبراهيم القمى رحمه الله فى تفسيره: إن اليهود كانوا يعيرون برسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون: أنت تابع لنا، تصلى إلى قبلتنا، فاعتم من ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله غمماً شديداً، وخرج فى جوف الليل ينظر فى آفاق السماء ينتظر بأمر الله تبارك وتعالى فى ذلك، فلما أصبح وحضرت صلاة الظهر كان فى مسجد

١- ١ سورة البقرة: ١٤٣.

٢- ٢ آلاء الرحمن فى تفسير القرآن ١: ١٣٥.

٣- ٣ جامع البيان ٢: ١١.

ص: ١٠١

بنى سالم [بنى سلمة] (١) قد صلى بهم الظهر ركعتين، فنزل جبرئيل عليه السلام فأخذ بعضديه فحوّله إلى الكعبة... (٢).

قال العلامة الطباطبائي قدس سره: قوله تعالى: وإن الذين اتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وذلك لاشتمال كتابهم على صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله أو كون قبله هذا النبي الصادق هو شرط المسجد الحرام، وأياً ما كان فقوله: اتوا الكتاب يدل على اشتمال كتابهم على حقيقته هذا التشريع، إما مطابقه أو تضمناً وما الله بغافل عما يعملون من كتمان الحق، واحتكار ما عندهم من العلم (٣).

قوله تعالى: ولئن أتيت الذين اتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم... (٤)

قال البلاغي رحمه الله: ولئن أتيت الذين اتوا الكتاب ولم يوفقوا للإيمان بك بكل آية ما تبعوا قبلتك أى الكعبة وما أنت بتابع قبلتهم اتباعاً خصوصاً بعدما أمرت بالتوجه شرط المسجد الحرام وما بعضهم بتابع قبله بعض فإن النصارى تتوجه إلى المشرق واليهود إلى بيت المقدس ولئن اتبعت أهواءهم...

هذا توبيخ لهم وتبكييت بأنهم أصحاب أهواء فاسدة لا يتبعها إلا الظالمون.

وخوطب بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله لقطع أطماعهم وليبيان فضله، لأنه لا يتبع أهواءهم أبداً بدليل قوله تعالى: وما أنت بتابع قبلتهم (٥)

وفى الميزان: قوله تعالى: ولئن أتيت الذين اتوا الكتاب بكل آية تقرع لهم بالعناد واللجاج، وأن اباؤهم عن القول ليس لخفاء الحق عليهم، وعدم تنبيه لهم، فانهم عالمون بأنه حق علماً لا- يخالطه شك، بل الباعث لهم على بث الاعتراض وإثارة الفتنة، عنادهم فى الدين وجحودهم للحق، فلا تنفعهم حجة، ولا تقطع إنكارهم آية، فلو أتيتهم بكل آية ما تبعوا قبلتك لعنادهم وجحودهم، وما أنت بتابع قبلتهم؛ لأنك على بينة من ربك، ويمكن أن يكون قوله: وما أنت نهياً فى صورة خبر، وما بعضهم بتابع قبله بعض، وهم اليهود يستقبلون صخرة

١-١ الصحيح ما ذكرناه بين المعقوفتين، فراجع المحور الخامس من البحث، وانظر الخريطة رقم ١.

٢-٢ تفسير القمى ١: ٦٣.

٣-٣ الميزان ١: ٣٢٦.

٤-٤ سورة البقرة: ١٤٥.

٥-٥ آلاء الرحمن فى تفسير القرآن ١: ١٣٦-١٣٧.

ص: ١٠٢

بيت المقدس أينما كانوا، فلا هذا البعض يقبل قبله ذاك البعض، ولا ذاك يقبل قبله هذا اتباعاً للهوى (١).

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله في التبيان: قوله: وما أنت بتابع قبلتهم قيل في معناه أربعة أقوال:

أولها- أنه لما قال: ولئن أتيت الذين اتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم... على وجه المقابلة كما تقول: ما هم

بتاركى إنكار الحق وما أنت بتارك الاعتراف به، فيكون الذى جَرَّ الكلام، التقابل للكلام الأول، وذلك حسن من كلام البلغاء.

الثانى- أن يكون المراد أنه ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم، لأن النصارى يتوجهون إلى المشرق، واليهود إلى بيت المقدس، فبين الله تعالى أن رضا الفريقين محال.

الثالث- أن يكون المراد حسم طمع أهل الكتاب من اليهود، إذ كانوا طمعوا فى ذلك وظنوا أنه يرجع إلى الصلاة إلى بيت المقدس وماجوا فى ذكره.

الرابع- أنه لما كان النسخ مجوزاً قبل نزول هذه الآية، فأنزل الله تعالى الآية، ليرتفع ذلك التجوز (٢).

ثم إنه ذكر الشيخ الطوسي رحمه الله قولين آخرين فى ذكر هذه الفقرة من الآية: وما بعضهم بتابع قبله بعض هذا نصه: قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن، والسدى، وابن زيد، والجبائى: إنه لا يصير النصارى كلهم يهودياً، ولا اليهود كلهم يصيرون نصارى أبداً، كما لا يتبع جميعهم الإسلام.

وهذا من الإخبار بالغيب.

[ثانيهما]- وقال غيرهم: معناه إسقاط الاعتدال بأنه مخالفة لأهل الكتاب، الذين ورثوا ذلك عن أنبياء الله بأمره إياهم به، فكلما جاز

أن يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز أن يخالف بوجهة ثالثة للاستصلاح فى بعض الأزمان (٣).

١-١ الميزان ١: ٣٢٦.

٢-٢ التبيان ١: ١٩-٢٠.

٣-٣ المصدر نفسه ١: ٢٠.

ص: ١٠٣

قوله تعالى: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم... (١)

قال الطبرسي رحمه الله: أخبر الله سبحانه بأنهم يعرفون النبي صلى الله عليه وآله وصحبه نبوته فقال الذين آتيناهم أى أعطيناهم الكتاب وهم العلماء منهم يعرفونه أى يعرفون محمداً صلى الله عليه وآله وأنه حق كما يعرفون أبناءهم (٢)

ونرى فى تفسير الميزان: الضمير فى قوله: يعرفونه راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله دون الكتاب، والدليل عليه تشبيه هذه المعرفة بمعرفة الأبناء، فإن ذلك إنما يحس فى الإنسان، ولا يقال فى الكتاب إن فلاناً يعرفه أو يعلمه، كما يعرفه ابنه، على أن سياق الكلام- وهو فى رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوحى إليه من أمر القبلة- أجنبى عن موضوع الكتاب الذى أوتيه أهل الكتاب، فالمعنى أن أهل الكتاب يعرفون رسول الله صلى الله عليه وآله بما عندهم من بشارات الكتب كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقاً منه ليكتمون الحق وهم يعلمون...

قوله تعالى: الحق من ربك فلا تكوننّ من الممترين تأكيد البيان السابق وتشديد فى النهى عن الامتراء، وهو الشك والارتياب، وظاهر الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله ومعناه للامة (٣).

قوله تعالى: ولكل وجهه هو مولياها فاستبقوا الخيرات... (٤)

قال الطبرسي رحمه الله فى معنى هذه الآية الشريفة: هذا بيان لأمر القبلة أيضاً وقوله: ولكل وجهه فيه أقوال:

أحدها- أن معناه لكل أهل ملّة من اليهود والنصارى قبله؛ عن مجاهد وأكثر المفسرين.

ثانيها- أن لكل نبي وصاحب ملّة وجهه، أى طريقه وهى الإسلام وإن اختلفت الأحكام كقوله تعالى: لكل جعلنا منكم شرعاً ومنهاجاً يعنى شرائع الأنبياء، عن الحسن.

ثالثها- أن لكل من المسلمين وأهل الكتاب قبله، يعنى صلاتهم إلى بيت

١- ١ سورة البقرة: ١٤٦.

٢- ٢ مجمع البيان ١: ٢٢٩.

٣- ٣ الميزان ١: ٣٢٦-٣٢٧.

٤- ٤ سورة البقرة: ١٤٨.

ص: ١٠٤

المقدس وصلاتهم إلى الكعبة، عن قتادة.

رابعها- أن لكل قوم من المسلمين وجهه، ومن كان منهم وراء الكعبة أو قدامها أو عن يمينها أو عن شمالها، وهو اختيار الجبائي...
(١).

قوله تعالى: ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون* ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره... (٢).

قال البلاغى رحمه الله فى تفسيره: ومن حيث خرجت سواء كان الخروج من مكة إلى المدينة أو من المدينة إلى الشام... فول وجهك فى جميع هذه الأحوال وجميع الجهات شطر المسجد الحرام نحوه وإنه أى التوجه إلى المسجد الحرام فى الصلاة على الإطلاق المنصوص عليه للحق من أمر ربك وشريعته الجارية على الحكمة وكرامة البيت، وأن الله لا يضيع أجركم فى امتثال أمره (٣)، انتهى كلامه.

أقول: أما التكرار الذى وقع فى صدر هاتين الآيتين أعنى: ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام فقد نقل الطبرسى رحمه الله لذلك وجوهاً نذكرها:

- ١- أنه لما كان فرضاً نسخ ما قبله، كان من مواضع التأكيد والتبيين؛ لينصرف الخلق إلى الحال الثانية من الحال الأولى على يقين.
- ٢- أنه مقدم لما يأتى بعده ويتصل به فأشبهه الاسم الذى تكرر لخبر عنه بأخبار كثيرة كما يقال: زيد كريم، زيد عالم، زيد فاضل وما أشبه ذلك مما يذكر لتعلق الفائدة به.
- ٣- أنه فى الأول بيان لحال الحاضر وفى الثانى بيان لحال السفر (٤).

قال العلامة الطباطبائى قدس سره: قوله تعالى:... لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني بيان لفوائد ثلاث فى هذا الحكم

١- ١ مجمع البيان ١: ٢٣٠-٢٣١.

٢- ٢ سورة البقرة: ١٤٩-١٥٠.

٣- ٣ آلاء الرحمن فى تفسير القرآن ١: ١٣٨.

٤- ٤ مجمع البيان ٢: ١٣.

ص: ١٠٥

الذى فيه أشد التأكيد على ملازمة الامتثال، والتحذر عن الخلاف:

إحديها- أن اليهود كانوا يعلمون من كتبهم أن النبى الموعود تكون قبلته الكعبة دون بيت المقدس، كما قال تعالى: وإن الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم... وفى ترك هذا الحكم، الحجج لليهود على المسلمين بأن النبى ليس هو النبى الموعود، لكن التزام هذا الحكم والعمل به يقطع حججهم إلّا الذين ظلموا منهم، وهو استثناء منقطع، أى لكن الذين ظلموا منهم باتباع الأهواء لا ينقطعون بذلك فلا تخشوهم؛ لأنهم ظالمون باتباع الأهواء، والله لا يهدى القوم الظالمين واخشونى.

ثانيها: أن ملازمة هذا الحكم يسوق المسلمين إلى تمام النعمة عليهم بكمال دينهم...

ثالثها: رجاء الاهتداء إلى الصراط المستقيم (١)...

هذا تمام الكلام فيما أردت أن أذكره فى هذا المحور، من التفسير حول التحويل.

٣- الروايات الواردة فى شأن نزول آيات التحويل

قد ذكرنا بعض الروايات الواردة حول شأن النزول فى المحورين السابقين ومع ذلك نذكر بعضاً آخر منها، تمييزاً للفائدة:

نقل الطبرى عن ابن جريج عن مجاهد قال: قالت اليهود: يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا، فكان يدعو الله جلّ ثناؤه ويستعرض للقبلة فنزلت: قد نرى قلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام- وانقطع قول اليهود يخالفنا ويتبع قبلتنا- فى صلاة الظهر فجعل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال (٢).

ونقل شيخ الطائفة رحمه الله فى التهذيب عن الطاطرى عن محمد بن أبى حمزة عن

١-١ الميزان ١: ٣٢٨-٣٢٩.

٢-٢ جامع البيان ٢: ١٣.

ص: ١٠٦

ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قوله تعالى: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه أمره به؟ قال: نعم، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقلب وجهه في السماء، فعلم الله عز وجل ما في نفسه فقال: قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها (١)

ونقل الطبرسي رحمه الله في الاحتجاج، عن الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام: «جاء قوم من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمد هذه القبلة بيت المقدس، قد صليت إليها أربع عشرة سنة، ثم تركتها الآن، أفحقا كان ما كنت عليه؟ فقد تركته إلى باطل، فإنما يخالف الحق الباطل، أو باطلاً كان ذلك؟ فقد كنت عليه طول هذه المدة، فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل ذلك كان حقا وهذا حق، يقوله الله: قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم إذا عرف صلاحكم يا أيها العباد في استقبال المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله في عباده، وقصده إلى مصالحكم، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد تركتم العمل يوم السبت، ثم عملتم بعده سائر الأيام، ثم تركتموه في السبت ثم عملتم بعده، افتركتم الحق إلى الباطل والباطل إلى حق؟ أو الباطل إلى باطل؟ أو الحق إلى حق؟ قولوا: كيف شئتم، فهو قول محمد صلى الله عليه وآله وجوابه لكم، قالوا: بل ترك العمل في السبت حق، والعمل بعده حق، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حق، ثم به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس، حين (٢) نقلك إلى الكعبة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بدا له عن ذلك، فإنه العالم بالعواقب، والقادر على المصالح، لا يستدرك على نفسه غلطاً، ولا يستحدث رأياً يخالف (٣) المتقدم، جلّ عن ذلك، ولا يقع أيضاً عليه مانع يمنعه عن مراده، وليس يبدو إلّا لمن كان هذا وصفه، وهو عز وجل متعال عن هذه الصفات علواً كبيراً. ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها اليهود، أخبروني عن الله، أليس يُمرض ثم

١-١ تهذيب الأحكام ٢: ٤٣.

٢-٢ في المصدر: حتى.

٣-٣ وفيه: بخلاف.

ص: ١٠٧

يُصح؟ ويصح ثم يمرض؟ أبدا له في ذلك؟ أليس يحيى ويميت؟ (أليس يأتي بالليل في أثر النهار ثم بالنهار في أثر الليل) (١)؟ أبدا له في كل واحد من ذلك؟ قالوا: لا، قال:

فكذلك الله تعبد نبيه محمداً صلى الله عليه وآله، بالصلاة إلى الكعبة، بعد أن (٢) تعبد بالصلاة إلى بيت المقدس، وما بدا له في الأول- ثم قال:- أليس يأتي بالشتاء في أثر الصيف؟

والصيف في أثر الشتاء؟ أبدا له في كل واحد من ذلك؟ قالوا: لا، قال: فكذلك لم يبد له في القبلة.

قال، ثم قال: أليس قد ألزمتكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة؟ وألزمتكم في الصيف أن تحترزوا من الحر؟ فبدا له في الصيف حتى أمركم بخلاف ما كان أمركم به في الشتاء؟ قالوا: لا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فكذلك تعبدكم في وقت لصاح يعلمه بشيء، ثم بعده (٣) في وقت آخر لصاح آخر يعلمه بشيء آخر، فإذا أطعتم الله في الحالين استحققتم ثوابه، وأنزل الله ولله المشرق والمغرب فإينما تولوا فثم وجه الله (٤)

أى إذا توجهتم بأمره، فثم الوجه الذي تقصدون منه الله وتأملون ثوابه.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عباد الله، أنتم كالمرضى والله رب العالمين كالطبيب، فصالح المرضى فيما يعلمه (٥) الطبيب [و] (٦) يدبره به، لا فيما يشتهي المريض ويقترحه، ألا فسلموا لله أمره تكونوا من الفائزين.

ف قيل له: يا ابن رسول الله، فلم أمر بالقبلة الأولى؟ فقال: لما قال الله عز وجل: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه (٧)

إلا لنعلم ذلك منه موجوداً، بعد أن علمناه سيوجد ذلك، إن هوى أهل مكة كان في الكعبة، فأراد الله أن يبين متبع (٨) محمد صلى الله عليه وآله من مخالفه (٩)، باتباع القبلة التي كرهها، ومحمد صلى الله عليه وآله يأمر بها، ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس، أمرهم بمخالفتها والتوجه إلى الكعبة، ليتبين (١٠) من يوافق محمداً صلى الله عليه وآله فيما يكرهه، فهو مصدقه وموافقه.

١-١ ما بين القوسين ليس في المصدر.

٢-٢ وفيه زيادة: كان.

٣-٣ في المصدر: تعبدكم.

٤-٤ البقرة ٢: ١١٥.

٥-٥ في المصدر: يعمله.

٦-٦ أثبتناه في المصدر.

٧-٧ البقرة ٢: ١٤٣.

٨-٨ في المصدر: متبعي.

٩-٩ ممن خالفه.

١٠-١٠ وفيه: لئيبين.

ص: ١٠٨

ثم قال: وإن كانت لكبيرة إلهي الذين هدى الله (١)

إنما كان التوجه إلى بيت المقدس، في ذلك الوقت كبيرة، إلهي من يهدى الله، فعرف أن الله يتعبد بخلاف ما يريد المرء، لبيتلى طاعته في مخالفته هواه (٢).

فقد ظهرت من هذه الروايات وغيرها، مهمية القبلة وتحويلها من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، والحكم التي أرادها الله سبحانه وتعالى من بداية هذه الواقعة الكبيرة حتى النهاية.

وسيوافيك مزيداً من البحث حول هذا الموضوع إن شاء الله.

٤- ما هو السبب لجعل بيت المقدس قبله أولاً ثم الكعبة ثانياً؟

حينما نرجع إلى المصادر- من الكتاب والسنة والتفسير والتاريخ- للتعرف عن السبب لهذا الجعل، نجد أسباباً مختلفة ومطالب شتى، فيما أن تعرف هذه الأسباب مفيد جداً، وأن الورود في مثل هذه الأبحاث يستدعي التعرض للمطالب الفرعية فضلاً عن الأصلية، فلنبداً بذكر تلك الأسباب:

١- قوله تعالى: ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله (٣)

٢- قوله تعالى: سيقول السفهاء من الناس ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليهم قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم (٤)

٣- قوله تعالى: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول... (٥)

٤- الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام: إن هوى أهل مكة كان في الكعبة... وهوى أهل المدينة في بيت المقدس... فأراد الله أن يبين متبع محمد صلى الله عليه وآله من مخالفه (٦).

٥- الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما بعث كانت الصلاة إلى قبله بيت المقدس، فكان في أول بعثته يصلي إلى بيت المقدس

١- ١ البقرة ٢: ١٤٣.

٢- ٢ مستدرک الوسائل ٣: ١٧٥.

٣- ٣ سورة البقرة: ١١٥.

٤- ٤ المصدر نفسه: ١٤٢.

٥- ٥ المصدر نفسه: ١٤٣.

٦- ٦ مستدرک الوسائل ٣: ١٧٨.

ص: ١٠٩

جميع أيام مقامه بمكة، وبعد هجرته إلى المدينة بأشهر، فعيرته اليهود...» (١).

٦- قال صاحب تفسير مجمع البيان: وأما الوجه في الصرف عن القبلة الأولى ففيه قولان: أحدهما: أنه لما علم الله تعالى في ذلك من تغير المصلحة.

الآخر: أنه لما بينه سبحانه بقوله: لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه لأنهم كانوا بمكة أمروا أن يتوجهوا إلى بيت المقدس ليميزوا من المشركين، الذين كانوا يتوجهون إلى الكعبة، فلما انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة كانت اليهود يتوجهون إلى بيت المقدس، فأمروا بالتوجه إلى الكعبة ليميزوا من أولئك (٢).

٧- قال الزمخشري في الكشاف: إن رسول الله صلى الله عليه وآله... أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس... ثم حوّل إلى الكعبة... امتحاناً للناس وابتلاء... (٣).

٨- وقيل: لنميز التابع من الناكص (٤).

٩- قال البلاغي رحمه الله... ومن اللازم أن يكون استقبال بيت المقدس ثقيلًا على قريش والعرب، إلّا الذين هداهم الله إلى الإيمان برسول الله فيعلمون أن ذلك أمر من الله الحكيم (٥).

١٠- نقل العلامة المجلسي رحمه الله عن كتاب الاحتجاج: وتفسير العسكري عليه السلام في احتجاج النبي صلى الله عليه وآله على المشركين قال: إنا عباد الله مخلوقون مربوبون، نأتمر فيما أمرنا، وننجزر عما زجرنا... فلما أمرنا أن نعبد بالتوجه إلى الكعبة أطعنا، ثم أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها في سائر البلدان التي نكون بها فأطعنا، فلم نخرج في شيء من ذلك من اتباع أمره (٦).

١١- وقال العلامة الطباطبائي: إن هذه الأحكام والتشريعات ليست إلّا لأجل مصالح تعود إلى تربية الناس وتكميلهم، وتمحيص المؤمنين من غيرهم وتمييز المطيعين من العاصين، والمنقادين من المتمردين (٧). هذا تمام الكلام في الأسباب.

١- ١ بحار الأنوار ٨١: ٦٦.

٢- ٢ مجمع البيان ١: ٢٢٢.

٣- ٣ الكشاف ١: ٢٠٠.

٤- ٤ المصدر نفسه.

٥- ٥ آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١: ١٣٥.

٦- ٦ بحار الأنوار ٨١: ٧١.

٧- ٧ الميزان ١: ٣٢٤.

ص: ١١٠

ثم إنه اختلف في الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبله بيت المقدس أولاً ثم إلى الكعبة ثانياً، أهم اليهود، أو المشركون، أو المنافقون؟

قال ابن عباس وغيره: هم اليهود.

وقال الحسن: هم مشركو العرب، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله لما حوّل إلى الكعبة من بيت المقدس قالوا: يا محمد رغبت عن قبله آبائك، ثم رجعت إليها، فلترجعنّ إلى دينهم.

وقال السدي: هم المنافقون، قالوا ذلك استهزاءً بالإسلام (١).

واختلف أيضاً في سبب مقاتلتهم، فقال ابن عباس: إنهم قالوا ذلك على وجه الإنكار للنسخ. وقيل: للامتحان. وقيل: إنما قاله مشركو العرب؛ ليوهموا أن الحق ما هم عليه (٢).

٥- زمان تحويل القبلة ومكانه وكيفيته وقوعه

بما أن هذا المحور من أدق وأصعب المحاور في هذا المقال؛ لكثرة الاختلاف في المواضيع التي أردنا التعرض لها، فلذلك أخرجناه حتى تكون المحاور السابقة بمثابة المقدمة، وسنستفيد من بعض الخرائط اللازمة تبييناً للمراد وتسهيلاً للبحث.

الف: زمان تحويل القبلة:

اعلم أن زمان التحويل كان في السنة الثانية للهجرة، والأكثر قائلون بذلك شيعةً وسنة، ويؤيده بعض الأخبار من طرق الفريقين، ولكن الخلاف وقع في شهر الوقوع ويومه.

نقل العلامة المجلسي في البحار عن المفيد: حوّلت القبلة في النصف من رجب سنة اثنتين من الهجرة (٣).

وقال الواقدي: كان هذا يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً، وعن البراء: على رأس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وعن

١-١ مجمع البيان ١: ٢٢٢.

٢-٢ المصدر نفسه.

٣-٣ بحار الأنوار ٨١: ٦٣.

ص: ١١١

السدى: على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجرته (١).

وقال الحلبي في سيرته: وحوّلت القبلة في شهر رجب من السنة المذكورة، التي هي الثانية في نصفه... (٢).

وقال ابن هشام: قال ابن إسحاق... وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة (٣).

وذكر الطبري في تفسيره أن ابن عباس قال:... وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً... (٤).

ونقل الكازروني اليماني عن محمد بن حبيب الهاشمي: حوّلت في الظهر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان (٥).

وقال الشبلنجي: وفي السنة الثانية من الهجرة في نصف شعبان حوّلت القبلة إلى الكعبة (٦).

وقال يعقوب في تاريخه... وصرفت القبلة نحو المسجد الحرام في شعبان بعد مقدمه بالمدينة بسنة وخمسة أشهر، وقيل بسنة ونصف

(٧).

ونرى في تاريخ الطبري: صرفت في النصف من شعبان (٨).

ونقل الحلبي أيضاً: وقيل: كان في جمادى الآخرة (٩).

هذا، والحق ما قاله المفيد رحمه الله والواقدي ومن تبعهما؛ لأن قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة المكرمة إلى المدينة كان في شهر ربيع الأول، والدليل على ذلك ما رواه الطبرسي في الاحتجاج بالإسناد إلى الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام، قال: «لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة، أمر الله تعالى أن يتوجه نحو البيت المقدس في صلاته، ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن، وإذا لم يتمكن استقبال البيت المقدس كيف كان، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل ذلك طول مقامه بها، ثلاث عشرة سنة، فلما كان بالمدينة، وكان متعبداً باستقبال بيت المقدس، استقبله وانحرف عن الكعبة، سبعة عشر شهراً أو ستة عشر شهراً...» (١٠).

١-١ حياة النبي وسيرته ١: ٢٩٨.

٢-٢ السيرة الحلبية ٢: ١٢٨.

٣-٣ السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٩٨.

٤-٤ تفسير الطبري ٢: ٣.

٥-٥ المنتقى في مولد المصطفى.

٦-٦ نور الأبصار: ٤٤.

٧-٧ تاريخ يعقوبى ٢: ٤٢.

٨-٨ تاريخ الطبري ٢: ٤١٦.

٩-٩ السيرة الحلبية ٢: ١٢٨.

١٠-١٠ مستدرک الوسائل ٣: ١٨٤.

ص: ١١٢

وروى الطبرسي أيضاً في المجمع عن ابن عباس: «كانت الصلاة إلى بيت المقدس بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة سبعة عشر شهراً» (١).

وروى أيضاً عن البراء بن عازب قال: «صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم صرفنا نحو الكعبة» (٢).

ب- مكان تحويل القبلة

لا- شك في أن تحويل القبلة وقع في المدينة، ولكن اختلفت الأخبار والآراء في محلّ التحويل، فهل وقع ذلك في المسجد النبوي الشريف، أو وقع في مسجد بنى سلمة (دار أم بشر)، أو في مكان آخر؟

أما المسجد النبوي الشريف، فلا يمكن القول به؛ لأنه:

أولاً: إذا حدث هذا الأمر المهم في المسجد النبوي؛ لعرفنا موضع التحويل كما نعرف الأماكن الأثرية المقدسة في ذلك المكان الشريف.

ثانياً: يوجد مسجد واحد فقط بالمدينة، يعرف بالقبلتين، مع أنه حدث في مكانين آخرين (مسجد قبا (٣) وعند بنى عبد الأشهل (٤)) أداء صلاة واحدة إلى القبلتين (بيت المقدس والكعبة) ولم يطلق عليهما اسم القبلتين من صدر الإسلام إلى زماننا هذا، فإن لم تكن لمسجد القبلتين (المعروف من صدر الإسلام حتى الآن) خصوصية، فلماذا لم يطلق لكلا المكانين ذلك الاسم؟

ثالثاً: إن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن في نفس الوقت عند بنى عبد الأشهل ومسجد قبا، بل خبر التحويل وصل إلى المكانين المذكورين، والمصلون كانوا في الصلاة، فاستداروا نحو الكعبة.

رابعاً: إننا لم نجد خبراً يدل على وجود مسجد عند بنى عبد الأشهل يعرف بالقبلتين، مع أنهم كانوا يعيشون في شرق المدينة المنورة، لا في غربها.

نعم، روى الشيخ الطوسي في التهذيب عن أبي بصير عن أحدهما عليهما السلام:

«... قال: إن بنى عبد الأشهل أتوهم وهم في الصلاة قد صلّوا ركعتين إلى بيت

١- ١ مجمع البيان ١: ٢٢٣.

٢- ٢ المصدر نفسه.

٣- ٣ الموطأ ١: ١٩٤.

٤- ٤ تهذيب الأحكام ٢: ٤٤.

ص: ١١٣

المقدس فقيل لهم: إن نبيكم قد صرف إلى الكعبة، فتحول النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة، فصلوا صلاة واحدة إلى القبلتين، فلذلك سمى مسجدهم مسجد القبلتين» (١).

ولكنه لا يخفى أن المسجد الأثرى الذي يعرف بمسجد القبلتين، يقع إلى الشمال الغربي من المسجد النبوي الشريف في الحرة الغربية (حرة الوبرة)، وكان لبني سلمة، وكان فيه محرابان، أحدهما متجه إلى بيت المقدس، و ثانيهما متجه إلى الكعبة.

وأما بنو عبد الأشهل فكانت بيوتهم ومسكنهم في الحرة الشرقية (حرة واقم)، شرق المسجد النبوي الشريف، وشتان بينه وبين ذاك المسجد الأثرى، الذي حقق الله تعالى فيه أمانة وتطلعات رسوله الكريم صلى الله عليه وآله، في أن تكون وجهته و قبلته البيت الحرام والكعبة المشرفة.

ومما يجدر ذكره أن مسجد الإجابة (مسجد المباهلة) يقع بين دور بني عبد الأشهل (٢) ودور بني معاوية، ولم يعرف ولم يسم بالقبلتين، اللهم إلا أن يقال:

إنه كان هناك مسجد وخرّب ولم يبق منه أثر؛ وهذا بعيد جداً.

ومما يؤيد ما نحن بصددده، ما قاله الفيض الكاشاني رحمه الله في ذيل خبر التهذيب، حيث أورد بعض الأشياء على ظهور الخبر، واختلاف الألفاظ في قصة بني عبد الأشهل.

قال: بيان: «أتوهم» أي جماعة، والظاهر أن لفظه «هم» زيادة من النسخ، وبناء الفعل للمفعول كما في «قيل» فإن في بعض هذه القصة: «فأتى بني عبد الأشهل رجل من الأنصار» وفي بعضها: «فأتى رجل ممن صلى مع النبي صلى الله عليه وآله قوماً في مسجد». وبالجملة فيها ما يدل على انفراد المخبر (٣).

ثم إنه توجد روايات في كتب الفريقين تدل على تحويل القبلة في مسجد بني سلمة، والنبي صلى الله عليه وآله كان حاضراً هناك، وإليك بعضها:

١-١ المصدر نفسه.

٢-٢ انظر إلى الخريطة رقم ٢.

٣-٣ الوافي ٧: ٥٣٨.

ص: ١١٤

روى على بن إبراهيم بإسناده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: تحوّلت القبلة إلى الكعبة بعدما صَلَّى النبي صلى الله عليه وآله بمكة ثلاث عشرة سنة إلى بيت المقدس...

فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر، كان في مسجد بنى سالم [سلمة] (١) قد صَلَّى من الظهر ركعتين فنزل عليه جبرائيل عليه السلام فأخذ بعضديه فحوّله إلى الكعبة...

وكان صَلَّى ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة (٢).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن النبي صَلَّى في مسجد الخربة ومسجد القبلتين، وفي مسجد بنى حرام الذي بالقاع (٣).

وروى عثمان بن محمد الأحبشي قال: زار رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة من بنى سلمة يقال لها أم بشر في بنى سلمة، فصنعت له طعاماً فجاء الظهر، فصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه في مسجد القبلتين الظهر، فلما صَلَّى ركعتين أمر أن يتوجه إلى الكعبة، فاستدار رسول الله صلى الله عليه وآله، فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين (٤).

وقال السمهودي: وعند الزمخشري: صُيرفت القبلة ورسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد بنى سلمة - يعنى مسجد القبلتين - وقد صَلَّى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحول في الصلاة، واستقبل الميزاب، وحول الرجال مكان النساء، والنساء مكان الرجال (٥).

فقد ورد أنه صلى الله عليه وآله جاء يعزى أم بشر، امرأة من بنى سلمة مات ابن لها، وعزمت عليه أن يقبل عندها هو ومن معه من أصحابه، فذبحت له عناقاً «جفرة» وتغدى عندها، فأدركته صلاة الظهر فقام يصلى هو وأصحابه في بيتها متوجهين إلى بيت المقدس، وبعد قيامه للركعة الثالثة نزل عليه الوحي بتحويل القبلة إلى بيت الله الحرام، فاستدار بوجهه إلى الجنوب، واستدار أصحابه حتى صاروا خلفه... وبعد ذلك طلب بنو سلمة من أم بشر أن تبيعهم هذه الدار؛ ليتخذوها مسجداً لصلاة النبي صلى الله عليه وآله فيها، فوهبتها لهم فبنوا فيها مسجدهم الذي أطلق عليه بعد مسجد بنى سلمة إسم «القبلتين» الذي نزلت آية تحويل القبلة في مكانه (٦).

١- ١ الظاهر الصحيح ذلك، انظر الخريطة رقم ٢.

٢- ٢ مجمع البيان ١: ٢٢٣.

٣- ٣ تاريخ المدينة المنورة، لابن شبة ١: ٦٨.

٤- ٤ أخبار مدينة الرسول، لابن النجار: ١١٥.

٥- ٥ وفاء الوفا، للسمهودي ١: ٣٦٢.

٦- ٦ طيبة، مدينة الرسول: ٩٠- ٩١.

ص: ١١٥

ج- كيفية وقوع التحويل

بما أن الروايات والأخبار التاريخية الواردة في شأن هذا الحدث العظيم قد صرحت بتحويل القبلة، حين الصلاة في بني سلمة، إلا أن تسمية هذا المكان ب (مسجد القبلتين) تم؛ لأن التحويل وقع فيه أولاً وفي صلاة جماعة كان النبي صلى الله عليه وآله إمامها ثانياً، ولو لم يكن كذلك، لصدق أسم مسجد القبلتين على غيره من الأماكن كمسجد بني عبد الأشهل ومسجد قبا (١) لوقوع صلاة العصر في الأول وصلاة الصبح في الثاني إلى القبلتين.

ثم إنه نقل السمهودي في وفاء الوفا عن ابن سعد أن الانصراف إلى الكعبة كان في صلاة الجماعة. وكذا ابن سعد نقل عن الواقدي: أن تحويل القبلة كان في صلاة الجماعة، وكان إمامها رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي مسجد القبلتين، ثم قال ابن سعد: قال الواقدي: هذا أثبت عندنا (٢).

ونقل الشيخ قوام الدين الوشنوي عن إسعاف الراغبين: وفي هذه السنة- السنة الثانية- حوّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، والنبي صلى الله عليه وآله يصلي بأصحابه صلاة الظهر عند الأكثر، فوقع نصفها إلى بيت المقدس ونصفها إلى الكعبة (٣).

ونقل الشيخ قوام الدين الوشنوي أيضاً: والأكثر على أن تحويلها كان في صلاة الظهر، وقيل العصر، وفي الصحيحين عن البراء: أن أول صلاة صلّاها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة صلاة العصر. ثم قال: وقد يقال لا منافاة، لجواز أن يكون المراد أول صلاة صلّاها كلّها إلى الكعبة صلاة العصر، لأن الظهر صلّى نصفها الأول إلى بيت المقدس ونصفها الثاني إلى الكعبة (٤).

فظهر عمّا ذكر أن تحويل القبلة حدث في صلاة الظهر، وقد صرح بذلك ما رواه علي بن إبراهيم بإسناده عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٥)، وقد ذكر في كتب الحديث والتأريخ أنه حدث ذلك في صلاة الجماعة بإمامة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد القبلتين. والله العالم.

١- ١ الموطأ: ١: ١٩٤.

٢- ٢ وفاء الوفا، للسمهودي ١: ٣٦٣.

٣- ٣ حياة النبي وسيرته ١: ٣٠١.

٤- ٤ المصدر نفسه ١: ٢٩٩.

٥- ٥ مجمع البيان ١: ٢٢٣.

ص: ١١٦

الخريطة رقم ١

ص: ١١٧

الخريطة رقم ٢

ص: ١١٨

المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- المنجد، الطبعة ٢١، دار المشرق، بيروت.
- ٣- الميزان في تفسير القرآن، الطبعة ٣، مؤسسة اسماعيليان للنشر، قم، ١٣٩٣ هـ.
- ٤- البرهان في تفسير القرآن، الطبعة ٢، دار الكتب العلمية، قم.
- ٥- الكشاف، الطبعة ١، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٤ هـ.
- ٦- تفسير الصافي، رحلي، مكتبة المحمودي، طهران، ١٣٣٤ هـ. ش.
- ٧- آلاء الرحمن في تفسير القرآن، لمحمد جواد البلاغي، الطبعة ٢، مكتبة الوجداني، قم.
- ٨- جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٩ هـ.
- ٩- تفسير القمي، لعلي بن إبراهيم القمي من أعلام قرني ٣-٤ هـ، مكتبة الهدى، ط ٢، بيروت، ١٣٨٧ هـ.
- ١٠- تهذيب الأحكام، للشيخ الطوسي رحمه الله، دار الأضواء، بيروت- الطبعة ٣، ١٤٠٦ هـ.
- ١١- مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة ١، ١٤٠٧ هـ.
- ١٢- بحار الأنوار، للعلامة المجلسي رحمه الله، مؤسسة الوفاء، بيروت- الطبعة ٢، ١٤٠٣ هـ.
- ١٣- مجمع البيان، للشيخ الطبرسي رحمه الله، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٩ هـ.
- ١٤- حياة النبي وسيرته، لقوام الدين الوشني، دار الأسوة، قم ط ١، ١٤١٦ هـ.
- ١٥- السيرة الحلبية.
- ١٦- السيرة النبوية لابن هشام.
- ١٧- تفسير الطبري، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٩ هـ.
- ١٨- المنتقى في مولد المصطفى، للكازروني اليماني.
- ١٩- نور الأبصار، للشبلنجي.
- ٢٠- تاريخ يعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب، دار صادر بيروت، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.
- ٢١- تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، بيروت، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ٢٢- الموطأ، لمالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- ٢٣- الوافي، لملاً محسن الفيض الكاشاني، طبع إصفهان، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
- ٢٤- تاريخ المدينة المنورة، لابن شبة.
- ٢٥- أخبار مدينة الرسول، لحافظ محمد بن النجار، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة، ط ٣، ١٤٠١ هـ.
- ٢٦- وفاء الوفا، للسمهودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ٣، ١٩٨١ م.
- ٢٧- طيبة، مدينة الرسول، المهرجان للإعلان، جدة، ١٩٩٤ م.

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةٌ

ص: ١٢٣

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ

محمد سليمان

فى بيت من البيوت العريقة وذات السمعة الطيبة والمكانة العالية فى الحجاز، ولدت سيدتنا خديجة لأبوين قرشيين: فأبوها خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر من كنانة... من قريش، فهو من بنى أسد. وقدمات فى حرب الفجار، التى قامت فى الجاهلية فى الأشهر الحرم بين قريش وقيس عيلان، ويومذاك كان عمر خديجة- إذا ما أخذنا برواية أن عمرها حين زواجها من الرسول صلى الله عليه وآله أربعون سنة- ثلاثين سنة.

وأما أمها فهى فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن فهر بن لؤى بن غالب. فهى تجتمع مع زوجها خويلد فى لؤى بن غالب... من كنانة من قريش.

خديجة القرشية الأسيديه تلتقى نسباً مع النسب الكريم لرسول الله صلى الله عليه وآله فى جدّه الرابع «قصى»، فهو محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى... وهى بالتالى أقرب نسائه إليه صلى الله عليه وآله. كانت تدعى فى الجاهلية بالطاهرة، وسيدة نساء قريش، وسيدة قريش.

ص: ١٢٤

وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً وأحسنهن جمالاً... وفي لفظ كان يقال لها سيده قريش؛ لأن الوسط في ذكر النسب من أوصاف المدح والتفضيل، يقال: فلان أوسط القبيلة أعرقها في نفسها... (١) عمرٌ خديجة:

الاهتمام بعمرها أمر طبيعي جداً؛ لأنه جزء من دراسة حياتها المباركة بعد أن اقترنت برسول الله صلى الله عليه وآله، وصارت حياتها جزءاً من حياته الشخصية والدينية بكل أبعادها.

ولكن هذا الاهتمام بدلاً من أن يولد لدينا القطع بعمرها عمق الاختلاف فيه تبعاً لاختلاف الروايات والأخبار وبالتالي الآراء عن ولادتها، وعن عمرها وحياتها حين اقترانها بالرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وراحت - اعتماداً على تلك الروايات - أقوال قدماء المؤرخين بالذات وأقوال من جاراتهم من الكتاب المحدثين توسع ذلك الاختلاف وثبتته ولم تستطع حسمه بما تقدمه من أدلة.

وابتداء نشير إلى بعض روايات سنّها ومصادرهما:

فعن ابن عباس: كانت خديجة يوم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله ابنة ثمان وعشرين سنة (٢).

وعن حكيم بن مزاحم (ابن أخيها):

تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله خديجة وهي ابنة أربعين سنة، ورسول الله صلى الله عليه وآله ابن خمس وعشرين سنة. ويقول مزاحم: وكانت أسنّ منى بستين، ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وولدت أنا قبل الفيل بثلاث عشرة سنة (٣) (فقد ولد صلى الله عليه وآله بعد وقعة الفيل بخمسين يوماً...) (٤).

وذكر الواقدي: أنها كانت لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله بنت خمس وأربعين سنة.

وعن البيهقي والحاكم:.... وأن عمره صلى الله عليه وآله كان خمساً وعشرين وعمرها خمساً وثلاثين.

كما أن هناك من يقول: إنها ابنة ٢٥ سنة، أو ٣٠ سنة...

يقول صاحب كتاب اتحاف الوري بأخبار أمّ القرى...

... خطب النبي صلى الله عليه وآله إلى خديجة نفسها، وكانت ابنة أربعين سنة. ويقال:

١- ١ انظر السيرة الحلبية ١/ ١٣٧، باب تزوجه صلى الله عليه وآله خديجة بنت خويلد رض.

٢- ٢ مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٥.

٣- ٣ مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٥.

٤- ٤ انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ١٠٠، وأنساب الأشراف للبلاذري ص ٩٢.

ص: ١٢٥

ابنة خمس وأربعين ويقال:.... ثمان وأربعين سنة ويقال:.... ست وأربعين، وقيل:.... ثلاثين، ويقال:.... ثمان وعشرين....
فالأقوال إذن في مسألة عمرها مختلفه، وقد ذهب جلال مظهر في كتابه: محمد رسول الله، سيرته وأثره في الحضارة إلى (أنها كانت ابنة ٢٥ سنة) دون أن يذكر سبباً مرجحاً لذلك.

في حين اعتمدت بنت الشاطي في كتابها نساء النبي رواية الأربيعين، التي اعتمدها الطبري والواقدي ورواها حكيم بن مزاحم. وهيكل هو الآخر اعتمد في كتابه حياة محمد ما اعتمده الطبري والواقدي.

وقد ذكر كل من الدكتور عبد الصبور شاهين وإصلاح عبدالسلام في أمهات المؤمنين: وقد أجمعت كتب التاريخ والسيره، إلّا رواية واحدة في الطبقات على أن السيدة خديجة كانت في الأربيعين من عمرها، عند زواجها...

إن ما ذكره بعيد عن الدقة، فأين هو الإجماع، وهذه المصادر وكتب التاريخ بين أيدينا قد ذكرت روايات متعددة...، وكلها تشير إلى الاختلاف في سنّها؟!!

وذهب ابن اسحاق، كما في مستدرک الحاكم، إلى أن خديجة كانت في الثامنة والعشرين من العمر (١).

في حين ذهب العقاد في كتابه فاطمة الزهراء والفاطميون إلى اعتماد رواية ٢٥، ٢٨ سنة، حيث يرى أن المرأة في بلاد كجزيرة العرب يبكر فيها النمو ويبكر فيها الهرم، فلا تصدى للزواج بعد الأربيعين.

وهذا ردّ صريح على من أخذ برواية الأربيعين، الذين أخذوا في اعتبارهم أن السيدة خديجة قد تزوجت قبل رسول الله صلى الله عليه و آله من عتيق بن عائذ ومن بعده من أبي هالة زُرارة، وأنجبت لهما أولاداً، ثم مكثت بعد وفاة زوجها الثاني مدة ليست قصيرة، راغبة في تنمية ثروتها وأموالها، التي ورثتها من أبيها الذي كان ثرياً ومن قبيلة ذات مال وفير، ومن زوجها، عازفة عن الزواج الثالث؛ لأن كل من تقدّم لزواجها- كما زعم- إنما كان تدفعه الرغبة في ثروتها، ولأنها لم تجد فيهم

١- ١ مستدرک الحاكم ٣/ ١٨٢، وقد كان كلام ابن اسحاق بلا إسناد.

ص: ١٢٦

من الشرف والأمانة والصدق، هذه الصفات التي كانت تنشدها، حتى تستطيع أن تأمنه على أموالها وتجارها... حتى قدر لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يضارب بتجارها، وقد قبلت به لمعرفة بأنه الصادق الأمين، وهو الذي عُرف بهذا بينهم، وفعلاً سافر إلى الشام ببضاعته وعاد ببضاعته أخرى وفيرة وأرباح عالية لم تعهدها من قبل، مع ما حدثها عنه غلامها ميسرة، الذي كان برفقه محمد وخدمته، فزادت معرفتها به، وعظم تعلقها به، ورأت فيه ما كانت تمنى، فتزوجته. وقد استعان أصحاب رواية الأربعين بذيّل الرواية نفسها عن حكيم بن مزاحم على تأييد ما ذهبوا إليه، وذيلها يقول: إنها توفيت في شهر رمضان سنة عشر من النبوة وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة (١)...

وأخذ على هذا الرأي: أنها كيف أنجبت في هذه السن المتأخرة؟!

واجب عن ذلك بأنه من المشاهد وجود نساء قد أنجبن بعد الأربعين، بل بعد الخمسين أيضاً، وهذا الأمر يتوقف على توفر عوامله، التي منها صحة المرأة واستعدادها وقابليتها وبيئتها، وما تعيشه المرأة من رفاهية في حياتها واستقرار وراحة... وهو ما توفر للسيدة خديجة. علماً بأن هناك من يقول: إن آخر ما أنجبت خديجة فاطمة الزهراء وهي في الخمسين إن لم تكن أقل من ذلك من عمرها المبارك، ومعنى هذا أنها لم تنجب بعد الخمسين سنة وكانت هذه الفترة ١٥ سنة.

فالمدائني قال: ولدت فاطمة قبل النبوة بخمس سنين.

وفي رواية جعفر بن سليمان: ولدت فاطمة سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله.

وعن أبي جعفر:... أما أنت يا فاطمة فولدت وقريش تبنى الكعبة والنبي صلى الله عليه وآله ابن خمس وثلاثين سنة.

فهذه الروايات تبين أن فاطمة - وهي آخر مولود لخديجة - ولدت وخديجة بعد لم تتجاوز الخمسين من عمرها. وعلى رواية الأربعين كانت البعثة وخديجة في الخامسة والخمسين من عمرها...

ص: ١٢٧

وقد ترد بعض الملاحظات على مسألة التمسك برواية ٤٠ وأنها قد تزوجت مرتين...

١- لماذا هذا الاصرار على التمسك برواية الأربعين وعدّها هي المشهورة، وهي رواية من عدّة روايات (٤٥ سنة، ٢٨ سنة، ٢٥ سنة، ٣٠ سنة...) أليس هذا ترجيحاً بلا مرجح؟

٢- امرأة بهذا العمر (٤٠، ٤٥ سنة، وفي أجواء كأجواء الحجاز الحارة جدّاً، التي يسرع الكبر فيها إلى الإنسان، وقد تقدم لخطبتها- كما تقول الأخبار- أعظم قريش نسباً ومالاً ورفضتهم، بل وتمناها وتهالك عليها كلّ شريف وعظيم، فقد كان ممّن خطبها عقبه بن أبي معيط، والصلت بن أبي يهاب وكان لكل واحد منهما أربعمائة عبد وأمة، وخطبها أبو جهل بن هشام، وأبو سفيان (١)، فهل كلّ هذا يكون من أجل امرأة بهذه السن المتأخرة، ومن أجل امرأة عاشت بيّتين (بيت عتيق، وبيت «أبو هالة»)، وأنجبت واحداً على رواية، واثنين على رواية أخرى، وثلاثة على رواية ثالثة، وهم (هند والحارث وبنت اسمها زينب) (٢)، وترملت بعدهما وعاشت سنين أخرى؟! أو يصح هذا وهم قادرون بما عندهم من شرف ومال وجاه أن يتزوجوا بما يحلو لهم من النساء من بيوتات عربية أخرى ذات شرف وعفة ومال وجمال!؟

ثم إن زوجها السابقين لم يكونا بدرجة عالية من المكانة، ومع هذا قبلت بهما وهي في شبابها... فكيف وقد تقدم بها العمر ترفض زعماء قريش وأشرافها؟! وإن قيل إنها قررت تنمية ثروتها، فإن هذا ادعاء سطرته أقلام الكتاب، ولا يصلح أن يكون مبرراً يفرض عليها ما دامت لم تصرح به، علماً بأن في قبال هذا الادعاء يقول: إنها إنما رفضتهم جميعاً؛ لعدم توفر الصفات التي تريدها فيمن تقدم لخطبتها، وهو ادعاء أقوى من ادعاء الكتاب؛ لأنه من أقرب الناس لها.

قال ابو القاسم الكوفي: إن الإجماع من الخاص والعام، من أهل الأنام ونقله الأخبار، على أنه لم يبق من

١- ١ انظر البحار ١٦ / ٢٢.

٢- ٢ جوامع السيرة النبوية، ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ دار الكتب العلمية- بيروت.

ص: ١٢٨

أشرف قريش، ومن ساداتهم، وذوى النجدة منهم، إلّا من خطب خديجة، ورام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلن لها: خطبك أشرف قريش، وأمراؤهم فلم تتزوجي أحداً منهم، وتزوجت محمداً يتيماً أبى طالب فقيراً، لا مال له؟! فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجة، يتزوجها أعرابي من تميم، وتمتنع من سادات قريش، وأشرفها على ما وصفناه؟! ألا- يعلم ذوو التمييز والنظر أنه من أئين المحال، وأفضع المقال؟! (١) ٣- وفي الاستغاثة ذكر بعض أنه كانت لخديجة أخت اسمها هالة (٢) تزوجها رجل مخزومي، فولدت له بنتاً اسمها هالة، ثم خلف عليها رجل تميمي يقال له أبو هند فأولدها ولداً اسمه هند... وكان لهذا التميمي امرأة أخرى قد ولدت له زينب ورقية، فماتت ومات التميمي، فلحق ولده هند بقومه وبقيت هالة أخت خديجة والطفلتان اللتان من التميمي وزوجته الأخرى؛ فضمتهم خديجة إليها، وبعد أن تزوجت بالرسول صلى الله عليه وآله ماتت هالة، فبقيت الطفلتان في حجر خديجة والرسول صلى الله عليه وآله... وكان العرب يزعمون أن الربيب بنت، ونسبتا إليها صلى الله عليه وآله، مع أنهما ابنتا أبى هالة زوج أختها، وكذلك كان الحال بالنسبة لهند نفسه (٣).

أريد من هذا كله أن أقول: إن ما يناسب صفات هذه السيدة، وما يلائم كل ما قيل بحقها، ورغبة الآخرين فيها، وما يبعدنا عن مسألة كل ما يرد من إشكالات حول عمرها وقدرتها على الانجاب، وما دامت الروايات كلها قد تكون بمستوى واحد وليس لواحدة على الأخرى ترجيح، أرى أن الأخذ برواية ٢٥، أو ٢٨ كما ذهب إليه العقاد أولى، لأن هاتين الروايتين تناسبان واقع حياة هذه المرأة لا غير. أما زواجها السابق لمرتين فهو أيضاً محل تأمل وتوقف، وقد وردت أدلة وأقوال على أنها باكر كما ذهب إلى ذلك كل من أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرضى في الشافى، وأبو جعفر في التلخيص: أن

١- ١ لها ذكر في كتب الأنساب، فراجع على سبيل المثال: نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ١٥٧-١٥٨.

٢- ٢ الاستغاثة ١ / ٧٠.

٣- ٣ راجع الصحيح في سيرة النبي صلى الله عليه وآله، والاستغاثة ١ / ٦٨-٦٩ ورسالة مطبوعة طبعه حجرية في آخر مكارم الأخلاق ص ٦.

ص: ١٢٩

النبي تزوج بها وكانت عذراء، هذا ما نقله ابن شهر آشوب في المناقب في ترتيب أزواجه صلى الله عليه وآله، حيث يقول: تزوج بمكّة أولاً خديجة بنت خويلد؛ قالوا:

وكانت عند عتيق بن عايد المخزومي ومن ثم عند أبي هالة زرارة بن نباش الأسدي.

وروى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرضى في الشافعي، وأبو جعفر في التلخيص: أن النبي تزوج بها وكانت عذراء، يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع: أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخذت خديجة (١).

الزواج المبارك:

استجمعت أحاسيسها وراحت تستمتع فرحةً مسرورةً لحديث غلامها ميسرة، الذي صحب النبي صلى الله عليه وآله وهو يضارب في تجارة لخديجة في الشام، وراح يحدثها عن سيره محمد معه وعن أخلاقه وطباعه وصفاته الجميلة، وعمّا كان يراه من كراماته التي لم ير ميسرة مثيلاً لها من قبل على كثرة سفراته مع آخرين، فأعجبت به، وقد أسر كلّ مشاعرها، وامتلك كلّ عواطفها، وتحركت في قلبها أسرارها، وكأنها تريد لهذا الحديث ألا يتوقف أو ينتهي، ثم راحت تحدّق في مستقبل فتى بني هاشم الصادق الأمين، الذي غدا صدقه يملأ الآفاق، وأمانته يلهج بها كلّ لسان، ماذا يخيب المستقبل لهذا اليتيم الهاشمي، وما هو ذاك الشأن العظيم الذي ينتظره؟! لقد تمثلت أمام عينيها شخصيته بكلّ ما فيها من نبيل صفاته ورقّة شمائله، وعظيم وكرم أخلاقه، وجمال روحه وشرفه وفضله على الجميع.

لاحت من ميسرة نظرة إلى سيدته، فردّت طرفها وعلتها العفة وهي أنبل نساء عصرها حياءً وأعظمهنّ خلقاً...

فانقلبت غبطنها تلك وفرحتها إلى حبّ لم تحسّ به من قبل، والى ودّ ما لامس مثله أحاسيسها أبداً، وإلى إكبار وتكريم ولجا قلبها ملاً كلّ منهما عليها حياتها... وهي التي تمردت على واقع نساء قومها، وامتنعت أمام أعظم قريش شرفاً ونسباً وثراءً ومكانة... فالتفتت بعد حين إلى أختها على قول

ص: ١٣٠

وإلى صديقتها نفيسة بنت منبه على قول آخر؛ لتسرّها بأن ما قاله ميسره عن محمد قد نفذ إلى روحها، وأنها وجدت فيه ما كانت تتمناه ولم تجده فيمن تقدم لخطبتها، فما كان من نفيسة - وقد سرّت بما سمعته - إلّا أن بادرت إليه - على رواية - فقالت له: ما يمنعك أن تتزوج؟

قال: ما بيدي ما أتزوج به.

قالت: فإن كفيت ذلك، ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، ألا تجيب؟

قال: فَمَنْ هي؟!

قالت: خديجة.

قال: كيف لي بذلك؟!

فقالت نفيسة، وقد علت ملامح وجهها الفرحة: على ذلك، وسارعت لتبلغ خديجة بما سمعته من محمد.

وفي رواية:... وكانت لبيبة حازمة، فبعثت إليه تقول: يا ابن عمّ، إني قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك (١).

لقد خصّ بها الله بكرامة أذخرها لها، وكانت له من الشاكرين، واختارها لمكانتها وصفاتها لتكون امرأة خاتم رسله، وسيد الأولين والآخرين محمد ابن عبد الله.

لم يتأخر محمد في إبلاغ عمّه (أبو طالب) وعشيرته بذلك، كما لم تتأخر خديجة فقد أبلغت عمّها عمرو بن أسد، الذي حضر، ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله عليه في عمومته، ومعه بنو هاشم وسائر رؤساء مضر، فخطب أبو طالب فقال:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئ معدّ، وعنصر مضر، وجعلنا حصنه بيته، وسؤاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوباً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يُوزن به رجل من قريش إلّا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، فإن كان في المال فلا، فإن المال ظلّ زائل، وأمر حائل، وعارية مسترجعة. ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي هذا، وهو مع هذا - والله - له نأ عظيم، وخطر جليل أو «له والله خطب عظيم ونأ شائع». فتزوجها

ص: ١٣١

وأصدقها عشرين بكرة، وقيل اثنتى عشرة (اثنتين وعشرين) أوقيه ذهباً ونشا (نصف أوقية)، والأوقية أربعون درهماً، والنش عشرون درهماً؛ فذلك خمسمائة درهم.

وفى رواية- فقال لأعمامه... فجاء معه حمزة عمه حتى دخل على خويلد [خويلد بن أسد، وقيل: بل عمرو بن خويلد بن أسد، وقيل بل عمرو بن أمية عمها، وكان شيخاً كبيراً وهو الصحيح، على ما فى نهاية الأرب ٩٨ / ١٦، وعند ابن سعد فى الطبقات ١ / ١٣٢ وعن جمهرة النسب للكلبى ص ٧٤ وهو عمرو بن أسد ابن عبد العزى، وهو يومئذ شيخ كبير لم يبق لأسد لصلبه يومئذ غيره، ولم يلد عمرو ابن أسد شيئاً] (١).

إذن فقد اشتهر أن عمها عمرو بن أسد، هو الذى زوّجها، وإن قيل: إن الذى زوجها أخوها عمرو بن خويلد؛ لأن أباه مات قبل حرب الفجار، وهذا كله يكذب المزاعم، التى رويت من أن أباه زوجها بعد أن سقته خمرًا... لتحصل بذلك على موافقته؛ لأنه لا يوافق من تزويجها من فقير يتيم...

ففى رواية أحمد فى مسنده:

حدّثنا أبو كامل، ثنا حمّاد، عن عمّار ابن أبى عمار، عن ابن عيّاس- فيما يحسب حمّاد- أن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر خديجة، وكان أبوها يرغب عن أن يزوّجها، فصنعت هى طعاماً وشراباً، فدعت أباهاً وزمراً من قريش فطعموا وشربوا ثم تملّوا، فقالت لأبيها: إن محمداً يخطبنى فزوّجنى إياه، فزوّجها إياه، فخلّقتة (طيبته، وفى المسند «فجملته») وألبسته حُلَّةً كعادتهم، فلما صحا نظر، فإذا هو مخلّق فقال: ما شأنى؟ فقالت: زوّجتى محمداً، فقال:

وأنا أزوّج يتيم أبى طالب! لا لعمرى، فقالت: أما تستحى؟ تريد أن تسفّه نفسك معى عند قريش بأنك كنت سكران، فلم تنزل به حتى رضى.

وقد روى طرفاً منه الأعمش، عن أبى خالد الوالى، عن جابر بن سمره أو غيره.

كما ذكر مختصر تاريخ دمشق رواية نسبت إلى عمار بن ياسر تشبه هذه

ص: ١٣٢

الرواية.

وهذا ما نفاه الواقدي بعد نقله بقوله:

وهذا غلط، والثبت عندنا المحفوظ من حديث محمد بن عبد الله بن مسلم، عن أبيه، عن محمد بن جبير بن مطعم، ومن حديث ابن أبي الزناد، عن هشام ابن عروة، عن أبيه، عن عائشة. ومن حديث ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن أباه مات قبل الفجار (١).

وقد بلغت تلك الرواية من الضعف والسخرى درجة كبيرة، فهي إضافة إلى منافاتها لأخلاق هذه السيدة المباركة حتى قبل زواجها برسول الله صلى الله عليه وآله، فقد شهد لها - في الجاهلية - بسمو الخلق والنجابة والشرف وبرجاعة عقلها وقوة شخصيتها، مع ما لها من المكانة الكبيرة عند أهلها وعشيرتها، مما جعلها موضع فخر واعتزاز ومما يؤهلها لاقتناع أبيها - على فرض حياته - بهذا الزواج. يقول صاحب السيرة الحلبية عنها: امرأة حازمة أي ضابطة جلده أي قوية شريفة أي مع ما أراد الله تعالى لها من الكرامة ومن الخير...

فامرأة تحمل هذه الصفات لا أظنها بحاجة إلى أن تستعين بأسلوب يتنافى مع كل ما من الله تعالى عليها من صفات كريمة، وقد وصفت خديجة نفسها هذا الأسلوب - حسب الرواية - بقولها إلى أبيها: تريد أن تسفه نفسك معي عند قريش بأنك كنت سكران. فهو إذن أمر معيب عندهم فكيف ترتكبه؟! وإضافة إلى هذا فإن الرواية تتنافى مع الرواية الأخرى التي نالت إجماع أكثر المؤرخين من أن أباهم توفي من قبل وأن عمها هو الذي زوجها، وعلى رواية ضعيفة أن أخاها زوجها.

وتم هذا الزواج المبارك، بعد رجوع النبي صلى الله عليه وآله من سفره إلى الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوماً، وقبل بعثته نبياً بخمس عشرة سنة، وبعد أن أكمل صلى الله عليه وآله خمسا وعشرين سنة وشهراً وعشرة أيام من عمره المبارك (٢)، وأخذت هذه السيدة مكانها الذي اختارته السماء لها لتكون بجانبه صلى الله عليه وآله وهو يستعد لتحمل

١- ١ انظر تاريخ الطبري ١ / ٥٢٢.

٢- ٢ اتحاف الوري بأخبار أم القرى - السنة ٢٦.

ص: ١٣٣

مهام أعظم رسالته سماوية إلى الناس كافة، فكانت للرسول صلى الله عليه وآله نعم الزوجة ونعم السكن ونعم النصير، وكان لها أحسن حظ طالما انتظرتة وتمنته، ولم ينجو هذا الاقتران من حسدٍ وبغضٍ وغضب، فقد أحدث هزة بين الرجال، الذين سبق لهم أن توافدوا على عتبة بابها، وهم يحملون معهم كل المغريات ليخطبوا يدها، إلا أنهم عادوا من حيث أتوا خائبين بعد أن رفضتهم، ولم تعبأ بما حملوه معهم من مال، ولم يجد شرفهم وزعاماتهم أى أثر فى نفسها. فلاذ بعضهم بالسكوت، والبغض والحسد ياكلان قلبه، فى حين لم يتمالك بعض آخر أحاسيسه ولسانه فقال: ما هذا إلا سحر، مسكينة خديجة، فقد سحرها اليتيم فشغفت به. كما غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلن لها: خطبك أشرف قريش، وأمرأؤهم، فلم تتزوجى أحداً منهم، وتزوجت محمداً يتيماً أبى طالب، فقيراً لا مال له؟!

فما كان من خديجة- بعدما سمعت بذلك كله- إلا أن صنعت طعاماً ودعت نساء قريش وكان بينهن نساء المبغضين فلما اجتمعن وأكلن قالت لهن: معاشر النساء بلغنى أن بعولتكن عابوا علىّ فيما فعلته من أنى تزوجت محمداً، وأنا أسألكم هل فيكم مثله، أو فى بطن مكّة شكله من جماله وكماله وفضله وأخلاقه الرضيّة؟! وأنا قد أخذته لأجل ما قد رأيت منه، وسمعت منه أشياء ما أحد رآها، فلا يتكلم أحد فيما لا يعنيه، فكفّ كل منهن ومنهم عن الكلام (١).

وقد تابع الزوجان حياتهما المباركة هذه، وجهادهما الدؤوب، وقدر لخديجة أن تكون فى قلب الأحداث الجسام المملوءة بالآلام والشدائد المضنية، ووهبت كل ما تملكه من ثروة وهو كثير ووضعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ليضمه إلى سيف على عليه السلام.

أنجبت له صلى الله عليه وآله كل أولاده إلا إبراهيم فهو من مارية القبطية. وهم القاسم وبه كان صلى الله عليه وآله يكنى والطيب والطاهر- على قول- وقد ماتوا صغاراً رضعاً قبل بعثته المباركة، ورقية وزينب- على قول- وأم كلثوم وفاطمة الزهراء التى تزوجها الإمام على عليه السلام.

ص: ١٣٤

ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وآله غيرها طيلة حياتها المباركة معه، التي دامت قرابة خمس وعشرين سنة. إسلامها:

من بركات الله تعالى الخاصة بهذه المرأة أن مَنَّ عليها بأن اختارها لتكون أول نساء العالمين إسلاماً وأسبقتهم تصديقاً برسول الله ودعوته، وأخلص نسائه صلى الله عليه وآله جهاداً، وأعظمهن وفاءً وطاعةً له، وأصبرهن تحملاً لما لاقاه رسول الله من ضروب الأذى والتضييق، وأكثرهن بذلاً وعطاءً في سبيل الله ورسوله، فعن عبد الله بن مسعود: إن أول شيء علمت من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله قدمته مكة مع عمومة لي أو ناسٍ من قومي نبتاع منها متاعاً، فكان في بغيتنا شراء عطر، فأرشدنا إلى العباس بن عبدالمطلب، فانتهينا إليه وهو جالس إلى زمزم، فجلسنا إليه، فبينما نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا أبيض،... كأنه القمر ليلة البدر، يمشى على يمينه غلام، حسن الوجه...

تقفوهم امرأة، قد سترت محاسنها، حتى قصد نحو الحجر فاستلمه ثم استلمه الغلام، واستلمته المرأة، ثم طاف بالبيت سبعاً والغلام والمرأة يطوفان معه، ثم استقبل الركن، فرفع يديه وكبر، وقامت المرأة خلفهما، فرفعت يديها وكبرت، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه من الركوع، فقنت ملياً، ثم سجد وسجد الغلام معه والمرأة، يتبعونه، يصنعون مثلما يصنع، فرأينا شيئاً أنكرناه، لم نكن نعرفه بمكة، فأقبلنا على العباس فقلنا: يا أبا الفضل، إن هذا الدين حدث فيكم، أو أمر لم نكن نعرفه فيكم. قال: أجل، والله، ما تعرفون هذا؟ قال: قلنا: لا، والله ما نعرفه، قال: هذا ابن أخي محمد بن عبد الله، والغلام على بن أبي طالب، والمرأة خديجة بنت خويلد امرأته أما، والله، ما على وجه الأرض أحد نعلمه يعبد الله بهذا الدين إلّا هؤلاء الثلاثة.

لقد آمنت برسول الله، ولم يسبقها إلى ذلك إلّا الإمام على عليه السلام كيف لا يكون كذلك، وقد قرأت - بما ألهمها الله تعالى، وبما منحها من قدره وحكمته وبصيرته ونظرة ثاقبه لمستقبل الصادق الأمين - مستقبله وأنه ذو شأن كبير

ص: ١٣٥

ومقام كريم ومنزلة محمودة؟!

لقد واكبت مسيرته المباركة وهو في غار حراء، بخدمتها الصادقة وكلماتها الطيبة، التي تدل على مدى اخلاصها ونباهتها وصفائها: «وهيات خديجة لزوجها ما يناسبه من حياة، فلما لجأ للتحنث في غار حراء، كانت تعد له ما يحتاجه من طعام وشراب خلال الفترة، التي اعتكف فيها بالغار، فلما جاءه الوحى كانت أول من صدقه، وعانت معه صراع قريش ضده، وكانت البلسم الشافى لجراحه من هؤلاء المعتدين، ودخلت معه الشعب عندما قرر سادة قريش أن يقطعوا المسلمين...» (١).

كانت تسمعه كلمات رقيقة هادئة كلما دخل بيتها عائداً من غار حراء، كلمات ملؤها الحنان والحب. تدعوه أن يطمئن، وتدعوه أحياناً أن يهدأ وينام، فكان يقول لها: مضى عهد النوم يا خديجة. لقد كانت كلماتها تلاحقه وهو في بيته، وهو خارج منه، وهو في الغار، وهو يدعو عشيرته للإيمان، وهو في دار الأرقم يدعو الناس سرّاً، وهو في كل مكان في مكة يقارع قريشاً وشركها جهراً، وهو يرى أعداءه والمتربصين به، والمبغضين له، فكانت تخفف عنه كل معاناته وكل ما يلقاه من أذى وتكذيب وعنت من قومه.

وكان صلى الله عليه وآله يصرح ويفضى لها بكل شيء يقول ابن هشام في سيرته:

وآمنت به خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من الله، ووازرته على أمره... فخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وآله، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عليه، وتصدقته وتهوّن عليه أمر الله، رحمها الله تعالى (٢).

ومن كلماتها له صلى الله عليه وآله أيضاً: أبشر، فوالله، لا يخزيك الله أبداً، والله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدى الأمانة، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الدهر.

في شعب أبي طالب:

ما انفكت قريش تصعد عداءها لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتوقف عملها في تجذير ذلك العداء في نفوس أبنائها قولاً وعملاً. وكلما ازداد

١-١ سير أعلام النبلاء ١/ ٨١.

٢-٢ السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٤٠.

ص: ١٣٦

رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه التزاماً بموقفهم وثباتاً على مبادئهم ازداد عداء قريش لهم وأذاها. وقد رأت أن أهله وعشيرته قد وفروا له الرعاية والحماية، فعزمت على شن حملتها على هذه الأسرة، وارتأت أن تتخذ وسيلة غير الحرب في أول أمرها فلعلها تصل إلى أهدافها دون قتال وما يجزّه هذا القتال من ويلات وانقسامات بين قبائلها.

فاجتمع زعمائها وكتبوا الصحيفة، التي قرروا فيها:

مقاطعة بني هاشم على المستويات الاجتماعية والاقتصادية فلا يتزوجون منهم، ولا يزوجونهم، ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم، ولا يكلمونهم، ولا يزورون مرضاهم، ولا يشيعون موتاهم، وأكروههم أن يلزموا الشعب وهو طريق بين جبلين.

أما نتائج هذه المقاطعة- التي استمرت حوالي ثلاث سنوات- فقد كانت قاسية جداً على بني هاشم، ومسيهم بسببها الضرر بل الجوع والحرمان... ولم تنفض إلّا بعد أن أشفق بعض القرشيين على بني هاشم بسبب ما نالهم من أذى وعذاب، فخرقوا هذه الوثيقة، وعادوا إلى الاتصال بهم (١) وهناك رواية: أن الأرضة أتت على كل شيء في الصحيفة، ولم تدع إلّا اسم الله جلّ وعلا وقد أوصى الله لمحمد بذلك، فنقل ذلك إلى عمّه أبي طالب، فتحدى أبو طالب جماعة المشركين، وأحضروا الصحيفة فظهر صدق محمد.

هذه خلاصة المقاطعة، التي كانت خديجة ضحية من ضحاياها، فقد أصابها الضرر أيما إصابة، وعانت معاناة عظيمة من آثار هذه المحاصرة الظالمة، ولكنها لاذت بالصبر، ووقفت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله موقفاً، يندر أن تقف مثله امرأة، وكان لشخصيتها ومكانتها وهيبتها في النفوس الأثر الكبير، إلى درجة أنها صارت من أسباب قيام خلافٍ ونزاعٍ أدى إلى انهيار موقف قريش، وترك العمل بالصحيفة وفشل المقاطعة.

ففي السيرة النبوية (٢): أن أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد، ومعه غلام يحمل قمحاً إلى خديجة بنت

١-١ السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١١٠، ٢٣١، ابن القيم ٢/ ٤٦.

٢-٢ لابن هشام ١/ ٥.

ص: ١٣٧

خويلد زوجة الرسول وعمية حكيمة، فتعلق به أبو جهل، وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم، والله، لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البختری، وقال له: مالك وله؟ إنه طعام كان لعمته رغبت إليه فيه، فكيف تمنعه؟ فأبى أبو جهل، وقام نزاع كان من أسباب إغفال الصحيفة ونهاية المقاطعة.

كما كان لهشام بن عمرو بن الحارث العاملي الذي كان من أقرباء خديجة دور آخر في بذر الخلاف بين زعماء المقاطعة، فقد كان أكثر الناس إقداماً على مساعدة المحصورين المقاطعين، فكان يدخل أحمال الطعام إلى بني هاشم في الشعب... وأرادت قريش معاقبته.

فانبرى أبو سفيان وقال: دعوه، رجل وصل رحمه، أما والله إنني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن (١).

مكانتها في قلب الرسول صلى الله عليه وآله

لم تتحمل أم المؤمنين عائشة وهي ترى رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر خديجة، فقالت: ما زلت تذكر بحسرة وألم عجوزاً من عجائز قريش حمراء الشدين، هلكت من عدة سنين، وقد أبدلك الله خيراً منها!

فما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن تغير وجهه الكريم، إلّا وزجها غاضباً، وقال: «والله ما أبدلني الله خيراً منها» ولم يكتف صلى الله عليه وآله بهذا بل راح يذكر مناقبها- التي ما فتئ يعيشها صلى الله عليه وآله في حياته المباركة-: «آمنت بي حين كفر الناس، وصدقني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء... فقالت عائشة في نفسها: والله لا أذكرها بعدها أبداً (٢).

وقبل ذلك لم تتوقف غير أم المؤمنين عائشة من أم المؤمنين خديجة، التي احتلت تلك المكانة العظيمة من قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وظهر ذلك كله في مواقف عملية للرسول الكريم، حتى بعد وفاتها سلام الله عليها. رأته عائشة يوماً وقد ذبح شاة يقول: أرسلوا إلى أصدقاء خديجة

١-١ تاريخ قريش ص ٣١٦ للدكتور حسين مؤنس.

٢-٢ الاستيعاب ٤/ ١٨٢٤.

ص: ١٣٨

منها، وهنا أيضاً، لم تتوقف عائشة عن أن تسمعه شيئاً، فقال: «إني لأحب حبيبها» (١).

وظلت الغيرة لا تنفك عن قلبها من سيدتنا خديجة، لا لشيء - فالأمر كله بعد موتها - إلا لأنها سبقتها إلى نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى قلبه فاحتلته بما امتلكته من خلق عالٍ وشرف رفيع وإيمان صادق وجهاد خالص وذكر طيب، وبما قدمته من حياتها التي استرخصتها وثروتها وأموالها، كل ذلك وضعته بين يديه المباركتين؛ لنيل مرضاة الله ولتعيينه صلى الله عليه وآله وهو يحمل أعظم رسالة وأخطر مسؤولية تبليغية تغييرية عرضتها السماء وعرفتها الإنسانية.

وحيثما نصره الله تعالى وفتحت أبواب مكة له - وكان وقتها قد مرّ على وفاتها أكثر من عشر سنوات، وكانت كل تلك السنين مليئة بالأحداث والشؤون المريرة، ولكنها مع كل ذلك لم تشغله عن ذكره لخديجة - أقام في قبة ضربت له هناك إلى جوار قبرها - حيث روحها التي تخفق حوله فتريحه وتؤنسه وترافقه وهو يشرف على فتح مكة، ويطوف بالكعبة، ويحطم رموز الكفر والشرك، وهو بين لحظة وأخرى يرمق دارها حيث نبع الحب وحيث السكينة والموودة والحنان والتضحية.

وفيما قالته أم المؤمنين عائشة، كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذكر خديجة لم يكذب يسأم من ثناء عليها واستغفار. فذكرها ذات يوم فاحتملتنى الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن، قالت:

فأريت رسول الله صلى الله عليه وآله غضب غضباً أسقطت في جلدى، وقلت في نفسى:

اللهم إنك إن أذهبت غضب رسول الله عني، لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت. فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله ما لقيت، قال: كيف قلت؟ والله، لقد آمنت بي إذا كفر بي الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، ورزقت منى الولد إذ حرمتموه منى.

قالت: فعدا وراح على بها شهراً.

أما ما ورد فيها عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

- فعن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهما: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب، لا صخب فيه

ص: ١٣٩

ولا نصب.

قال ابن هشام: القصب ههنا:

اللؤلؤ المجوّف (١).

- وعن عائشة، قالت: ما غرتُ من أحد ما غرتُ على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاث سنين، ولقد أمر أن يبشرها بيت من قصب في الجنة (٢).

- وقال ابن هشام: وحدثني من أثق به، أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أقرئ خديجة السلام من ربها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا خديجة، هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك، فقالت خديجة: الله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام.

عام الحزن:

شاءت السماء أن تمتحن هذا القلب الكبير، وقد امتحنته مرات ومرات، ولكن هذه المرة في زوجته التي أبت إلما أن تعيش كبيرة وتموت كبيرة، والتي كانت له وزير صدق على الإسلام (٣)، وكانت شريكته في حياته كلها، في دعوته، وفي تبليغها لها، وفي جهاده وتضحياته.

لقد رحلت عنه في السنة العاشرة من البعثة النبوية، ودفنت في مقبرة الحجون بمكة بعد أن رحل قبلها - بشهور على قول وبأيام على قول آخر - عمه أبو طالب الذي كان له عضداً وحرزاً في أمره، ومنعه وناصراً على قومه (٤).

لقد رحلت هذه المرأة العظيمة، لتنتهي برحيلها ورحيل أبي طالب العم المدافع والمحامي القوي أولى مراحل رسالة السماء، التي شكلت الفترة المكية الأولى بكل آلامها وأحداثها، كما كانت الفترة التأسيسية لهذه الرسالة المباركة، وكان لوجوديهما المباركين الأثر العظيم في تشكيل تلك المرحلة التي دامت قرابة عشر سنوات وفي بقائها واستمرارها وثباتها.

لقد رحلت هذه السيدة المباركة، بعد أن وصل نداء الإسلام الحبشة، وتجاوز صدهاء بقاع الحجاز، وبعد أن حملته قلوب صادقة ونفوس مضيئة، وأيادٍ قوية...

رحلت هذه السيدة الجليلة، وغابت عن دنياه، ولكنها لم ترحل عن قلبه

١-١ الروض الأنف، وانظر سيرة بن هشام ١ / ٢٤١.

٢-٢ الروض الأنف، وانظر سيرة بن هشام ١ / ٢٤١.

٣-٣ السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤١٦.

٤-٤ السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤١٦.

ص: ١٤٠

الناض بمواقفها الصادقة.

رحلت هذه المرأة المباركة ولكنها ظلت ماثلة دائماً أمامه، ولم ينس ذكرها أو يتأس عنها، أو يدخل قلبه غيرها، أو يحتل مكانها منه، بل ولم تستطع أي واحدة من نساءه - مهما بذلت من جهد - أن تبعد طيفها عنه صلى الله عليه وآله، وهو الذي ما فتى يذكرها، وكان ذكره لها يثير غيره بعض نساءه، وكانت أشدهن غيره أم المؤمنين عائشة، فبذلت ما تستطيعه من أجل أن تنسيه ذلك الطيف الجميل وتلك الذكرى العطرة، أو أن تخدم أو على الأقل تخفف ذلك من قلبه فما استطاعت، مع أنها كانت في مطلع صباها ونضارة شبابها..

فسلام على خديجة في الخالدين

الهوامش:

رحلة رجل من البلاط الفاجري

ص: ١٤٢

رحلة رجل من البلاط القاجارى

تقديم: على قاضى عسكر

لما للرحلات من فوائد ثقافية وتاريخية.. طالما كانت مصدراً يرجع إليه فى كثير من البحوث والكتابات .. تفتح مجلّتنا باباً جديداً خاصاً برحلات الحج.

إدارة التحرير

المقدمة:

إنّ كتابة الرحلات، سُنّة موجودة منذ القدم، وإن كانت بشكل محدود، بين الأقباط والملل فى الدنيا، ولكنها تطوّرت بشكل ملحوظ فى القرنين الأخيرين، فقد انطلق كُتّاب الرحلات، كلُّ حسب اختصاصه وتوجّهاته الفكرية الى شرح ووصف الأماكن والآثار والأبنية التاريخية، والمواقع الجغرافية، وعادات وتقاليد القرى والمدن، والحوادث والوقائع المهمّة والمثيرة فى الطريق... الخ. ومن بين الرحلات، تتميز رحلات الحج بأهميّة وجاذبيّة أكبر، فهي تنقل لنا

ص: ١٤٣

نقاطاً مهمة وحساسة عن كيفية أداء الحجيج لمناسك الحج في القرون الماضية، وأسلوب تعاملهم مع بعضهم، ومصاعب الطريق ومشاكله المختلفة، وعدم توفر الأماكن المادية والترفيهية، وعن المعاملة السيئة التي يمارسها سكان مكة والمدينة ضد الحجاج غير العرب.

من بين رحلات الحج اللطيفة والمشوقة، والمؤلمة أحياناً، هذه التي بين يديك، فمع أن كاتبها مجهول، لكنّه، عموماً، يمكن القول: إنه كان أحد أفراد بلاط ناصر الدين شاه قاجار وموضع اهتمامه، حيث إنه شرع في رحلته هذه بعد الاستئذان منه، وقد كتبها خصيصاً؛ ليقراها (الشاه) نفسه.

يتضح لنا من مواضيع هذه الرحلة، أن الكاتب كان يحمل أفكاراً جديدة، وتتصف بالتطور، ففيما يخص حياكة السجاد يكتب قائلاً: «للأسف، إن معظم الألوان المعدنية إفرنجية وغير ثابتة، فياليت قادة البلد يمنعون منعاً باتاً استعمال ألوان الصبغ الإفرنجي في الصناعات الإيرانية».

وحول بناء السدود يكتب قائلاً:

«إن الأراضي الإيرانية، التي تمرّ عبرها هذه الأنهار، كلّها صحراوية وقاحلة وعديمة الفائدة، في حين إنه يمكن وبمبالغ بسيطة، بناء سدّ؛ لتوجيه المياه الوفيرة نحو الأراضي الخصبة والصالحة، وإحياء الزراعة».

إن الكاتب، من البداية وحتى النهاية، ينظر نظرة نقدية ثاقبة للمسائل المتعلقة به، ويطلع القارئ على كثير من الوقائع والأحداث والمشاكل الخاصة بذلك العصر.

ومن المسائل التي تهزّ الضمير في هذه الرحلة، بيان جوانب من اضطهاد أهالي المدينة للشيعة، ففي هذا المجال يقول الكاتب: والعجيب، أن شيعة أهل المدينة يسكنون خارج المدينة القديمة، ويوتهم رديئة جداً وخرّبة، ويعيشون عيشة صعبة للغاية، ولا يسمح لهم أهل المدينة بالدخول إلى الحرم الشريف ومسجد النبي صلى الله عليه وآله، ويحدث بين الحين والآخر أن يسطوا على منازلهم وينهبونها ويضربوهم ويقتلوهم...!

ص: ١٤٤

بدأت هذه الرحلة فى الثانى والعشرين من شهر شعبان سنة ١٢٩٦ هـ. ق وانتهت فى جمادى الآخرة سنة ١٢٩٧ هـ. ق.
العزم على الزيارة:

بعد أن طلبت الإذن بالسفر من تراب قدم صاحب الجلالة المباركة، غادرت فى الثانى والعشرين من شهر شعبان سنة ١٢٩٦ عازماً على زيارة بيت الله الحرام، وقد رجعت الى طهران فى الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٩٧، وما رأيت عيناي فى هذه الرحلة، كتبتة يدى فى السطور التالية:
من طهران الى خانقين:

فى الطريق من طهران وحتى حدود خانقين، شاهدتُ بعض المضائق والجسور الجيدة، حيث إن الناس العظام الخيرين قد بنوها، وذلك لتوفير الراحة والرفاهية للزائرين والمسافرين. وقد تهدمت معظمها مع مرور الزمان، وبعضها على وشك الخراب. ويمكن فى الوقت الحاضر، وبمبالغ بسيطة ترميمها كلها، ويُخلد القائمون على ذلك مدى الأجيال. ومتى ما أهملنا هذا الأمر، سيدب الخراب تدريجياً فى جميع تلك الأبنية، وستذهب تلك المبالغ سُدى، وسيحمل المازون بها والمسافرون مشقات إضافية، فعلى سبيل المثال، يوجد فى ساروق- وهى قرية معروفة للميرزا على قائم مقام، وقد انتشر فيها فن حياكة السجاد، وأهلها أناس شرسون- مضيق مهم، وهو من الأبنية التى خلفها الصي فويون. وقد عاث أهل القرية فيها خراباً، وهم متعمدون، حتى لا تصلح للسكن، وبالتالي يأتون بالمارين بها الى خاناتهم (فنادقهم الصغيرة) حتى يعتدوا عليهم بمختلف الأشكال.

فن حياكة السجاد:

إن فن حياكة السجاد فى هذه الدولة دائمة الملك، ولله الحمد، قد انتشر

ص: ١٤٥

وتطوّر. فلم نر في طريق عراق (اراك) وهمدان وكرمانشاه منطقة، إلو كان نساؤها وفتيانها منهمكين بهذا الفن، فعلى سبيل المثال، رأيت في كرمانشاه سجّادتين (زين پوش) جميلتين، وهما من صنع إحدى النساء، وقد نقشت أنواع الزهور عليها، وجميعها ذات ظلال، وقد كان إبداع المرأة المذكورة لدرجة يُظنّ معها أنّها قد رُسّمت بريشة رسّام إفرنجي. ولكن للأسف فإن أغلب ألوان الصبغ إفرنجي وغير ثابت، وأن الألوان النباتية الثابتة قد نُسخت نهائياً، ولهذا السبب، فإن تجارة السجّاد قد تدهورت منذ سنين عديدة، فبالت قاده البلد، يمنعون منعاً باتاً استعمال ألوان الصبغ الإفرنجي في الصناعات الإيرانية.

قُطّاع الطرق في نوبران:

كان في نوبران مركز لصيانة الطريق، وكان مكانه قرب الجسر، يسكنه عدد من العمّال، وكانوا أناساً أشراراً أو ذوى سلوك عدواني، متى ما مرّ اثنان أو ثلاثة أشخاص من هناك، فتشوا جيوبهم وآباطهم، وإذا عثروا على أموال أو أشياء ثمينة سلبوها منهم، وقد رأيت عدداً من زوّار منطقة هرات المترجّلين قد حدثت معهم مثل هذه الأعمال، وقد تعرّضوا جميعاً للاعتداء. وأخذ ما معهم بالإكراه.

ومن حدود ايران الى حدود بغداد في أرض العراق يمكن مشاهدة قرى ومناطق كثيرة، مثل: خانقين، ومدينة وان، وبعقوبه، وقرل رباط، ومندلى وغيرها، وجميع هذه المدن ترتوى من الأنهار النابعة من إيران، وكلها خضراء يانعة، في حين إن الأراضي الإيرانية، التي تمرّ عبرها هذه الأنهار، صحراوية وقاحلة وعديمة النفع، حيث إنّه يمكن وبمبالغ بسيطة بناء السدود، وتوجيه مياه غزيرة نحو الأراضي الخصبة والصالحه، وإحياء الزراعة، التي تحمل في طياتها منافع كثيرة للدولة والرعيه، حيث يلي ذلك توفير الأمن على جميع الطرق، حتى يتمّ الخلاص من الوضع الحالي، الذي يغير فيه لصوص الحدود كلّ يوم على قافلة من القوافل في منطقة ما فيسلبونهم كلّ ما يملكون.

ص: ١٤٦

فى قصر شيرين:

بأمر من قائد البلاد دائم الملك، تقزّر استنفار عدد من الفرسان فى مدينة قصر شيرين بصورة دائمية، وقد تفحصتهم بدقه، فوجدتهم لا يتجاوزون الثلاثين، أو الأربعين، بخيولهم التعيسه وأسلحتهم المغشوشه، يريدون النجاه أمام لصوص الحدود، المسلحين ببنادق جيدة، وعندهم الخيول القوية المقاتله، فكيف يريد أولئك الفرسان أن يؤمنوا الطريق حتى تعبر قوافل الزائرين بسلام؟! إن فى المنطقه الواقعة بين قصر شيرين والحدود، توجد آثار عدّه قلاع وبرج وقرية، بالقرب من الطريق الذى نسلكه، جميعها خرائب وخاليه من السكان، وهى تقع فى سهول خضراء ويانعه، وتحتوى على المياه الوفيره، ويظهر أنه بسبب بعض الاعتداءات، قد توارى سكان تلك المناطق عنها، ومنذ ذلك الحين، أصبح السير فى هذه القلعه غير آمن ومحفوظاً بالمخاطر.

العتبات المقدسه:

عند توقفنا فى العتبات المقدسه، لفتت انتباهى نقاط، أهمها:

أولاً: لا تتم المحافظه على الثريات والشمعدانات المهداه من قبل صاحب الجلاله شهريارى، وأن الأموال التى تُقبض باسم إنارتها، لا تُصرف فى ذلك، وخاصة فى الكاظميه. أما فى سرّ من رأى، فإن هناك ثريات مضاهه كل ليله، وعملها مُنظّم، إلّا أن معظم اغلفتها قد حُطّمت واستبدلت باخرى رديئه.

ثانياً: فى كل عام، تُنقل جناز كثيره للموتى من جميع أنحاء إيران إلى مدينة النجف الأشرف؛ لدفنها فى مقبره «وادى السلام». ومنذ لحظه دخول هذه الجناز البلاد العثمانيه، وحتى لحظه الدفن، تجبى ضرائب مختلفه فى أماكن متعدده وبذرائع شتى، مثل: ضريبه (جواز السفر)، وضريبه التابوت، وضريبه الطريق، وضريبه الحراسه، وحق الأرض وغير ذلك. وبعد دفن الجثمان، يقوم عمال المقبره أنفسهم، من فرط دناءتهم، بعد أيام قليله، بنش القبر وسرقه أحجاره، التى هى غير ذات

ص: ١٤٧

قيمه، وكذلك يأخذون علامة القبر من حجر وطابوق، ليبعوها فى مكان آخر. ونتيجة لذلك لا تستتر جثة الميت إلا بحصى قليلة، وتكون على عمق يسير من سطح الأرض، حيث يصبح معظمها بعد ذلك طعماً لدواب الصحراء، ولا يبقى لقبور المسلمين هناك أى أثر. السفر نحو البصرة:

بعد التشرف بزيارة العتبات المقدسة، سعدنا فى ١٤ شوال على ظهر مركب صغير على دجلة يسمى (لندن)، وانطلقنا من بغداد نحو البصرة، وبعد عدة أيام انتقلنا الى ظهر مركب آخر يسمى (بلاس لنج)، حيث وصلنا البصرة فى ٢٢ شوال، وفى الطريق إلى البصرة، كنا قد مررنا على آثار المدائن، وقبر سلمان الفارسى، وقصبه العمارة، التى تقع جميعها على الجانب الأيسر من دجلة، والعمارة قصبه واقعه على ضفاف دجلة، جميله جداً، وهى تابعه للحكم العثمانى، ولا يقل عدد سكانها عن مائه أسرة، كما يقطنها الكثير من الرعايا الإيرانيين، ويتواجد فيها موظف عن دائرة رعايه المصالح فى بغداد أو ما يعرف بلغه اليوم القنصليه. المدائن:

كانت فى الماضى مدينه واقعه على ضفاف دجلة، بناها ملوك العجم، وكانت تعدّ العاصمه الشتويه لهم، وبعد تهدمها، بُنيت بغداد من مواد البناء المتبقية من خرائبها، وفى الوقت الحاضر لم يبقَ منها سوى طاق كسرى، والقرب منه، قبر سلمان الفارسى رضى الله عنه حيث يُشاهد من على دجلة، مع أعدادٍ من النخيل. قبر النبى عزير عليه السلام:

وعلى الضفة اليمنى لنهر دجلة، يوجد قبر النبى عزير عليه السلام، حيث يحتوى على صحنٍ كبيرٍ واسع، وحوله أبنية ذات طابقين يقطنها اليهود، والقبر بمثابة مكان مقدس للعبادة.

ص: ١٤٨

البصرة:

وهى مدينة مُلحقة بالحكم العثمانى وتابعة لبغداد، تقع على ضفاف شط العرب، على مسافة ثلاثة أرباع الفرسخ، وبُعد الشمال الشرقى والشمال الغربى عن الخليج الفارسى هو أربعة عشر فرسخاً، والمسافة من الجنوب الشرقى للمدينة إلى بغداد هى ٤٦ فرسخاً، والطول الغربى للمدينة عن طهران هو ثلاث درجات، والعرض الشمالى لها ثلاثون درجة. وقد سُجِّل عدد نفوسها بحوالى ٥٠ الى ٦٠ ألف شخص، ولكن حسب اعتقادى فإنه أقل بكثير من هذا العدد، وتضم أسواقاً كثيرة، وأزقة ضيقة وقذرة وغير منتظمة، وتوجد فيها مستشفى أيضاً، وبسبب المد والجزر لشط العرب فإن هواءها غير صحى.

إن مدينة البصرة، هى إحدى المراكز التجارية الكبيرة فى آسيا، وللعديد من الدول الأوروبية مصالح تجارية فيها، وفى الماضى، كان لها شأن كبير.

وقد أسسها الخليفة الثانى فى عام ١٥ هجرية، وقد خضعت فى العام ١٠٤٨ هجرية لسيطرة ايران، ثم انتزعتها العثمانيون بعد ذلك، وعادت الى السيطرة الإيرانية من جديد فى العام ١١٨٧ ولمدة ستة أعوام، وهى حالياً تحت السيطرة العثمانية.

معظم أهلها من أهل السنة، وتجاورها بمحاذاة الشط، قصبه جميلة تُعرف ب (على مقام) حيث تحوى على مسجد قد صلى فيه أمير المؤمنين على عليه السلام، وهو محل زيارة العامة. وتقطن هذه القصبه غالبية شيعية، ويُقيم الحجاج فيها فى الذهاب والإياب.

على مقربة من (على مقام) وعلى ضفاف الشط، يوجد بستان كبير صاحبه تاجر مشهور من العجم يسمى الآقا عبد النبى، وقد حلّ الداعى ضيفاً على صاحب هذا البستان، ومع حداثة سنّه، فإن التاجر المذكور ذو حظوة وشهرة كبيرتين، وهو يقوم بتلبية احتياجات الحجاج من العجم. وقد تجاوز رؤساء

ص: ١٤٩

التجار كثيراً من القيم للحفاظ على أنفسهم وذلك بالانتماء الى الدولة العثمانية.

بعد ثلاثة أيام من الإقامة فى البصرة، سعدنا على ظهر سفينة أكبر تدعى (هانرى پولكو) وفى الثامن والعشرين من شهر شوال رست السفينة على شاطئ ميناء بوشهر، وقد مرّت فى طريقها على المحمّرة، وهذه القلعة تقع على الضفة اليسرى من الشطّ، على بعد عدة فراسخ قبال البصرة، ويمرّ نهر الكارون بمحاذاتها، ويبدو جلياً من بعيد منظر البرج وسور القلعة. وخصوصية المنطقة هى أكثر من البصرة، وتضمّ أراضى صالحة للزراعة، ولكن اقتضت سياسة شيخ العرب دائماً على أن يُبقى تلك المنطقة فى خرابٍ ودمارٍ، وأن يحول دون إسكان أحد فى القلعة، وإلا فليس مستساغاً أن يكون وضع المحمّرة على هذا الحال بالمقارنة مع البصرة، فشيخ العرب هذا قد جمع لنفسه عقارات وضيعات خارج أرض المحمّرة، أى فى الأراض العثمانية، وصبّ جلّ اهتمامه عليها، ولولا وقوفه أمام طموح الرعية وسوء الظن بهم ورغبته فى خرابها، لانتعشت قلعة المحمّرة بسكانها وتجارها، وازدهرت بساتين النخيل فيها، ولدرّت على الدولة والرعية أموالاً طائلة بينما لا تجد فيها الآن غير الخروف المشوى.

بوشهر:

وهى إحدى الموانئ فى بلاد فارس، تقع على ضفاف الخليج الفارسى، ويمرّ عبرها دائرة نصف النهار لطهران، وبحين وقت الظهر فى المدينتين فى آن واحد وهى على خط العرض ٢٩ درجة الشمالى.

وعدد السكان فيها يناهز العشرة آلاف نسمة، ومعظم أزقتها ضيقة وأبنيتها ذات طابقين. وهى تعدّ مركزاً تجارياً مرموقاً، وغالبية سكانها من التجار، وتضمّ ثلاث سفارات مهمّة، الأولى السفارة البريطانية، التى تمارس نشاطاتها باقتدار شديد، ويقع مبنى السفارة على شاطئ البحر، و تحرسها مجموعتان من الجنود الهنود بإمرة أحد الضباط، الذين يؤدون التمارين العسكرية عصر كل يوم فى باحة السفارة.

ص: ١٥٠

السفر نحو جدّة:

فى الثانى من شهر ذى القعدة تحرّكنا من بوشهر نحو جدّة، وقد كان مرورنا على بندر عباس وجزيرة قشم، ومضيق هرمز، ومسقط، وعدن، وعبرنا مضيق باب المندب الى (مخا) ومن ثمّ وصلنا الى جدّة فى الثامن عشر من ذى القعدة.
بندر عباس:

مدينة فى بلاد فارس على مسافة ستة فراسخ، إلى الشمال من مضيق هرمز، فى الحدود الجنوبية لفارس، مساحتها ٢٠ فرسخاً* ٤ فراسخ، وهى مختصة بأحد شيوخ العرب، الذى يمتُّ بصله قرابة لإمام مسقط. كانت تحتوى على ثلاثمائة قرية، ويبلغ تعداد سكانها حالياً ستة عشر ألف نسمة، بما فيهم أربعة آلاف يسكنون بلدة قشم، فى الجزء الشرقى من الجزيرة.
هرمز:

مدينة وميناء فى قارة آسيا، تقع على الساحل الشمالى الشرقى لجزيرة هرمز، ولا تبعد كثيراً عن سواحل بلاد فارس، وهى تقع على بوابة الخليج الفارسى، وتتصل ببحر عمان عن طريق مضيق هرمز، ويبلغ عدد سكانها نحو ثلاثمائة شخص، وفى الماضى، كانت جزيرة هرمز مركزاً لاستخراج اللؤلؤ بكميات كبيرة، حيث كانت تجمع من أطرافها. والجزيرة، وإن كانت قاحلة فعملية استخراج اللؤلؤ، وموقعها الجغرافى المتميز، الذى يعدُّ مفتاح الخليج الفارسى جعلها ذات أهميّة خاصّة، ولهذا، فإنّ سلطاناً صغيراً كان يسيطر على هذه المنطقة، وكان يضطلع بمسؤولية الحفاظ على أبراج الجزيرة، وكانت مقتدرة، وظلت لمدّة طويلة بمثابة مقر للبرتغاليين فى الشرق، ولكن الشاه عباس ضمّها تحت لوائه فى عام ١٠٣٣، وهى الآن تحت السيادة الإيرانية، ولكن صيد المحار قد أفل نجمه.
مسقط:

مدينة تقع فى الجزيرة العربية، وهى عاصمته إمامة مسقط، تبعد عن مكّة

ص: ١٥١

مسافة ثلاثمائة فرسخ، وهى على خط الطول الجغرافى (١١) درجة الى الغرب من طهران، وعلى خط العرض ٢٣ / ٥ درجة شمالاً، وتقع على مقربة من مضيق في الخليج الفارسى، ويبلغ عدد سكانها خمسين ألف نسمة، وتعد موانئها من أفضل وأهم الموانئ. وأما مناخها فحارٌ مُحرق وغير صحى. وهى مكان لمرور جميع أنواع البضائع والسِّلَع، التى ترد من الهند إلى الخليج الفارسى، كما أنها مركز مهم للتجارة واللؤلؤ فى هرمز.

عدن:

وهى من مدن اليمن، تقع بالقرب من الخليج الفارسى، على مسافة (٣٦) فرسخاً جنوب شرقى (مخا). كان عدد سكانها فى السابق يبلغ ألف نسمة، إلا أنها- وبعد أن أصبحت تابعة للتاج البريطانى- تقدّمت كثيراً من حيث العمارة والسكان وازدهرت، وتحتل اليوم مكانة مرموقة فى الشؤون الحكومية، كما أنها ميناء تجارى عامرٌ للغاية.

باب المنذب:

وتعنى هذه الكلمة باب النواح والنُدْبَة، قد مررنا من هناك ليلة الجمعة (٢٤) من ذى القعدة، عند السّيحْر. وباب المنذب مضيق محفوف بالمخاطر الجيِّة، وهو نقطة الاتصال بين البحر الأحمر وبحر عُمان، ويبلغ طوله حوالى ثمانية فراسخ، وأما طوله الجغرافى عن طهران فيبلغ (٨) درجات غرباً، والعرض (٥ / ٢١) درجة شمالاً. ويقع جبلان على عرض هذا المضيق، ويُقسّمان المعبر على ثلاثة طُرق، فالطريق الواقع الى اليسار قليل العرض، والطريق الأوسط قليل المخاطر. وقد وضعت الحكومة الإنجليزية هناك على الجبل حُرّاساً ومشعلًا دواراً لهداية الملاحين، الذين يضلّون الطريق ليلاً لإيوائهم هناك.

مخا:

مدينة فى اليمن من جملة إمامة صنعاء، وتقع عند خليج الجزيرة العربية، الذى

ص: ١٥٢

يسمونه كذلك بالبحر الأحمر، وتقع على مسافة (٤٦) فرسخاً الى الجنوب الغربى من صنعاء. وهى على خط طول (٩) درجات غرب طهران، وخط عرض (١٣) درجة شمالاً، ويبلغ عدد سكانها خمسة آلاف نسمة، وهى مرسى عامر. وتبدو جميلة جداً عن بُعد، إلا أن داخلها يختلف عن ذلك، فمنظرها كرىه، وهواؤها حار جداً، فدرجات حرارتها مرتفعة للغاية. تحيط بها أراضٍ مكشوة بالحصى، وتشتهر بزراعة البُن عند السفوح فى أطرافها، واطرافها إلى محاصيلها من القهوة، التى تصدّر إلى الخارج، فهى مشهورة بالصمغ والمصطكى والكندر والجلود المعدة للتجارة.

جدّة:

مدينة وميناء معمور فى الحجاز، تقع بالقرب من البحر الأحمر على بُعد اثنى عشر فرسخاً الى الغرب من مكة المكرمة. يبلغ عدد سكانها حوالى عشرة آلاف نسمة. وترسو السفن على مسافة نصف فرسخ منها. وهى مركز لتواجد قنصليات لدول عدّة، من جملتها دولة إيران، التى تمتلك قنصليّة هامة فيها. وهى مبنية من الآجر المسمى بالبلوك المنحوت، وذات ثلاثة أو أربعة طوابق. وأزقة جدّة عريضة نسبياً ومستقيمة.

وجدّة تمتلك أسواقاً فاخرة وواسعة وعريضة تزخر ببضائع إنجليزية وهندية. أما مناخها فحار جداً، ودائماً نراه مشبعاً بالندى، كما هو الحال فى بوشهر ومكة والمدينة وجميع الموانئ البحرية، ولا يمكن مع هذا الجو النوم فى العراء، ويوجد خارج البوابة الشمالية، بمسافة قليلة، قبر طويل وعريض يُنسب الى أم البشر، ويحرسه سدنة لصوص ومحتالون وأوباش.

وباختصار، فقد تنقلنا بين ثلاث سفن طوال الرحلة، وكانت السفينتان الأوليان بريطانيتين. وكان طاقما السفينتين يتصفان بأدب رفيع، ومتفهمين، وعارفين بالقواعد الصحية، ولم يسمحا بازدحام السفينتين، لذلك لم يشقّ على

ص: ١٥٣

الحجاج الى حدّ ما. وأما السفينة الثالثة، التي كان يملكها ابن المرحوم الحاج زين العابدين أحد تجّار شيراز، الذي يسكن في بومباي، فكان عليها طاقم أجنبي فقط قبيح وطّماع. وقد صعد أفراد الطاقم الى ظهر السفينة في مدينة بوشهر، وعلى افتراض أنهم مسلمون، ولكنهم لم يتوانوا عن ارتكاب أي منكر، فعاثوا في السفينة فساداً، وارتكبوا سرقات متعدّدة، ومع أن هذه السفينة قد استُخدمت حديثاً في نقل الحجاج، وأن صاحبها المسكين كان له اهتمام كبير بخلق سمعة طيبة لها، لترغب الحجاج للسفر على ظهرها وجنى الأرباح من وراء ذلك، ولكن، على العكس ممّا كان يتمنّى صاحبها، فأفراد الطاقم غير حريصين، فقد عمدوا الى حشر الكثير من الحجاج في مساحة قليلة على ظهر وداخل السفينة، فماذا أقول عمّا عاناه الحجاج من مصاعب ومحن؟ فقد مرّض الكثير بسبب رداءه هواء مخازن السفينة، ولمّا كان الحصول على الدواء والغذاء المناسب غير متيسّر، مات بعضهم، ودفنوا في البحر وبطن الأسماك.

وباختصار، فقد مرّت ظروف عسيبة على ركاب السفينة، حتى وصلنا جدّه، ومنها إلى مكّة والمدينة عن طريق (السعدية).
السعدية:

وهي المكان الذي يحرم منه الحاج، ويقع في مقابل جبل يللم، الذي أحرم أمير المؤمنين على عليه السلام منه، عند رجوعه من اليمن. والمكان عبارة عن وادٍ يتوسّطه بئر، بعرض ثلاثة إلى أربعة أذرع وبعمق أربعة إلى خمسة أذرع، وقد بُني من الحجر المصقول، وهو على بعد منازل ثلاثة من جدّه ومنزليين من مكّة المكرّمة، وفي كل منزل يوجد بئر مماثل، تشرب منه العشائر وأغنامها، والشيء الذي توصلت إليه بشكل دقيق هو ما يلي:

يمكن شقّ الأنهار والقنوات في المنازل الخمسة المذكورة، بل في معظم المنازل الموجودة بين الحرمين، فإنّ غالبية الأراضي هناك تضمّ في جوفها الماء الوفير،

ص: ١٥٤

وهى وعرة التضاريس، ويمكن بحفر بضع آبار، أن تجرى سلسلة من القنوات فيها، ويمكن إحياء كل تلك الأراضى، ولكن لا أعرف ما السبب فى أن أحداً لم يطرق هذا الباب طوال القرون الماضية، وإحياء تلك الأراضى بأقل كلفة؟ فى تلك الصحارى لا ينبت غير الزعرور، وهو شجر الصمغ العربى، فى حين يمكن أن نجعل منها جنات وحدائق زاهية.

الوصول إلى مكة المكرمة:

فى السادس والعشرين من شهر ذى القعدة، وصلنا إلى مكة المكرمة من الطرف الجنوبي، وهى إحدى مدن الحجاز، ومنبع العظمة والقداسة، تقع على بُعد سبعة فراسخ إلى الشرق من البحر الأحمر، وتقع على خط الطول ١١ غرباً، وعلى خط العرض ٢١ / ٥ شمالاً. كان عدد سكانها فى السابق بحدود مئة ألف نسمة، وقبل ثمانين سنة كان العدد حوالى ثمانية عشر ألف نسمة، فارتفع العدد حتى وصل فى الوقت الحاضر الى خمسين ألفاً، ويقدر عدد الحجاج بمثل هذا الرقم، وفى هذا العام، قدرت التخمينات عدد الحجاج بما يزيد على المئة ألف حاج.

وأزقتها منظّمة، وجميلة، وأبنيتها نظيفة، وقد بُنيت المدينة فى عدّة أودية، وعلى حافات الجبال والشّعب، فهى لهذا السبب غير مستوية. وجبل «أبو قبيس» يُقسم المدينة قسمين مختلفين، يقع القسم الأعظم منها على الطرف الأيمن، حيث تضمّ مركز المدينة، أما الطرف الأيسر فيضمّ القسم القديم منها. ومعظم مساكنها من الحصير والطين، وهى بسيطة جداً وبلا أساس. أما أبنيتها الأخرى فهى من الحجر المنحوت وذات طوابق ثلاثة أو أربعة، وليس للبيوت صحن أو باحة، وجميعها تحتوى على باب ونافذة على الطريق، وتستقى المدينة ماءها من قناة زبيدة، وهى أقل من مستوى الأرض بذراعين أو ثلاثة أذرع، لذلك يستقون بواسطة الدلاء.

ص: ١٥٥

الكعبة وبيت الله الحرام:

يقع القسم الأكبر من المدينة حول المسجد، ويتوسطه بيت الله، حيث يبلغ طوله ١٥ ذراعاً وعرضه ١٠ أذرع، وهو مربع الشكل، وارتفاعه أكثر من الطول والعرض، وقد بنى من الحجر المنحوت، وأحجاره بحجم نصف ذراع وثلاثة أرباع الذراع* ربع ذراع وقد غطى بحلّة سوداء من الحرير.

وموقع البيت بالنسبة للجهات الأربع منظم، فأحد أضلاعه يوازى الجهة الشمالية، والثانى يوازى الجهة الجنوبية، والثالث يوازى الجهة الشرقية، والرابع يوازى الجهة الغربية، ويقال لزوايا الكعبة: الأركان.

الحجر الأسود:

يقع الحجر الأسود فى الركن الجنوبى الشرقى، وعلى ارتفاع ذراع وربع الذراع تقريباً، وضع على الزاوية الخارجيه لجدار الكعبة، ولا يتألف من قطعة واحدة، بل من حوالى عشرين قطعة، مُحاط بطوق فضى، وقد نُصب هذا الطوق على زاوية. وسطح الحجر غير مسطح، فهو مقعر إلى حد ما وليس له قاعدة، ولونه أسود ولكن سواده غير مكروه، فهو قهوائى جذاب جداً، وتتخلله أخاديد بيض وحمرة تسيّر الناظر، والحجر متماسك، ومحكم جداً وصلد.

لقد أطلعت فى الكتب الإفرنجية على ما يعتقدونه حكماؤهم بأن هذا الحجر هو أحد الأحجار الساقطة من الجوى، ويحتوى على الحديد والنيكل وبقية المواد المعدنية، ولكنه اعتقاد باطل، فهذا الحجر برىء مما ينسبونه إليه، فقد ذهب مراراً فى أوقات فراغى إلى هذا الحجر وشاهدته بدقه، فلم أجد له أى شبه، فهو لا من الأحجار الأرضية، ولا من الأحجار المتساقطة من السماء.

حجر إسماعيل:

وهو على شكل نصف دائرة يقع على أحد أطراف البيت مواجهاً للطرف الجنوبى، ويتصل بضلع ميزاب الرّحمة. ويجب على الحجاج أن يطوفوا حول

ص: ١٥٦

الاثنين، وأرض الطواف هي بعرض خمس الى ست أذرع، تحيط بالبيت والحجر معاً. وخارج أرض الطواف يوجد مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام وقبة بئر زمزم وبقية خواص الحرم، وأرض الحرم مرتفعة عن أطرافه بمقدار ذراعين. وقد زين داخل البيت ببعض الزينة، وباعتقادي أن الزينة الروحانية الباطنية لبيت الله كافية. «فالمحجوب الجميل لا يحتاج إلى الزينة»، فلو جرد البيت من الزينة، لكانت هيئته وعظمته في القلوب أعظم وأكبر بكثير. «فإن العروس الجميلة أسعد حالاً بلا أثاث». دكان النخاسة:

استمرت إقامتي في مكة شهراً واحداً، وكنت في بعض الأحيان أذهب للنزهة، وذات يوم ذهبت إلى دكان النخاسة، وهي في الواقع ثلاث دكاكين معتبرة في مكة تقوم ببيع الرقيق، وقد شاهدت حالة غريبة: أنواع الإماء والعبيد والنخسيان قد جلبوا من الحبشة، وزنجبار، والنوبة، والسودان، وغيرها. وقد صيقت السرائر بالترتيب، ووضعوا الرقيق عليها في صفوف منظمة، وحضر السماسرة وأحد الملالي من جماعة أهل السنة، وذلك لعقد صيغته البيع. وحضر الزبائن وهم من بلدان مختلفة، وكان السماسرة يتحدثون إلى الزبون بمنتهى المحبة، كما كانوا يأتون إليه بالأمة أو العبد الذي يطلب، ويعرضون أمامه أعضاء بدنه كقائه، ويتسامون معه بخلق وبمهارة فائقة. وأما إذا كان الزبون إيرانيّاً، فلا يلقون إليه بالأمم أبداً بل إذا توقّف قليلاً، فلا يُستبعد أن يؤذوه، فهم يحرمون التعامل معه؛ لذلك فالزبون الأعجمي عليه أن يوكل أحداً من العرب ليشتري بالنيابة عنه.

مولد النبي صلى الله عليه وآله ومولد على عليه السلام:

يوجد في مكة مكانان هما موضع زيارة العامة، الأول يعرف بـ «مولد النبي» صلى الله عليه وآله والثاني هو «مولد أمير المؤمنين على» عليه السلام، وقد قام بعض السلاطين العثمانيين بتعميرهما، ويتولّى أمرهما سادن وبعض الخدم.

ص: ١٥٧

مكان العمرة:

وهناك مكان العمرة، وهو أحد حدود الحرم الشريف، ويبعد مسافة نصف فرسخ الى الغرب من مدينة مكة، ففي هذا المكان توجد علامة حد الحرم، وهناك أيضاً مسجد ومسبح ومقهى، فكل من كانت له تبة العمرة المفردة، يغتسل هناك، ومن ثم التبة، فالإحرام، ثم يرجع.

منى وعرفات:

ومن توابع مكة أيضاً، منى وعرفات، وتقعان الى الشمال من مدينة مكة، وتبعد منى مسافة نصف فرسخ، وفيها مباني عالية، تستخدم كمساكن للحجاج والتجار أيام موسم الحج، أما في بقية الفصول فتكون أماكن للترهة والسياحة لأهل مكة. ويوجد فيها مسجد يسمى (مسجد الخيف) حيث يبلغ طوله مئة وعشرة أذرع، ويبلغ عرضه تسعين ذراعاً، وإلى الشمال منه تمتد صحراء، فيها أعداد لا تُحصى من الأغنام التي جىء بها كقرايين للحجيج، ولقد شاهدتُ كذلك وجود بعض الماعز الفريد، حيث لا يوجد أى تشابه بينه وبين الماعز فى إيران، فجسمه شبيه تماماً بالغزال، له شعر قصير، ناعم ويزرق، وعلى جلده وبر شبيه بما هو موجود على جسم النمر. إن القرايين فى منى تُعطى لجماعة من الزنوج، الذين يقومون بفرش لحومها على صخور الجبال تحت أشعة الشمس لتجفيفها بسرعة، ثم بعد ذلك يقومون بخزنها لمؤونة سنتهم.

وقد قاموا بحفر عدة حُفر لدفن فضلات ودماء الذبائح، ولكن الحجاج لم يعيروها أى أهمية، فكل حاج يقوم بذبح أضحيته أمام خيمته، فكان هذا العمل سبباً خطيراً فى التلوث الشديد، بالرغم من أن هؤلاء الزنوج يقومون بنقل الفضلات بعد ذلك تدريجياً. لا يوجد فى مكة المكرمة أى حقل أو خُضرة، عدا حقل نخيل واحد يقع إلى

ص: ١٥٨

الجنوب، وهناك اثنان آخران إلى الشمال. كما أن هناك بعض قطع الأراضي الخضر حول المدينة، التي تُسقى من مياه الآبار. إن ضرب الطبول معمول به في مكة المكرمة، حيث تُقرع الطبول عصر كل يوم أمام باب البيت، وكذلك تُستخدم بعض الآلات الموسيقية بلا أي مانع.

أما الطرق في مكة المكرمة فهي عبارة عن سوق مُغطى وزقاق توجد على جانبيه مبانٍ ذات طوابق ثلاثة أو أربعة، لذلك فإن الهواء فيها غير طلق، وليس هناك أي ساحة أو عراء لتنفس الهواء الطلق، عدا صحن المسجد وميدان خارج المدينة يقع إلى الشمال منه. الصفا والمروة:

وهما جبلان صغيران يقعان على طرفي المسجد الحرام، على مسافة ثلاثمائة ذراع، ويقع الصفا على حافة جبل «أبو قبيس»، والمروة إلى الشمال من المسجد على حافة جبل آخر، ويصل بينهما طريق عام وسوق، يقع المسجد الحرام على أحد ضلعيه، وعلى الضلع الآخر هناك المباني والدكاكين، وقطعة الأرض هذه مقدّسة ومشرفة جداً، ولا يوجد أي شك في أن النبي صلى الله عليه وآله وقبله عدد من الأنبياء، وكذلك الأئمة الطاهرون وأولياء الله قد قطعوا هذه المسافة تكراراً، ومع كل هذا فإن عرب مكة قد جعلوا قطعة الأرض هذه من أوسخ الأماكن، وصارت مأوى لمعظم كلاب مكة.

قُدماً نحو المدينة الطيبة:

بعد أن أنهينا المناسك، غادرنا مكة المكرمة في ٢٧ من ذي الحجة، عازمين على الذهاب إلى المدينة الطيبة، ووصلناها في أواسط شهر محرم الحرام، وتسمى أيضاً مدينة النبي صلى الله عليه وآله وفي السابق كانت تدعى ب (يثرب)، وهي مدينة لها من الشرف والمنزلة ما لمكة. تقع في أرض سهلة على مسافة ستة وخمسين فرسخاً إلى الشمال الغربي من مكة، وتقع على خط طول ١١ درجة غرب طهران، وعلى خط

ص: ١٥٩

عرض ٢٥ درجة شمالاً، وتضم ألفاً ومئتي أسرة، وهى ملجأ سيد المرسلين عند هجرته من مكة، وفيها عدّة مدارس، ويقصدها الحجيج بعد زيارة مكة وذلك لزيارة قبر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

المدينة بلدة محصورة، ولم يبق أى أثر من الخندق القديم سوى آثار قليلة فى بعض النقاط، وقد هُدم مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، وبنى السلطان عبدالحميد خان مكانه مسجداً فاخراً فى ظاهره وكبيراً، ولم يبق شىء من آثار المسجد القديم المقدس غير المقاييس، والحدود التى نُقِشت على الأعمدة الصخرية، مثل حدود مسجد النبى صلى الله عليه وآله، وموضع عمود حنّانه، وموضع محراب ومنبر النبى صلى الله عليه وآله وأبواب بيته، التى تُعرف بباب جبرائيل وباب ميكائيل... الخ، وحدود بيت الزهراء سلام الله عليها، وأمثال ذلك، وياليت أبنية الطين تلك باقية لحد الآن! وأما اليوم، فالمدينة لا تشبه بأى حالٍ من الأحوال المدينة القديمة، فجميع المباني هى من الحجر المنحوت ومعظمها ذات ثلاثة أو أربعة طوابق، وقد بُنيت بشكل خاص على تلك المساحات من الأرض، وعرض الزقاق فيها ثلاث أو أربع أذرع. ولكل طابق منها باب للخروج من كلا الطرفين إلى الطابق الثالث والرابع، حيث يمكن الانتقال من على سطح الدار فى هذا الزقاق إلى الطرف الآخر، وتشبه سقوفها إلى حدّ كبير السقوف «الجملونية» أو ما تسمى بالسقوف «الموشورية» على طول الزقاق.

وقد ارتفع المرقد الطاهر للرسول صلى الله عليه وآله وقبر الشّيخين بشكل مشابه لحرم بيت الله، فهو مربع الشكل، وغطيت هذه القبور بالقماش، وتقع مع قبر الزهراء (عليها السلام) على جهة واحدة من المسجد. وأما المسجد فهو مكوّن من صحن كبير احيط من أطرافه بالأعمدة والايوانات. ونقش فى أعلى الأعمدة اسم «الله» والاسم المبارك للرسول صلى الله عليه وآله وأسماء العشرة المبشرين بالجنة، وأسماء «الأئمة الأطهار» بالذهب وبخط جليّ وواضح.

هذا، ويرجع عهد بناء هذا المسجد ومتعلقاته إلى السلطان عبدالحميد خان.

ص: ١٦٠

وأما بناء القبر الطاهر والضريح فيرجع إلى عهد قايتبا (ى). ويقع المسجد من ثلاث جهاته على الشارع الرئيس، وهو مبني من الحجر المنحوت الجميل الصافي.

ومن بين القبور المعروفة في المدينة قبر عبدالله والد الرسول صلى الله عليه وآله والواقع في سوق الصفارين. مقبرة البقيع:

تقع هذه المقبرة خارج المدينة، أمام إحدى بوابات المدينة ويفصل بينهما زقاق. وتشمل هذه المقبرة بقعة من ترميمات السلطان محمود خان، تضم في كنفها قبوراً مطهرة لأربعة من الأئمة عليهم السلام: الإمام الحسن، والإمام زين العابدين، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق عليهم السلام الى جانب قبرين آخرين أحدهما للعباس عم النبي صلى الله عليه وآله والآخر لفاطمة بنت أسد أو فاطمة الزهراء، ويقع بيت الأحزان خلف هذه البقعة الطاهرة إلى مسافة قصيرة، ويقع قبر الشيخ أحمد البحريني في جانب من هذه البقعة الشريفة. وهناك بقاع أخرى في المقبرة لبنات النبي صلى الله عليه وآله وزوجاته وحليمه مرضعته صلى الله عليه وآله. وفي نهاية المقبرة المذكورة يقع قبر الخليفة الثالث.

وفي الطرف الشمالي الشرقي للمدينة يقع جبل احد حيث قبر سيدنا حمزة سيد الشهداء عليه السلام على سفح من سفوحه، وله مسجد وصحن، وتم ذلك على عهد السلطان عبدالحميد خان، وتقع قبور سائر شهداء أحد خلف الحائط الشمالي. وقد أحيطت هذه القبور بسور ترابي بسيط وهو على وشك الانهيار، وتقع بالقرب منه بقعة دُفنت فيها أسنان الرسول صلى الله عليه وآله.

وتجرى في المدينة وما حولها بضع قنوات وبساتين جيدة، وخاصة في الطريق إلى احد. وقد ازيلت من بساتين أطراف المدينة الأتربة بحدود ذراعين إلى ثلاث باليد؛ وذلك لإبقاء الماء فيها عند الأرواء.

مظلومية شيعة المدينة:

أغلب رجال أهل المدينة من الكواسج ولونهم أبيض، لكنهم بذيتوا اللسان

ص: ١٦١

وقساءً ومعيشتهم ضنكا. وفيها طائفة النخاولة (١) الذين يرجع نسبهم الى الإمام السيد جاد عليه السلام وجميع اولئك من الشيعة الخالص، وهذه الطائفة لها بيوت خارج المدينة القديمة وهي بيوت خربة جداً، وتعيش في ضنك وفقير مدقع، ولا يسمح لها أهل المدينة بالدخول إلى الحرم الطاهر أو مسجد النبي، وقد حدث مراراً أن هجموا على بيوت تلك الطائفة، وأوقعوا فيها القتل ونهبوا ما لديها. واعتقد أن لو كان لأحد في المشرق نذر بقدر فلس واحد يحرم حينئذ إعطاؤه إلى غيرهم عند الإمكان، وعليه أن يوصله إليهم مع وجودهم، فحياة هؤلاء المساكين مرّة وصعبة ولا يمكن شرحها على الإطلاق.

ومن عادات أهل المدينة أنهم على الأغلب يربون المواعز للحصول على ألبانها، فهم يشدون على ضروعها كل صباح ويطلقونها تسرح، فتسبح هذه المواعز في الأزقة إلى غروب ذلك اليوم، وعند العشاء تعود إلى منازلها لوحدها، ولا يعلم ما تأكله هذه الحيوانات المسكينة أو تشربه! إذ لا يوجد في الأزقة ما يمكن أكله سوى الأتربة والخرائب، وتُحلب مع ذلك في الليل!

وقد تحيرت في هذه الحادثة حتى سمعت خبراً، أنه في عهد خاتم الرسل صلى الله عليه وآله شكى أهل المدينة إليه صلى الله عليه وآله: أنما مضطرون للاحتفاظ بالمواعز من أجل ألبانها، إلا أنه لا يوجد عندنا شيء لإطعامها، وأرضنا يابس جرداء. فأجابهم الرسول صلى الله عليه وآله بكلام بياني إعجازي: اطلقوا مواعزكم تخرج في الصباح، وامسكوهن في الليل.

فصار ذلك عرفاً عندهم حتى وقتنا الحاضر، فقد عاشت مواعزهم بفضل وبركة كلامه صلى الله عليه وآله ولا يعرف أي شيء كانت تأكله!

التعامل الجاف مع العجم:

إن ما رأيته في الحجاز هو أن العجم، ولا أدري ما السبب في ذلك؟ مغضوب عليهم، ويحتقرهم ويذلهم الناس هناك، ومع أنه في هذه السنوات وبحسن كفاءة ودراية الحاج ميرزا حسن خان منسق الأعمال المقيم بجدة، قد تحسنت الحالة

١- ١ طائفة من أهل المدينة، وهم الساكنون في شارع أبي طالب حالياً، وأغلبهم من الشيعة.

ص: ١٦٢

كثيراً، إلماً أن تلك الحالة لم تخلو من المخاطر، خاصةً فى المدينة الطيبة حيث تُستحلُّ فيها دماء وأموال العجم، ولا يتأخر أهلها عن إيصال الأذى إلى الحجاج، حتى السيد حسن المطوف الذى هو مأمورٌ من جانب جناب معين الملك لملاحظه مطوفى الحجاج الإيرانيين، أبدى منتهى سوء التصرف والسلوك. وقد ساد العرف منذ سنين على جباية مبلغ رiales إفرنجيين من كلِّ حاج أى ما يُعادل اثني عشر ألف دينار لحسابه، فيقسّمها هو على المزورين والخدام فى الحرم.

ويعمد هذا الرجل المتوحش القليل الأدب مع جماعة من الخواجات والعسكر إلى الهجوم على مخيم الحجاج المساكين فى منتصف الليل دون سابق إنذار لأخذ تلك الأموال، وإذا كان الناس نائمين فى خيامهم، سواء أكانوا لوحدهم أم مع عيالهم، يغيرون عليهم ليلاً ويتزعمون منهم تلك الأموال بكلِّ وحشية، كما أن بعض أهل المدينة - من الذين يتصفون بقلّة الأدب الزائد عن الحدّ وبالوحشية - لا يعيرون الإيرانيين ذرّة وقار أو احترام بل ولا يحسبونهم من صنف البشر!

وقد رأيت بعينى فى مسجد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله جماعة من الحجاج الهنود يخيمون هناك، وكانوا قذرين للغاية وثيابهم رثة، وهم يجلسون كلِّ يوم تحت أشعة الشمس على فرش نظيفة، يقتلون القمل ثم يضطجعون ويغطّون فى النوم، ومع هذا يتحركون بكلِّ حرّية ووقاحة دون أن يعترضهم أحد.

منع الزيارة:

ومع أن أغلب الإيرانيين يلبسون ملابس نظيفة وجميلة، لا- يُسمح لهم خلال النهار بالتوقف فى المسجد كثيراً لأداء الزيارة، ولا يتجرأون فى الذهاب إلى المسجد، وفى الليل هم ممنوعون تماماً من دخول المسجد مع أنّهم كانوا يتحركون بكلِّ أدب وحيطة وحذر، وقد رأيت يوماً فى زقاق من أزقة المدينة رجلين إيرانيين عظيمى الجثة يجتازان من أمام أحد الدكاكين، فقفز صبيٌّ من الدكان أمامهما وأخذ يبدى هذين الرجلين وساقهما نحو الدكان بقصد إيذاءهما، ومع أن

ص: ١٦٣

هذين الرجلين كان باستطاعتهما أن يقتسما ذلك الصبي ويأكلاه كلقمة سائغة، إلما أنهما لم يجزوا على إظهار غضبهما، وكانا كأسيرين فى قبضة ذلك الطفل حتى بادر شخص آخر، وعمل على انقاذهما من يده.

البواب القبيح المنظر:

عند مقبرة البقيع، بقعة الأئمة الأطهار، يوجد بواب قبيح المنظر يحمل بيده هراوه، ويتطاير الغضب من وجهه، ويأخذ من كل إيراني يروم الدخول إلى هناك بقصد الزيارة صاحبقران (١) واحداً، ولو أراد ذلك الحاج مثلاً الدخول خمس مرات يومياً عليه أن يدفع خمس قرانات، وحال دخوله إلى هناك ولما يبدأ الزيارة بعد، يقول له البواب: اخرج.

وأراد أحد الأشخاص يوماً أن يُقيم مجلساً للجزاء تحت قبة الأئمة الأطهار، فمنعه البواب، فأعطاه مبلغ روبيتين اثنتين وتسوايان ستة آلاف دينار حتى حصل على إذن بذلك.

وكل هذه الموانع والحجج هي من نصيب الإيرانيين، ولا أحد يعترض طريق الأعراب أبداً.

ومن بين المميزات التي يحصل عليها الأعراب هي وكما رأيت بعيني في كل بلاد الجزيرة العربية، أنه متى ما شب نزاع بين اعرابي وأعجمي، فللأعرابي الحق في أن يكيل للأعجمي كل أنواع السب والشتم والتهم، في حين لا يحق للأعجمي حتى فتح فيه سؤال أو جواب، وإلا كان مصيره أن يهجم عليه الأعراب ويشبعوه ضرباً حتى يهلك.

ففى أرض الحجاز كل ملة يحق لها أن تتنقل بحرية كاملة بزيها للأهل إيران، الذين إما أن يلبسوا لباساً عربياً أو لباساً أفندياً، ومع ذلك فبمجرد أن ينكشف لهم أنه أعجمي، يتعرض إلى السخرية والاستهزاء!

ومن الأعمال التي أداها الحاج ميرزا حسن خان منسق الأعمال هذه السنة في

١-١ نوع من العملة، كانت تُسك منذ عهد الأسرة الصفوية حتى ناصر الدين شاه القاجارى، وكان رأس صاحبقران وهو لقب بعض ملوك إيران منقوشاً عليها.

ص: ١٦٤

مكة هي أنّ أحد الفلاحين الإيرانيين أراد يوماً الطواف حول بيت الله والتشرف بذلك، فربط مداسه بمنديله ووشاحه ووضعها على كتفه متديلاً خلف ظهره ودخل المسجد. فانتبه أحد خواجهات الحرم إلى ذلك، وبينما كان الفلاح يطوف فإذا بالخواجه يُنزل ضربات عديدة بهراوته على ظهر الفلاح، فشهد أحد أقرباء المنسّق في الدار الإيرانية، تلك الواقعة من بعيد، فأسرع وأخبر المنسّق بذلك. فقام المشار إليه لأخذ القصاص بإذن جناب الشريف وباشا مكة وعاقبوا ذلك الخواجه في نفس المكان الذي قام هو فيه بضرب الفلاح بالهراوة. وهذه الأمور تقع فقط للإيرانيين وحدهم دون غيرهم. فالأعراب وضعهم مختلف، فهم يحملون نعلهم تحت آباطهم ويدخلون المسجد دون أن يتعرّض لهم أحد بسوء.

والخلاصة أنّه ولسبب مجهول يتعرّض جماعة من الإيرانيين كلّ سنة إلى الأذى والمشقة والبلاء.

وبعد الخروج من المدينة الطيبة، تحركنا نحو الجبل، ولم تكن في الطريق من المدينة إلى النجف الأشرف أية مدينة عامرة على جانبي الطريق سوى «مستجدة» و «جبل» وبعض الخيم السود القليلة، التي تسكنها جماعة من الأعراب.

و «مستجدة» على بعد ثلاثة منازل قبل الجبل، وهي قرية عامرة فيها بساتين كثيرة من النخل والحمضيات.

و «جبل» قصبه من إيالة «نجد» ويبلغ عدد سكانها حوالي (٢٠٠) عائلة وجبل هي مقرّ حكومة محمد الأمير. وتقع على خط عرض (٢٩) درجة شمالاً وخط طول (٦) درجات غرباً عن طهران، في أرض سهلية جرداء وحصوية، وأما سكانها فهم من الأعراب البدو.

نجد:

تقع بين (الاحساء) و (الحجاز) والأراضى الصحراوية، ويقطنها حوالي ثلاثمائة ألف نسمة، مناخها شديد الحرارة ولكنّه صحّي، وماؤها شحيح، ومعظم

ص: ١٦٥

أهلها من سكان البوادي، وتشكل الخيل والجمال والأغنام كل ما يملكون، والفرقة الوهابية خرجت من هذه الديار. بعد طي الطريق الجبلي وصلنا الى النجف الأشرف في الرابع عشر من ربيع الأول، واستغرقت الرحلة ما يقارب الثمانين يوماً، وخلال هذه الفترة، ضل كثير من الحجاج الأعاجم في صحارى الجزيرة العربية، وأصبحوا أسرى لدى: عبدالرحمن أمير حاج نيابة عن محمد أمير الجبل.

متعهدي القوافل الماكرين، الذين لم يتورعوا عن ارتكاب أنواع القبائح، عدا نفر قليل منهم مثل الحاج عباس القازي النجفي، الحاج اسماعيل الأصفهاني.

وأخيراً، أسرى بيد العكّام الذين يمسكون بزمام الجمال، وهم أغنياء عن التعريف.

عادة محمد أمير الجبل هي أن يرسل كل عام قبيل موسم الحج شخصاً مثل عبدالرحمن، أو غلامه (قنبر) إلى النجف الأشرف، حتى يسوق الحجاج في الخامس من شهر ذي القعدة، ليصل بهم إلى مكة المكرمة في الرابع من شهر ذي الحجة، وبالنظر إلى أن عليه أن يمرّ بالقوافل بسلام خلال القبائل الأكثر وحشية منه، وأن يدفع لهم الرسوم، لذا فهو يأخذ من كل راكب جمل ما يعادل خمسة عشر تومانا تسمى (الأخوة)، ويؤخذ من الأعراب إجمالاً نصف مبلغ الأخوة، ومشاة الحجاج معفون منذ القديم من دفع هذه الأتاوة، وعلى الرغم من أن المدينة الطيبة تقع على حافة الطريق، فهم لا يمرّون عليها ذهاباً، إلّا أنهم يفعلون ذلك في الإياب، ويقطعون الطريق من نجد وحتى يصلوا بالقوافل الى النجف الأشرف، وأحياناً، يأخذون (الأخوة) في الأربعين وحتى أواخر شهر صفر على الأغلب وبنفس الطريقة، إلّا أنهم لا ينفذون ما يقولون.

كل عام، يعتدون على مشاة الحجاج المساكين، وفي هذا العام، قام

ص: ١٦٦

عبدالرحمن فى كل منزل بجمع عدد من المشاء بوشاية من الحاج حمودى النجفى، وأمر بعضاً من الأعراب الأشد كفرةً ونفاقاً، بأن يحملوا عليهم بالهراوات، ويشبعوهم ضرباً حتى يقضى البعض نحبه تحت أيديهم، ويقوموا بنهب ما يمتلكون من دراهم ودنانير، حتى أن متعهد القافلة الحاج جواد بن الحاج عبد، وهو من الرعايا الإيرانيين، قد استشهد هذا العام تحت ضرب الهراوة لمحمد. وأخيراً، لم يبق سوى ٢٣ نفرًا من الحجاج المشاء، وما إن علمت بذلك حتى أرسلت فى طلب عبدالرحمن، ووجهت إليه التهديدات قائلاً:

لو كان قادة دولة إيران يعلمون كيف أنكم بهذه القساوة والطمع، تتعاملون مع الحجاج الأعاجم؛ لمنعوا كلياً الطريق الجبلى. ولقد توعدتته، وقلت له: إذا أمهلنى الأجل فسأسجل تفاصيل هذه المعاملة السيئة فى دفتر مذكراتى، وسأعرضها على ولاة الأمر فى إيران. وآخر الأمر، فقد أعطيته قطعه شال؛ لأنقذ بقيه السيف من برائته.

ومع هذا، فقد كانت تُفرض كل يوم وبمختلف الحجج والأعذار، أتاوات من قبل عبدالرحمن ومتعدى القوافل على الحجاج العجم، وكان الحاج حمودى يأخذها بأسوأ شكل، وكانوا إذا احتملوا وجود دينار فى جيوب الحجاج، جالوا بهم فى القفار حيارى وعطشى وجياعاً. وكل تلك المصائب تحدث خاصة أثناء العودة.

والحاج حمودى رجل من أهل النجف، وكان هو وأخوه جاسم يخرجان كل سنة من النجف مع بعض أقربائهم برفقة الحجيج، وهو رجل لا دين له ولا مذهب وكان يتبع مذهب كل جماعة يرافقها. فهو شيعى فى النجف، وسنى متعصب فى خيل أمير جبل، وشريك للصوفى فى مخيم الحجاج، ورفيق القافلة والأمين والمشاور كذلك.

وأما عبدالرحمن فهو شخص ظالم وقاسى القلب، وكل ما يُصيب الحجاج من

ص: ١٦٧

الآلام والمصائب، فهي منه وإليه. ولو أنّ هذا الرجل وأتباعه مُنعوا من مرافقة الحجاج على الأقل، لكان ذلك فوزاً عظيماً. لذا فإني أرى من الضروري أن يتبّه عامه الناس على أنّ طريق الجبل ليس هو الطريق الوحيد الذى يوصل إلى مكّة المكرّمة أو الرجوع منها، ولا يقتصر عليه أبداً. فالحمد لله هناك طرق عديدة آمنة ومفتوحة:

طريق الشام السلطاني الذى يُشرف على المدينة الطيبة عند الذهاب.

طريق إسلامبول (إسطنبول)، وعلى الحجاج الإيرانيين أن يذهبوا عن طريق أنزلى نحو تغلب، وبعد إسطنبول يمرّون بالقرب من مصر ثم يصلون جدّة.

طريق البصرة الذى سرت فيه.

طريق بوشهر الذى يمكن الوصول عبره الى جدّة خلال (١٥) يوماً، وعند الرجوع بعد زيارة المدينة، يمكن الذهاب عن طريق الشام أيضاً، أو عن طريق ميناء يثبع، إذا كان آمناً؛ لأنه بالقرب من المدينة، حيث يمكن ركوب السفينة والذهاب إلى أى مكان آخر. يثبع:

ميناء فى الحجاز، ونسبته الى المدينة كنسبة جدّة الى مكّة، وهو عبارة عن قصبه محصورة، تبعد (١٧) فرسخاً الى الجنوب الغربى من المدينة. وترسو عنده الكثير من السفن إلّا أنه غير آمن. فالناس هناك كالوحوش، وكلّما سنحت الفرصة لا تتخذه معبراً كانت تتفاوت وتختلف المصاريف العامة ومدّة السفر للحجاج.

كانت السفينة تتأهب للتحرّك من بغداد فى النصف من شوال، فكان الحجاج يصلون إلى يثبع فى العشرين من ذى القعدة، ويصلون من المدينة إلى مكّة خلال عشرة أيام أو أقل. وبعد الفراغ من الأعمال، من (١٥) إلى (٢٠) ذى الحجّة، يصعدون إلى السفينة من جدّة وكانوا يتجهون إلى ما شاءوا من الجهات، إلى

ص: ١٦٨

بومباى، ومصر، وإسطنبول وبوشهر أو البصرة.

وأما إذا كان المقصد هو العتبات المقدسة، فبالإمكان الوصول الى بغداد من (١٥) إلى (٢٠) من محرّم، وعلى هذا كان الجهد ينصبّ على أن لا يُسلّم الحجاج أنفسهم بأيدي الطوائف الثلاث أو الأربع المتوحشة، وعندها سيقعون أسرى عندهم، ويسلبون أراذتهم أو يُعزّضون حياتهم أو أموالهم إلى الهلاك، فيكون الجوع والعطش مصيرهم. ليت طريق الجبل يُمنع ويُغلق لعدّة سنوات من قِبَل رجال الدولة دام عمرهم حتى يستقرّ فيه النظام والأمن!

الهوامش:

شعر الحج

ص: ١٦٩

شعر الحج

ضياء الدين الصابوني

قد طابَ حُجُّكَ إِنَّهُ مَبْرورٌ وَسَقَيْتَ سَقِيكَ إِنَّهُ مَشكور
 فاهناً بِحُجِّكَ وَالْقَبولِ مع الرضا فَلانَتْ في عَفْوِ المليكِ جدير
 تلكَ المعاني السامياتُ شَهِدَتْها قَدْ زانها التهلِيلُ والتكبير
 ذقتَ الحلاوةَ في الرحابِ وَمَنْ يَدُقُّ يَعْرِفُ، وُضِلَّ الجاحدُ المغرور
 وشهدتَ من سِرِّ الجمالِ وحسنه صوراً تَرُدُّ الطُرْفَ وهو حسير
 ووقفتَ في (عرفات) تلتمس الندى وأفضتَ منها ذنبك المغفور
 وأتيتَ (للحجرات) تهجر كلَّ ما يُرديكَ أو يُغويكَ وهو كفور
 أَمَّن يري البيتَ العتيقَ وسِرِّه والقلبُ منه طافحٌ مغمور؟
 ولقد كُسيَتَ من الجلالةِ ثوبها وَمَعَ الجلالِ بِشاشةٌ وحبور
 ها هم ضيوفك أقبِلوا في لهفةٍ وقلوبهم فيها الهدى والنور
 يدعون ربهم بقلبٍ خاشعٍ واللَّهُ يُجزلُ والجزاءُ كبير

ص: ١٧٠

وعلى الجباه الخاشعات علائمٌ وعلى الوجوه التيرات سرور

نالوا الجوائز بعدما غفرت لهم زلاتهم، إن اللطيف خبير

وكم اعتراك هزةً برحابه بل كاد قلبك من هواه يطير طوبى لمن قد فاز منه بنفحةٍ فالعيش رعدٌ والزمان عبير

مهما أتيت من الذنوب فإنما أملى بعفوك يا كريم كبير

رباه يا رحمن فاجبر كسرنا إن الفؤاد من الذنوب كسير

رباه فاقبل توبتي وضراعتي أيقنت أنك راحمٌ وغفور

جد لي بعفوك يا إلهي تكرمًا فالكسر عند ملكنا مجبور

جد لي بعفوك أنت أكرم مرتجى وإليه كل الكائنات تصير

صلى الإله على النبي وآله ما رف قلب العبد وهو شكور شاعر طيب: محمد ضياء الدين الصابوني - عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

يا محرمون .. شعار الصالحين على وجوههم .. للهدى والخير منزعه

كأنه من جنان الخلد مقتبس وفي الجباه يد الرحمن تطبعه

يا محرمون، كيوم البعث منشروهم شمل البرية هذا اليوم يجمعه

من كل جنس ولون أقبلوا زمراً حيث التفاضل للإيمان مرجعه

تجردوا من هوى الدنيا وزخرفها وكلهم في رضا الله مطمعه

مسالمين فلا بغى ولا حرب ولا يراود جفناً ما يروعه

ترى الخيام على ظهر الربي نصبت كالبحر.. منشورة للريح أشرعه

هذى وفودك يا رحمن قائمة يضمها من جميل العفو أوسعه

في مهبط الوحي كم تنساب ذاكرة تنير في القلب أشجاناً تلوعه

ص: ١٧١

كم فى المنازل من طيف ومن أثر يكاد ينطق بالأخبار موضعه
 عفت عليه الليالى وهو ملتحف بالصمت.. يسترجع الأحداث بلقعه
 وفد الحجيج سلامً عاطرً عقب رب البرية بالغفران يشفعه
 وفد الحجيج.. ألا فتذكروا أبداً مجداً لنا غابراً لا بد نزعجه لا تتركوا القبلة الأولى.. ومسجدها يشكو.. وكم طال فى البلوى تفجعه
 من هاهنا من ظلال البيت طاهرة أذياناً.. مبدأ التحرير نزعته
 لا، لن نعود وفى أرواحنا وهن ولن يصم خلى البال مضجعه (١)

يا موطناً من عهد إبراهيم لا يمحي.. ولا تعفو عليه رياح
 بيديه شاد أجل بيت يبنى لله يغدى نحوه ويراح
 تهوى النفوس إليه.. فهى بساحه لا إثم يرهبها ولا أتراح
 وهناك «إسماعيل» قام ملبياً وكلاهما بدعائه ملحاح
 قمران من وحى الإله سناهما خلق أبر. وعفة وسماح
 رباه.. هذا البيت بيتك خالصاً ومعالم التوحيد فيه صراح
 أرنا مناسكنا على النهج الذى يرضيك عنا.. ليس عنه براح من ارجوزه فى الحج للسيد جمال الدين الهاشمى رحمه الله
 سارت على اسم الخالق المعبود قافلة الإيمان والتوحيد
 سارت تحج الكعبة الغراء بحب آل أحمد تلوب حتى قصدنا مكة المكرمة فى موكب شاراته محتشمه
 وحينما لاح حدود الحرم واستيقظت منها قلوب النوم

ص: ١٧٢

فبادر الركب إليه مسرعاً وكلّ فرد فيه من شوق دعا:

«لبيك إنّ الحمد والنعمة لك لبيك إنّ المجد والرحمة لك»

نخلع عن أجسامنا الثيابا إذ لم تزل لوعينا حجابا

هي القشور أضحت اللبابا هيا أمط عن وعيك النقابا

لتظهر الحقيقة الخفية وتلمس الماهية النورية

تبعدنا مظاهر الحياة في زيفها عن الجمال الذاتي ما أنا في الحياة إلّا بشر لكلّ ما أحبى به مفتقر

عبد فلا أملك رجلى ويدي بل كلّ ما عندي ملك سيدي

فكلّ آثارى إليه تنسب في بعثها عنى هو المسبّب

ما كنت إلّا عدماً لولاه أوجدنى بأمره الإله

شغلنى عن وعيها التشاغل بعالم لذاته حيائل

تصدّنى في وصفها عن واقعى وتستزيد نحوها مطامعى

رباه يا رباه إنّنا بشر عن وعى واقع الأمور نقتصر

تجذبنا الظواهر المزبرجة عن واقع نيرانه مؤجّجة

وحيثما أيقظنا الإيمان جئنا وكلّ ما بنا لسان:

«لبيك لبيك فلا شريك لك لبيك لبيك فلا مليك لك»

أحرمت عن ما ثمن تجرّدا وصرت عبدا مذ رأيت السيّد

وهكذا تجرّد الإنسان لما طمى في وعيه الإيمان.. الهوامش:

مهّمات مشبوهة في الديار المقدّسة (٢)

ص: ١٧٣

مهمّات مشبوهة في الديار المقدّسة (٢)

حسن السعيد

حينما شرع الغرب حركته لوعى الذات، عبر اكتشافه لشروط تكوينها الداخليّة، ولتتمخض عمّا يُعرف بـ «النهضة الأوروبيّة»... كان هناك ثمّة حركة دائبة لاكتشاف الآخر (الخصم الأكبر)، بغية السيطرة عليه أحياناً، والتلاعب به، بل حتى ضمه وتدميره. ولم يكن هذا «الآخر» سوى الشرق، الذي أصبح منذ القدم، وبخاصة المشرق الاسلامي معروفاً في الغرب بوصفه نقيض الغرب المتمم له (١).

هناك إذن رؤية فكرية قد تهيأت خاصة خلال حقبة المواجهة، وتحديدًا في القرن الثاني عشر، ثم توسّعت وتدفقت في القرن الثالث عشر والرابع عشر؛ لتمتد حتى القرن الثامن عشر، وحتى العصر الاستعماري (٢)، لتتكزس وتتراكم باطراد حتى تستوطن اللاوعى الغربي، وكأنها حقائق مسلّمة.

وفي القرون اللاحقة، وبخاصة في القرن السادس عشر، الذي شهد ظهور مذهب التجارة في اوروپا الغربيّة (المتمدنة) و (المتفوقة) و (العقلانية) والتي عدلت

١-١ للمزيد من الاطلاع على هذه النقطة، يُراجع كتاب «الاستشراق؛ المعرفة، السلطة، الإنشاء» لادوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط. ٢ بيروت، ١٩٨٤.

٢-٢ هشام جعيط: «اوروپا والإسلام»، ترجمة طلا عتريسى، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٨٠ م، ص ٢٠.

ص: ١٧٤

من طبيعته مواجهتها مع «الطرف الآخر»، (المتوحش) و (المتخلف) و (الأذني) منزله، اختزل ثراء الحضارة الإسلامية الى صورة «وضيعة»، وذلك لتبرير الدوافع السياسية والاقتصادية وخدمتها. وبدأ أوروبا الغربية، التي لم تعد في حالة دفاع ضد التهديد الإسلامي - على الأقل ليس إلى الدرجة التي سادت خلال العصور الوسطى - بدأت تهتم اهتماماً من نوع جديد بالشرق، وقد أوحى بهذا الاهتمام الروحانية الجديدة الناشئة عن مذهب التجارة من جهة، والتنافس السياسي والاقتصادي في الداخل من جهة أخرى» (١).

ومع أن الاهتمام الأوروبي، ثم الأمريكي، بالشرق كان سياسياً تبعاً لبعض المسارد التاريخية الواضحة التي أوردها «ادوارد سعيد» في كتابه «الاستشراق»، لكن الثقافة كانت هي التي خلقت ذلك الاهتمام، والتي فعلت بحيوية ديناميكية جنباً إلى جنب مع المعقلات السياسية، والعسكرية، والاقتصادية (٢)...

وإلى جانب هذه التطورات، بدأت مجموعات من التجار والرحالة بالوصول كذلك إلى الشرق لأغراض مختلفة، إذ كان بعضهم مرسلًا ببعثات دبلوماسية أو تجارية، وبعضهم من المغامرين أو من المبشرين بدين آخر، وبينما كان بعض الرحالة والتجار يختلقون الأوهام حول العرب، وهي أوهام سادت في بواكير القرن السابع عشر، كان العلماء منهمكين كذلك في دراسة الأدب والفكر العربيين وترجمتهما إلى الانكليزية... وعلى الرغم من أهمية تلك الدراسات العربية، فإن الاتجاهات الهجومية القديمة - الجديدة نحو الإسلام قد طغت على أكثر أعمالهم (٣).

وليس من شك، أن الإسلام لم يصبح رمزاً للعرب، والدمار، والشيطاني، وأفواج من البرابرة الممقوتين، بصورة اعتباطية. فبالنسبة لأوروبا، كان الإسلام رجحاً مأساوية دائمة. وحتى نهاية القرن السابع عشر كان «الخطر العثماني» مترتباً بأوروبا ممثلاً بالنسبة للحضارة المسيحية كلها تهديداً دائماً، ومع مرور الزمن امتصت الحضارة الأوروبية هذا الخطر وأحداثه العظيمة، وخبراته الموروثة،

١- ١ د. خضر حلمي ساري: «صورة العرب في الصحافة البريطانية»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٨، ص: ٢٧-٢٨.

٢- ٢ د. ادوارد سعيد؛ المرجع السابق: ٤٦.

٣- ٣ بشيء من التصرف عن كتاب «صورة العرب في الصحافة البريطانية»؛ م. س: ٢٨، ٣٠.

ص: ١٧٥

وشخصياته، وفضائله، وذرائله وحولته شيئاً منسوجاً في لحمه الحياة الأوروبية (١).

وهكذا استقرت صورة الاسلام في الوجدان الشعبي، وظل يُنظر إليه على أنه لا شيء أكثر من ضلالة- أو بدعة- من المسيحية، وكان يُقال عنه أنه «دين السيف»، ويُعبر عنه باستهزاء ب «الدين المحمدي» أو (المحمدية). والمسلمون أنفسهم أيضاً لم يسلموا من سخط المسيحيين في العصور الوسطى، وقد سمّوهم بالكافرين والوثنيين والأعراب والمحمديين (٢).

وقد أدخل رحالة القرن السابع عشر أيضاً صوراً أخرى عن المسلمين تتعلق بالقرصنة والرق. وقد راجت هذه الصورة شعبيّاً، من جزاء كتاب ألفه «جوزيف بيتز»، وصف فيه أسره من قبل قراصنة جزائريين في ١٦٧٨، بينما كان هو ورفاقه يبحرون في الساحل الجزائري (٣) فمن هو «بيتز»؟ وما هي حكايته؟

جوزيف بيتز:

وجوزيف بيتز هو شاب انكليزي يافع من أهالي أو كسفورد، وقصته طريفة وغير عادية. فقد كان هذا البريطاني- الذي ولد في جنوب غربي البلاد- قد ورث تعلقاً شديداً بالبحر، وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره التحق بسفينة كانت متوجهة إلى أمريكا عام ١٦٧٨. وفي طريق العودة، على مقربة من الشواطئ الاسبانية، هاجم قراصنة جزائريون السفينة وأسروا أعضاء الطاقم ونقلوهم إلى العاصمة الجزائرية، حيث بيعوا في السوق كعبيد. وكتب «بيتز» عن تلك المرحلة:

«اشتراني رجل عاملني بقسوة فائقة، وعلى رغم من أن الجزائريين لم يكثرثوا أبداً بديانته عبيدهم، إلّا أن معلّمى كان يضربني باستمرار ليجبرني على تغيير ديني» (٤).

ونظراً لأن «بيتز» كان يجيد التكلّم بالعربية والتركية فقد أتقن التعاليم الإسلامية أكثر من غيره. وكان صاحبه، النقيب في خيالة الجيش الجزائري،

١- ١ الاستشراق؛ م. س: ٨٩.

٢- ٢ بربارا براون: «نظرة عن قرب في المسيحية»، ترجمة منافع حسين الياسري، نشر توحيد، طهران، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٥ م، ص: ٨٦.

٣- ٣ صورة العرب في الصحافة البريطانية؛ م. س: ٣١.

٤- ٤ مقال: «سيرة «عبد اوروي» في بلاد المسلمين في القرن الثامن عشر» لرلى الزين، المنشور في صحيفة الحياة لندن- العدد ١٦. ١١، الصادر بتاريخ ١١ نيسان ابريل ١٩٩٣ م- ١٩ شوال ١٤١٣ هـ. ومن الواضح أن ثمة سهواً قد وقع في عنوان المقال، حول التاريخ والصحيح هو «في القرن السابع عشر» وليس «الثامن عشر» كما سترى من خلال البحث.

ص: ١٧٦

رجلاً مسرفاً منغمساً في الدعارة والفجور، على ما يقول «بيتز»، فصمم على أن يكون سبباً في اعتناق مملوكه الانكليزي الديانة الإسلامية تكفيراً عن آثامه وخطاياها. فاستعمل الضرب والشدة معه حتى نطق بالشهادة، لكنه بقي خلال وقته كله الذي قضاه في بلاد الاسلام والمسلمين يعبر عن سخطه ودخيلة نفسه المجدولة على المسيحية في شتى الظروف والمناسبات (١).

وبعد فترة، بيع «بيتز» إلى رجل آخر في الجزائر، قدمه هديّة إلى أخيه في تونس... فمكث هناك ٣٠ يوماً، تعرّف خلالها إلى القنصل البريطاني الذي وعد بمساعدته، وبعد أن قرر معلمه أنه لم يعد في حاجة إليه، اعيد «بيتز» إلى الجزائر، على رغم من أن القنصل البريطاني وتاجرين بريطانيين حاولوا شراء حريته، وقدموا ٣٠٠ دولار إلى صاحبه. إلّا أن التونسي أصرّ على مبلغ ٥٠٠ دولار استحال على البريطانيين جمعه.

عندما وصل «بيتز» إلى الجزائر وعلم أنه سيردّ إلى معلمه الأول انهار بالبكاء. كانت حياته، في تلك الفترة، صعبة للغاية إلّا أنه مضى وقتاً طويلاً يتقن اللغتين العربية والتركية... وصار يلجأ في ساعات فراغه إلى المساجد، يدوّن الملاحظات الدقيقة حول المراسم المحيطة به، والصلوات، وكلمات الإمام، وتعاليم القرآن. وتقول زهرة فريث وفيكتور وينستون في كتابهما: «مستكشفون في الجزيرة العربية» عن بيتز: «نظراً إلى حداثة سنّه، وعلى رغم من أنه أُجبر على تغيير دينه، إلّا أن «بيتز» حاول جدّياً فهم العقيدة وتقديمها بموضوعيّة» (٢).
 reieM dna semloH :kroY weN ;niwnUdna nella :notsoB ;nodnol arE nairotciV fo dnE, ١٩٧٨
 eht ot ecnassianreReht morf aibarA fo srrerolpxE ,enotsniW F .V .H dna hteerF noskcid
 .. (٣) arhaZ

على أن هذه الأحكام بحاجة إلى اثباتات، لذا فإنها لا تعدو كونها ادعاءات. وممّا يدل على ذلك أن الرحالة بورتون المعروف بانحيازه الواضح إلى رسالة الرجل الأبيض، والى بريطانيته خاصة، ورغم ذلك اعترف بأن كتابة بيتز تتصف بالتعصب الأعمى رغم خلوها من الخرافات أو الأشياء التي لا تُصدّق (٤).
 وكمثال على مدى تحامل بيتز على المسلمين الصاقه بهم العديد من الرذائل،

١-١ جعفر الخليلي: «موسوعة العتبات المقدسة: قسم مكة» ٢: ٢٥٥ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط. ٢، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
 ٢-٢.

٣-٢ ١٩٧٨ fo dnE, reieM dna semloH :kroY weN ;niwnUdna nella :notsoB ;nodnol arE nairotciV
 dnE eht ot ecnassianreReht morf aibarA fo srrerolpxE ,enotsniW F .V .H dna hteerF noskcid
 arhaZ

٤-٣ موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س: ٢٥٥.

ص: ١٧٧

والتي ساهم هو نفسه في ترويجها عن المسلمين في الأوساط الغربية. ثم تغاضيه عن الاسلوب المتسامح معه، من قبل الآخرين، خاصة بعدما تغيرت حاله أثر اعدام معلمه الأول، لمشاركته في تنظيم تمرد ضد الحاكم، فباعته زوجته هذا الأخير إلى شخص جديد متقدم في السن، عامله بلطف وطلب منه أن يرافقه في رحلة الحج إلى مكة المكرمة.

الرحلة إلى الحج

قام بيتز برفقة سيده بالحج إلى مكة والمدينة، أواخر القرن السابع عشر (١) ثم تمكن من الفرار، ونشر قصة رحلته تلك في بريطانيا سنة ١٧٠٤ م، وهي قصة يصحح بها بعض الأخطاء والمبالغات الموجودة في الكتب المعاصرة له، وأروع ما في الرحلة وصفه للقافلة واعدادها (٢).

واجتذب الكتاب وعنوانه «وصف أمين لديانه وأخلاق المحمدين» اهتماماً كبيراً، لأن كاتبه عبد مسيحي، وفيه يعزز روايات العبيد المسيحيين في الدول (البربرية)، الجزائر وتونس وطرابلس، فضلاً عن ذلك فإن أهميته تعود أيضاً إلى أن «بيتز» كان من أوائل الانكليز الذين دخلوا شبه الجزيرة العربية ووصفوا شعبها، والأماكن المقدسة، ومراسم الحج وشعائر العبادة في مكة، وقد زار بيتز كذلك قبر النبي صلى الله عليه وآله، ونفى حكاية أن القبر معلق في الهواء، بفعل قوة أحجار مغناطيسية (٣).

بدأت رحلة بيتز وسيده بمصر، وعندما وصلا إلى الاسكندرية أصيب المعلم بمرض شديد حتى ظن أن نهايته اقتربت، فأعطى الشاب البريطاني جزاً فيه كيس من الذهب ورسالته كانت ستسلم إليه في مكة المكرمة، يعلن فيها صاحبه عن اطلاق سراحه. إلا أن الرجل استعاد عافيته وظل «بيتز» في خدمته، وتابعا طريقهما إلى القاهرة حيث مكثا فترة من الزمن لتجميع المواد اللازمة للمرحلة الثانية من الرحلة. وكان «بيتز» يدون ملاحظاته عن المدينة وأهلها (٤).

١- ١ لم تحدد المراجع بالضبط سنة الرحلة، ولكنها حدثت، على ما يبدو، عام ١٦٩٢ م، بدليل أنه عاد مباشرة إلى بلاده، فيما استغرقت مدة غربته عنها حوالي ١٥ سنة.

٢- ٢ د. محمود السمرة: «مراجعات حول العروبة والاسلام واوريا»، كتاب العربي ٤ الكويت، ١٩٨٤ م، ص: ١٢٠.

٣- ٣ صورة العرب في الصحافة البريطانية؛ م. س: ٣١.

٤- ٤ صحيفة الحياة؛ م. س.

ص: ١٧٨

على أن «بيتز» في وصفه لمصر وخليط السكان فيها (من أتراك ويهود ويونانيين وأقباط) كان أول من رَوَّج شعبيّاً صورةً جديداً جداً، ألا وهي صورة البغاء... وعلى أيّة حال، فإن تجارب بيتز وتصويره للعرب كقراصنة وشحاذين ولصوص ومشتغلين بتجارة الرقيق والبقاء كانت رائجة في انكلترا في نهاية القرن السابع عشر. ولا بدّ من التأكيد هنا أن إشارات «بيتز» إلى العرب لم تكن واضحة جداً أبداً؛ فهو يدعوهم أحياناً جزائريين أو بربراً أو عرباً، ويشير إليهم أحياناً كأتراك ومصريين. وأحسن دليل على عدم وضوحه وصفه المشوّش للبقاء (١).

يمضى «بيتز» في وصف قافلة الحجاج، وهو ينتقل بمعيتة سيده من القاهرة إلى السويس، ومنها أبحرا إلى مرفأ صغير بين ينبع وجدّة، واستخدما الجمال مجدداً للوصول إلى مكّة المكرمة. ودامت اقامتهما هناك شهرين، وكان «بيتز» يرافق معلمه كل يوم، في جولة حول المدينة، ويسجّل في ذهنه صور المباني وعادات الأهالي والطقوس الدينية. وكان الجهد الذي بذله لتسجيل كل هذه التفاصيل مميّزاً، وكذلك عندما دوّنّها في كتابه الشهير (٢):

مكّة كما يصفها بيتز

كتب جوزيف بيتز مذكرات تفصيلية عن سفرته إلى مكّة، وصف فيها البلدة وأماكنها، كما وصف المسجد الحرام والكعبة ومناسك الحج كلها، وليس من الممكن بطبيعة الحال أن نورد هنا جميع ما كتب عن ذلك، وإنما نورد نماذج منتخبّة ممّا كتب. فهو يقول عن أول وصوله إلى مكّة:

«... وحالما وصلنا إلى مكّة المكرمة سار بنا الدليل في الشارع الكبير الذي يقع في وسطها، ويؤدّي إلى المسجد الحرام (يسميه المعبد)، وبعد أن أنخنا ذلولنا، كان أول ما أخذنا الدليل إليه البركة؛ لنقوم بعملية الوضوء، وعند ذلك جاء بنا إلى الحرم الشريف فخلعنا أحذيتنا، وتركناها عند الكيشوان، ثم دخلنا من باب السلام. وبعد أن سرنا خطوات معدودة، وقف بنا الدليل ورفع يده للدعاء، وأخذ

١- ١ صورة العرب في الصحافة البريطانية؛ م. س: ٣٢.

٢- ٢ صحيفة الحياة؛ م. س.

ص: ١٧٩

يرتل بعض الجمل الديني، فقلده الحجاج وكرروا ما كان يقوله. وما ان وقع نظر الحجاج على بيت الله الحرام (يقصد الكعبة) في الداخل حتى انهمرت الدموع في أعينهم بغزارة، وقادنا الدليل إليه في الوقت الذي كنا ما نزال نكرر ما يقول من الأدعية والجمل الدينية. وقد أعقبنا ذلك بالطواف سبع مرّات من حوله، وبالصلاة ركعتين من بعد ذلك، وبعد الانتهاء من كل هذا أخذنا الدليل إلى الشارع من جديد حيث كان علينا أن نهرول أو نركض من مكان في الشارع إلى آخر (بين الصفا والمروة) فنقطع مسافة لا تزيد على رمية سهم. وإنى اعترف بأننى لم يكن بوسعى سوى أن أعجب بهؤلاء المساكين الذين يخلصون إلى آخر حد في تأدية مثل هذه (الخرافات)، وأقدّر شعورهم حينما ألاحظ مقدار ما ينتابهم من الرهبة والارتعاش. والحق أننى لم أتمالك نفسى من البكاء وإرسال الدموع حينما رأيت حماسهم المتناهية في العقيدة، برغم ما فيها من وثنية (كذا)، ومع كونهم يؤدونها على العمياء (١)....

أمّا فيما يتعلّق بالحجر الأسود، فلقد كانت لديه فكرة غريبة عنه، مع أنه يبدو وقد طاف حول الكعبة، إذ يقول: «هنالك في إحدى زوايا هذا البيت حجر أسود تُبّت في إطار من الفضة، وكلما اقترب أحد من الزاوية، عليه أن يقبل ذلك الحجر، ويقولون: إن هذا الحجر كان لونه أبيض سابقاً، ولكنه بسبب ذنوب وخطايا الحجاج، الذين يقبلونه تحوّل لونه إلى الأسود». ثم يقول: «إنه لم يعتقد بصحة ذلك التحذير الذى وُجّه إليه. وهو أن الإنسان ربما أصيب بالعمى إذا نظر حوله وهو فى البيت الحرام، وهو يقول: إن هذه القصة غير صحيحة، ثم قرر أن ينظر حوله، ولكنه لم يحدّق النظر كثيراً، بل كان يُلقى نظرة من آن لآخر (٢).

ويصف «بيتز» مكة فيقول: إنها بلدة تقع فى وادٍ غير ذى زرع، أو فى وسط عدّة جبال صغيرة. وهى غير عصيمة؛ لأنها ليس لها أسوار ولا أبواب... على أن البلدة محاطة لعدّة أميال بآلاف عدّة من التلال والجبال الصغيرة، التى تتقارب

١-١ موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س: ٢٥٦.

٢-٢ بيتر برينت: «بلاد العرب القاصية: رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب» ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة، بيروت/ دمشق، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، ص: ٧٨.

ص: ١٨٠

بعضها إلى بعض حد التقارب. وكلها أحجار صخرية ميّالة إلى السواد في لونها... وهناك فوق قمّة أحدها غار مشهور يسمى غار حراء، كان النبي محمّد يعتزل فيه فيستغرق في عبادته وتأمّلاته وصومه. وقد ذهبت إليه فلم أجد أن يد التجميل قد مسّته مطلقاً، فاعجبت جد الإعجاب بذلك (١).

ثم يقدّم لنا «بيتز» انطباعاته حول مكة، فيقول: إنه لم يجد فيها شيئاً مثيراً أو مبهجاً. ولم يعجبه سكان مكة أيضاً (٢) فهم فقراء ميالون إلى النحافة والهزال، وسمر في لونها (٣) ولكنه قضى وقتاً في وصفهم ووصف الحجاج، ثم استرعى انتباهه أولئك المتصوفون (الدراويش) الذين يعيشون حياة الزهد والتنزيك ويسافرون من أدنى البلاد إلى أقصاها كالرهبان المتسولين، وهم يعيشون على صدقات الآخرين، يلبس الواحد منهم قفطاناً أبيض طويلاً وقبعة طويلة بيضاء (مثل بعض فئات الرهبان المسيحيين) وعلى ظهر الواحد منهم جلد ضأن أو ماعز يرقد عليه، وفي يده يحمل عصا طويلة. وهناك كثير من الأتراك يتبعون مثل هذه الحياة (٤).

ويقول «بيتز» كذلك: إن مكة كان فيها ماء كثير، لكنها خالية من العشب والزرع إلّا في بعض الأماكن. على أنه وجد فيها عدّة أنواع من الفواكه ميسورة للناس مثل العنب والبطيخ والرقى والخيار والقرع وما أشبه. وهذه يؤتى بها في العادة من مكان يقع على مسيرة يومين أو ثلاثة، يسمى «حباش» (٥) ولعله يقصد بذلك الطائف.

ثم يذكر خلال وصفه للحج ومناسكه أن سلطان مكة (أى الشريف) الذى ينحدر من نسل النبي محمد صلى الله عليه وآله لا يعتقد بأن غيره جدير بتنظيف البيت وتطهيره، ولذلك يقوم هو شخصياً والاثنيون عنده من رجاله بغسله بماء زمزم المقدس، ثم بالماء المطيب المعطر. وحينما يقومون بهذه العملية ترفع السلالم التي تؤدى إلى بيت الله، ولذلك يحتشد الناس تحت الباب ليدفع ماء الغسيل عليهم حتى يتبللوا به

١-١ موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س: ٢٥٦-٢٥٧.

٢-٢ بلاد العرب القاصية؛ م. س.

٣-٣ موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س.

٤-٤ بلاد العرب القاصية؛ م. س.

ص: ١٨١

من الرأس إلى القدم. ثم تقطع المكانس التي يكنس بها البيت المقدس قطعاً صغيرة، وترمى عليهم فيتلافونها، ومن يفز بقطعة منها يحتفظ بها كأثر مقدس لديه (٢). ويتطرق بعد ذلك إلى ذكر الكسوة ووصفها كالمعتاد (١).

وأخيراً يصدر حكمه النهائي على تلك المدينة وعلى شعبها فيقول: «مع أن هذا البلد (مكة) يعتبر من الأماكن المقدسة، إلّا أنني لا أعتبره مقدساً لكثرة ما فيه من الفسق والانغماس في الملذات. أمّا بالنسبة للأخلاق فهو مساوٍ للقاهرة العظيمة، فهم من الممكن أن يسرقوا الحرم الشريف نفسه (٢).

وعلى هذا المنوال، ورغم تظاهره بالأمانة العلمية، فإنه يطلق تعميماته الواسعة، التي لا تخلو من الدس والعشوائية.

المدينة المنورة

وبعد أن غادر بيت مكة المكرمة، طفق يصف تكوين القافلة المتوجهة صوب المدينة المنورة، مع تركيز على بعض التفاصيل التي لا تخلو من تشويه، وبخاصة حينما يتحدث عن الأخطار التي واجهها الحجاج، بعد دخول الصحراء، وما يتعرضون له من قطاع الطرق البدو...

ثم يقول: «وبعد اليوم العاشر من هذه الرحلة اليسيرة من مكة ندخل إلى المدينة المنورة. ولكن هذه المدينة صغيرة وفقيرة، ومع ذلك فهي محاطة بسور، وفيها مسجد عظيم، ولكنه ليس عظيماً كمسجد مكة» (٣).

وعن سور المدينة المنورة ومسجدها يعتقد «بيتز» أن هذا السور قد بُني ما بين سنتي ١٥٠٣-١٦٨٠ م. وفي زاوية من زوايا المسجد بناء يشغل خمس عشرة خطوة مربعة، فيه شبابيك كبيرة مشبكة بالنحاس الأصفر. وفي داخله بعض المصابيح المعلقة والأعلاق النفيسة. وليس هناك ذلك العدد الكبير من المصابيح الذي كتب بعضهم يقول: إنها تبلغ ثلاثة آلاف في عددها. وفي وسط هذا المكان يوجد قبر محمد، وهنا يتجاوز على النبي الأعظم ويسميه (دعيّاً). ثم يصف

١-١ موسوعة العتبات المقدسة: م. س.

٢-٢ بلاد العرب القاصية؛ م. س: ٧٩.

٣-٣ المرجع نفسه: ٨٠.

ص: ١٨٢

الستائر، ويشير إلى ما كان يتردد في هذا الشأن من الخرافة، التي تقول: إن الجذث الطاهر يشاهد وهو في تابوته معلقاً بين السقف والأرض. ويشير إلى البقعة المعدّة للمسيح عيسى بن مريم، ثم يقول: إن المدينة تزوّد بجميع ما تحتاجه من الحبشة الكائنة في الجهة المقابلة من البحر الأحمر (١).

بقي أن نعلم، أن «جوزيف بيتز» قد اعتقه سيّده الجزائري وأخلى سبيله، وبذا وفي بوعده وأطلق سراحه، عند نهاية زيارتهما لمكة المكرمة (٢) لكنه بقي يعيش مع سيّده ويخدمه لقاء اجور حتى عاد إلى الجزائر. الهروب... والعودة

أمضى «بيتز» بعض الوقت في الجزائر، وعند ذاك أخذ يفكر في الهرب والعودة إلى بلاده الأصلية. فاستطاع التسلل إلى سفينة من السفن المتوجهة إلى استانبول، بعد أن أخذ معه كتاب توصية من المستر «بيكر» القنصل الانكليزي في الجزائر يومذاك إلى قنصل انكلترا في أزمير المستر «رى». ومع أن الحنين إلى الجزائر قد عاوده في أزمير، وصار يفكر في العودة واستئناف الحياة فيها كرجل مسلم، فقد استقلّ باخرة فرنسية متوجهة إلى ليغهورن في إيطاليا، بعد أن دفع ثمن التذكرة عنه تاجر انكليزي كان يقيم في أزمير يدعى المستر «أيليو». وممّا يدلّ على مقدار تعصّب «بيتز» للمسيحية واحتفاظه بعقيدته فيها، رغم جميع ما أصابه

١-١ من تقلبات وذكره العياشي في تفسيره ١: ١٨٧.

٢-٢ تفسير القمي ٢: ٨٣، بلا إسناد إلى حجة معصوم، وسبقه الأزرقى ت ٢٤٤ هـ في أخبار مكة ٢: ٣٠ عن أبي سعيد الخدري عن عبد الله بن سلام، والفاكهي ت ٢٧٢ هـ ١: ٤٤٨ عن مجاهد عن ابن عباس: أن حجر المقام لما صعد عليه إبراهيم عليه السلام للأذان بالحج تناول حتى كان كأطول جبل من الجبال، فنادى: يا أيها الناس أجيئوا ربكم. ورواه عبد الرزاق الصنعاني ت ٢١١ هـ في المصنّف ٥: ٩٧، والمحَبّ الطبري ت ٦٩٤ هـ في القرى لقاصد أم القرى: ٦٠، وابن حجر ت ٨٥٢ هـ في فتح الباري ٦: ٦٠٤ بحديث عثمان قال: لما فرغ إبراهيم من بناء الكعبة جاء جبرئيل فأراه المناسك كلها فقام إبراهيم على المقام فقال: يا أيها الناس أجيئوا ربكم. ورواه السيوطي في الدر المنثور ١: ١١٩ بل وجلّ المفسرين للآية ٢٧ من سورة الحج: «وأذن في الناس بالحج». فيما روى البخاري في صحيحه ٦: ٣٩٨ عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله قال: جعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وإسماعيل يناوله الحجر. وروى الأزرقى في أخبار مكة ٢: ٣٢ عن ابن عباس أيضاً قال: فلما ارتفع البنيان وشق على الشيخ تناوله قرب له إسماعيل هذا الحجر فكان يقوم عليه ويبني ويحوّله في نواحي البيت حتى انتهى إلى وجه البيت... فذلك مقام إبراهيم. وروى هاتين الروايتين عن ابن عباس سائد بكداش في كتابه في فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم: ٩٤، ٩٥، وفي ٩٦ و ٩٩ قال: ولا مانع من تكرار صعوده على المقام للبناء وللنداء. وقد مرّ خبر القمي: أن الصعود على المقام كان للنداء لا للبناء، وأنه ارتفع حتى كان أطول من الجبال كذلك للنداء، لا للبناء كما اشتهر عند مؤرخي مكة المتأخرين: أن المقام تناول وعلا في السماء للبناء، وأقدم من ذكره أبو حيان التوحيدى ت ٧٤٥ هـ في تفسيره البحر المحيط ٣: ٧ كما في كتاب سائد بكداش: ٩٧.

ص: ١٨٣

ومارسه من تجارب، ولكن هذه القصص لم تصبح جزءاً من التراث الشعبي في الغرب بالنسبة إلى بلاد العرب، وقد نسيها معظم الخبراء (١) فقد أصبحت معرفه أحوال تلك البلاد متوافرة، وطغت على تلك القصص، ومع ذلك فلا شك في أن صراحة تلك المعلومات ساعدت على تفهم الشعب البريطاني والغرب لتلك الشؤون العريضة، التي كانت تتسم بها تلك البلاد في تلك الأيام. فالمدن والقفار التي وصفها لم يكن من السهل للرحالة الأوروبي العادي الوصول إليها. إذ كانت تلك المناطق أماكن مغلقة بالنسبة للغرب بسبب (التعصّب) الديني - على حد زعم الكاتب الغربي بيتر برينت - وسلطة الامبراطورية العثمانية، ولهذا نرى أن قصة «جوزيف بيتز» البسيطة الصريحة يجب أن تكون قد ظهرت ولمعت بضوء سحري لا يقل روعه عن قصص مانديفيل Mandeville الخرافية عن البلدان التي تحكمها الوحوش.

ما تجدر الإشارة إليه أن الرحالة البريطاني «رتشارد بورتون» قد أعاد نشر مذكرات بيتز هذا ضمن ملاحق رحلته المشهورة: «الحج إلى المدينة ومكة» (١٨٥٥ - ١٨٥٦) (٢).

وتكمن أهميته رحلة بيتز في أنها أول محاولة قام بها انكليزي، تتضمن وصفاً مفصلاً عن مدينة مكة المكرمة وموسم الحج، وعلى وصف أيضاً لمدينة الجزائر وضواحيها ولمدنتي الاسكندرية والقاهرة. هل كانت هناك مهمة سرية؟

ومهما قيل حول الرحلة من إطاء، وخاصة في الغرب وفي الأجواء المتأثرة به (٣)، فإن ذلك لا يقلل من أهمية علامات الاستفهام المثارة حول الكثير مما ورد في الرحلة، من معلومات أو انطباعات. فإضافة إلى ما تقدّم من تحفظات، وردت في ثنايا الحديث، لا نعدم من يشكك في صحة بعض المعلومات التي ذكرها «بيتز»، إن لم يكذبها، وهذا الباحث البريطاني «بيتز برينت» يؤكد أن بعضاً من كلام

١- ١ ورغم ذلك، فإن الكتب القديمة ما تزال تثير اهتمام هواة الجمع، وقد بيع كتاب جوزيف بيتز، في لندن عام ١٩٩٣، بمبلغ وصل ٢٢٥٠ جنيه استرلينياً، في حين قُدِّر ثمنه بين ٣٠٠ - ٤٠٠ جنيه استرليني، وقد تنافست على شراء طبعته الأولى ١٧٠٤ م ثلاث مؤسسات تتعامل بالكتب القديمة، وبعد مزادات عدّة حصلت مؤسسة «فوليو» على الكتاب.

٢- ٢ قام بورتون برحلته عام ١٨٥٣ م، وعند عودته نشر كتاباً تحت هذا العنوان: hacceM anidaM IA ot egamirgliP E. drahciR notraB

٣- ٣ للأسف، نجد أن الكثير يأخذ كلام المستشرقين والرحالة حول الشرق أخذ المسلمات، دون وعي لما ينطوي عليه كلامهم من دس وافتراء تارة وتشويه مقصود أحياناً أخرى.

ص: ١٨٤

«بيتز» هو «قول مبنى على الرغبة لا على الحقيقة، إن لم يكن كاذباً زائفاً رياتياً» (١).

وعلى طريقة: «شهد شاهد من أهلها»، فإن انطباعاً سلبياً يقفز لدى كل منصف يبتغي الحقيقة والموضوعية، حينما يطالع عنوان كتاب بيتز: «وصف أمين لديانه وأخلاق المحمديين». فالأمانة قد خانت هذا الأوروبي المسكون بهواجس العبودية والأسر، في الكثير من محطات الكتاب، ثم إن اطلاق اسم المحمديين على المسلمين هو في الواقع تسمية خاطئة وتشبيه خاطئ بالمسيحيين والمسيحية. إن النبي محمداً صلى الله عليه وآله لم يزعم لنفسه الألوهية بل ولا حتى موهبة العلم بالغيب أو صنع المعجزات. على العكس فقد جزم طيلة حياته وباطراد أنه إنسان فان. لذا فإن اسم الدين بالنسبة لمعتنقيه هو الإسلام لا المحمدية، والمؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وآله لا يسمي نفسه محمدياً بل مسلماً (٢).

وفي هذا السياق، فإن من الواضح -والفاضح معاً- انتماء آراء بيتز إلى عالم التحيز، الذي كان سائداً، وما يزال، في الوسط الغربي حيال الشرق، والمشرق الاسلامي بالذات، وعلى حد قول ادوارد سعيد؛ كان كل رحالة أو مقيم أوروبي في الشرق، وما يزال، مضطراً إلى أن يحمي نفسه من تأثيرات الشرق المقلقة (٣).

وهذا ما يدعوننا إلى طرح تساؤل خطير: هل كان الكتاب من وحي أفكار بيتز الخاصة؟ وتتأتى أهمية هذا التساؤل حينما نعلم أن «بيتز» عاش في أسر العبودية منذ كان عمره ١٥ سنة، فكيف تسنى له تثقيف نفسه واعدادها، خاصة وأنه عانى حقبة مريرة من المعاناة والاضطهاد من سيده الأول الذي اتسم بالفظاظة والعريضة، كما يعترف «بيتز» نفسه...؟!

وبعبارة أخرى؛ لو تلقى «بيتز»، كغيره من معظم الرحالة الذين جابوا المشرق الاسلامي، الحد الأدنى من أسلحة المعرفة المطلوبة لكل ذي مهمة خطيرة، كاختراق الديار المقدسة في الحجاز، لكانت محاولته أمراً طبيعياً وغير

١-١ بلاد العرب القاصية؛ م. س.

٢-٢ صورة العرب في الصحافة البريطانية؛ م. س: ٤٧ هامش ١٠٧.

٣-٣ الاستشراق؛ م. س: ١٨٢.

ص: ١٨٥

ملفت للانتباه، باعتبارها تأتي ضمن سياقاتها الموضوعية، أما أن يُقدم شاب لم يتلقَ أيَّ نصيب في مدارج المعرفة، وكلّ مالديه من زاد أنه كان مولعاً بالمغامرة والأسفار فقط، فكيف أقدم على تسجيل وقائع تجربته، حتى إنه «لم ينسَ أي شيء، في تلك الظروف التي أحاطت به، فهو يتذكر الحجوم والأطوال والأرقام وعدد الأبواب والبوابات ويلاحظ الدوامات والجريان أثناء الطواف حول الكعبة» كما يقول «برينت»؟ (١).

إن قراءة واعية لما بين السطور المتقدمة تقودنا إلى التوجّس من هذا الاهتمام الدقيق الذي أبداه «بيتر»، ممّا يشير إلى أن هناك احتمالاً كبيراً وراجحاً بوجود مهمة مكلف بها من جهة معينة، تحرص على سبر غور الديار المقدّسة التي كانت مغلقة بوجه دوائر الغرب. ولا يطول بنا المقام، لكي نوجه أصابع الاتهام صوب القنصل البريطاني في الجزائر «بيكر» الذي ساهم في عملية تهريبه إلى أوروبا عبر أزمير. وهذا التكليف لم يكن مستغرباً أبداً، وهناك عشرات الأدلّة على شواهد مماثلة.

وما يعزّز هذا التشكيك أن «بيتر» نفسه قد أشار في مقدمته رحلته إلى ملاحظة، وكأنه يدفع تهمة عنه إذ يقول: «قد يظهر للبعض أنني وقح في وضع هذا الكتاب الصغير.. وأنا لا أدعي أن لدى القدرات المطلوبة من شخص لكتابة تاريخ كهذا»، ولكنه يضيف قائلاً: إنه «يملك أفضل المؤهلات فيما يتعلّق بالحقيقة» (٢).

ولسنا ندرى ما هي تلك المؤهلات التي كان يتمتع بها «بيتر»، اللهم إلا أنه ظلّ وفيّاً حتى آخر لحظة إلى نصرانيته وبريطانيته، وربما يشير، من طرف خفي، إلى مهمته الموكولة إليه، ولم يكن بيتر بدعاً في هذا الأمر بل هو الدفعة الثابتة التي طبعت جلّ الجهود الغربية، إن لم يكن كلها قاطبة، في هذا الاتجاه. بما فيها حركة الاستشراق التي تباغت رداً طويلاً من الزمن بالعلميّة المجردة والمنهجية العارية.

وهذا ما دعا ادوارد سعيد إلى توجيه الاتهام القوي إلى الاستشراق، ولم يكتف

١-١ بلاد العرب القاصية؛ م. س: ٧٩.

٢-٢ صحيفة الحياة؛ م. س.

ص: ١٨٦

بالتأكيد على وصف المستشرق بأنه وكيل لحكومته ليس واضح الدلالة فحسب، بل هو مذهل كذلك: «يمكن اعتبار المستشرق كوكيل خاص لدولة غربيته عند محاولتها تطبيق سياسته معيّنه حيال المشرق. إن أي رحالة أوروبي متعلم (أوليس كذلك تماماً) يتجول في المشرق يشعر بأنه رجل غربي نموذجي قد سبر غور ما هو غامض من الأمور» (١).

على أنه لا يمكن فهم دور بيتز وأضرابه فهماً واضحاً من دون فهم خلفيته المرحلة أو طبيعته الظرف التي كان يتحرك فيها أو اللاحقة لها، ومع أن هذا خارج نطاق البحث، إلا أن الإشارة السريعة إليه أمر ذو أهمية، خاصة فيما يتعلق بقضية التوغّل الغربي في ديار المشرق الإسلامي، وداخل شبه الجزيرة العربية تحديداً.

ما بعد بيتز

بعد «بيتز» قامت عدّة بعثات بالتوغّل داخل شبه الجزيرة العربية، وجميعها انحصرت تقريباً في الجنوب الغربي، وأشهرها بعثة الرجلين الفرنسيين «وي لاجر بلودير» و «باربير». ولكن بعد مغادرتهما المنطقة أتت فترة يمكننا أن نسميها نهاية تلك الفترة الطوعية للاستكشافات في شبه الجزيرة العربية. وباستثناء «فارتيم»... لم يُعرف عن ذهاب أي شخص إلى بلاد العرب رغبتاً في معرفة شيء عن تلك المنطقة، أو ذلك الشعب، فقد كانوا يأتون بالقوة كعبيد أو عن طريق الدبلوماسية أو التجارة. ولم يحدث أن اهتموا بما حولهم وكتبوا شيئاً عمّا رأوه، ذلك لأن اهتماماتهم العامة بما حولهم لم تكن إلا عملاً إضافياً يزيد على نواياهم الخاصة، فلم يكن سفرهم إلى تلك البلاد لتحليل المجتمع الذي يسكنها، ولكن بعد ذلك حدث التغيير، ابتداءً من منتصف القرن الثامن عشر فصاعداً، وعلى الأقل حتى الحرب العالمية الأولى، أصبح جميع أولئك الذين كتبوا بشكل فعّال عن جزيرة العرب يفعلون ذلك لإعطاء وصف لها، لأن هذا الوصف من عملهم الخاص (٢).

وعليه، فإننا نستطيع القول أن حقبة كل من «فارتيم» و «بيتز» كانت تمثل

١- ١ صورة العرب في الصحافة البريطانية؛ م. س: ٣٤ هامش ٦٠.

٢- ٢ بلاد العرب القاصية؛ م. س: ٨١.

ص: ١٨٧

مرحلة التوثب الاستعماري، لتلحقها بعد فترة وجيزة مرحلة التوسّع الاستعماري، التي حددها «برينت» ما بين منتصف القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الأولى.

والدليل على ذلك أن البعثات الغربيّة قد تقاطرت على المنطقة بشكل مكثّف ومثير للدهشة. وإلى هذا أشار المستر هوغارث، حينما لخص أسماء الأوروبيين الذين زاروا الأراضي المقدسة إذ قال: «إن قائمة الأوروبيين الذين زاروا مكّة هي قائمة طويلة في الحقيقة. فمنهم الايطاليون مثل: فارتينا و فيناتي، والألمان مثل:

فايلدوستيزن وفون مالتزان، والانكليز مثل: بيتز وبورتون وكين، والسويسريون مثل: بوخارت، والأسبان مثل: باديا، والسويد مثل والين، والهولنديون مثل هورغونيه، والفرنسيون مثل كوتر نلمونت.

وإلى جانب هؤلاء، هناك عدد من المحاربين والمغامرين، وقد سمع الرحالة نيبور بجراح فرنسي تمكن من الدخول إلى الأراضي المقدسة، وبرجلين انكليزيين أيضاً. وطرق سمع الرحالة «دوتي» أن عدداً من الإفرنج دخلوا إليها كذلك، وصادف هو بالذات رجلاً ايطالياً يسمّى نفسه فراارى كان في طريقه إلى مكّة المكرّمة مع قافلة الحج الإيرانية. ووجد جوزيف بيتز رجلاً إيرلندياً في المدينة، كما يقول الرحالة مالتزان أن ليون روش القنصل الفرنسي في تونس حجّ إلى مكّة وزار المدينة، وكذلك فعل رجل من البحارة الانكليز. هذا فضلاً عن عدد من الأوروبيين المشاركة مثل اليونان» (١).

ولا ريب في أن هذه القائمة للنماذج المعروفة، وما خفي أعظم، لم يكن همّ أصحابها الاستجمام أو المغامرة، بل هناك مهمّات خطيرة قد أوكلت إليهم، في ظلّ تنافس محموم كانت تتسابق إليه دوائر الغرب بحثاً عن موطئ قدم في هذا الشرق، الذي أريد له أن يزرع تحت السيطرة الاستعماريّة.

وعلى هذا الأساس، فإن الرحالة الذي رأيناه خلال القرنين السادس عشر

ص: ١٨٨

والسابع عشر، قد اختلف وحلّ محله المستكشف الذي مهما بلغ به حبّ المغامرة والجرأة، إلّا أنه يرى ويعدّ وصف تلك البلاد جزءاً من مهمته الأصلية، وذلك بأن يكتب وصفاً دقيقاً لما رآه ومارسه، وما قاساه أحياناً في تلك البلاد (١).

ونستطيع أن نقول بايجاز: إنه في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، كانت قد توفرت لدى الغربيين المعلومات الأساسية عن شبه جزيرة العرب: عن المدينتين المقدستين، واليمن، والبدو.

كما أن من الواضح أن «دي فارتيم» وحده كان، حتى هذا التاريخ، هو الرائد، أما الآخرون فلم يكونوا سوى رواد مصادفة. ومنذ القرن الثامن عشر بدأ في تاريخ الريادة إلى شبه جزيرة العرب ما يمكن أن يسمّى بالريادة الحقيقية، بكلّ ما في الكلمة من معنى، ورواد هذه الفترة أهدافهم متعددة متباينة، فبعضهم أغراضهم سياسية، وبعضهم الآخر هم من عشاق المغامرات (٢) بيد أن صراع الإيرادات الذي احتدم في الشرق بشكل عنيف، منذ أو أن وطأت سنابك خيوك نابليون باحات الأزهر، قد وظّف جميع تلك الأغراض في بوتقة واحدة؛ لاخترق الشرق وتدجينه... واستلابه.

الهوامش:

من الآيات البينات: مقام إبراهيم عليه السلام

١-١ بلاد العرب القاصية: ٨١.

٢-٢ مراجعات حول العروبة والإسلام واوروپا؛ م. س: ١٢٠.

ص: ١٩١

من الآيات البينات: مقام إبراهيم عليه السلام

محمد هادي اليوسفي الغروي

وصف المقام

«لقد وجدنا حجر مقام إبراهيم الخليل عليه السلام مُثبتاً فوق قاعدة صغيرة من الرخام المرمر، بقدر قياس نفس المقام الشريف طولاً وعرضاً، وأما ارتفاعها فثلاثة عشر سنتيمتراً. وأما مقام إبراهيم عليه السلام: فهو حجر لونه ما بين الحمرة إلى الصفرة بل أقرب إلى البياض، يشبه المكعب، ارتفاعه عشرون سنتيمتراً، وطول كل ضلع من أضلاعه الثلاثة من جهة سطحه ستة وثلاثون سنتيمتراً بزيادة سنتيمين في الضلع الرابع، فمحيطه ١٤٦ سنتيمتراً.. وهو ملبَس بفضة خالصة لا يظهر منه إلّا معالم وهيئة القدمين، واضحة بينة لم تتغير ولم تبدل: طول كلّ واحدة من القدمين ٢٧ سم، وعرضهما ١٤ سم من أعلى. وعمق إحداهما ١٠ سم والثانية ٩ سم. وطولهما في عمقهما ٢٢ سم وعرضهما ١١ سم. وبينهما فاصل نحو ١ سم. وأما موضع العقين فلا يتضح إلّا لمن تأمل ودقق النظر. وأما أثر أصابع القدمين فقد انمحي من مسح الناس له بأيديهم في طول الزمن» (١) أما اليوم فهو في مقصورة

١-١ مقام إبراهيم للشيخ محمد طاهر الكردي المكي: ١١٢-١١٤ ومشاهدته في سنة ١٣٦٧ هـ.

ص: ١٩٢

زجاجية عليها قبة صغيرة كرؤوس المناثر.

وقد جاء البياض فيه فيما رواه العياشي السمرقندي في تفسيره عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ثلاثة أحجار نزلت من الجنة: حجر بنى إسرائيل، ومقام إبراهيم عليه السلام والحجر الأسود، وكان أشد بياضاً من القراطيس فاسودّ من خطايا بنى آدم (١). مع ما رواه الصدوق في «علل الشرائع» بسنده عن ابن أبي يعفور قال: إن الصادق عليه السلام ذكر الحجر فقال: لقد كان أشد بياضاً من اللين: ثم قال: أما إن المقام كان بتلك المنزلة (٢).

ووردت الحمرة فيه فيما رواه القطب الراوندى في «قصص الأنبياء»: أن آدم عليه السلام لما امر ببناء البيت ناداه جبل أبي قبيس: يا آدم؛ إن لك عندى وديعة، فدفع إليه الحجر والمقام، وهما يومئذ ياقوتتان حمراوان (٣).

وخبر الصدوق معتبر موثوق مسند مؤيد بخبر العياشي، ولا تعارضهما مرفوعة القطب الراوندى، ولا مرفوعة الصدوق فيه عن وهب بن متبه اليماني (عن ابن عباس) أنه ذكر الركن (الحجر الأسود) والمقام فقال: إنهما ياقوتتان من ياقوت الجنة، انزلا فوضعا على الصفا فأضاء نورهما لأهل الأرض ما بين المشرق والمغرب (٤).

ولا مرفوعة الطبرسي في «مجمع البيان» عن عبد الله بن عمرو (ابن العاص) عنه صلى الله عليه وآله قال: الركن (الحجر الأسود) والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب (٥) وهي بعكس السابقة في الاشراق.

كيف وُصف بأنه آية بيّنة؟

إذا كان حجر المقام من حجر الجنة فهو آية بالمعنى العام، من دون أن يكون آية خاصة ولا سيما أن يكون آية بيّنة، وإتّما ذلك لما رواه الكليني في «فروع الكافي» عن علي بن إبراهيم القمي بإسناده عن ابن سنان قال:

١- ١ تفسير العياشي ١: ٥٩ ح ٩٢.

٢- ٢ علل الشرائع ٢: ١٣٣ ط. دار الحجّة.

٣- ٣ قصص الأنبياء: ٤٩.

٤- ٤ علل الشرائع ٢: ١٣٢ ومن قبل في أخبار مكة للأزرقي ١: ٢٢٦ وكذلك للفاكهي ١: ٩٤.

٥- ٥ مجمع البيان ١: ٣٨٤، ولم يروه البخارى ولا مسلم وإن رواه على شرطه البيهقي في سننه ٥: ٧٥، والترمذى ٣: ٢٢٦، وعبدالرزاق في مصنفه ٥: ٣٩، والأزرقي ٢: ٢٩، والفاكهي ١: ٤٤٠، وابن حبان في صحيحه ٩: ٢٤، وابن خزيمة في صحيحه ٤: ٢١٩.

ص: ١٩٣

سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ما هذه الآيات؟

قال عليه السلام: مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه، والحجر الأسود، ومنزل إسماعيل (١).
وخلا تفسير الآية في «تفسير القمي» من هذا الخبر.

وفى تفسيره لقوله سبحانه في سورة الحج: وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق قال: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج، فقال: يا رب، وما يبلغ صوتي؟! فقال الله:

أذن، عليك الأذان وعلى البلاغ! فارتفع على هذه الصخرة وكانت يومئذ ملصقة بالبيت، فارتفعت حتى كانت أطول من الجبال، فأدخل اصبعيه في اذنيه، وأقبل ينادى ويقول ويحول وجهه شرقاً وغرباً:

- أيها الناس: كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيئوا ربكم!

فأجابوه من تحت البحور السبعة ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلها، ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبيك اللهم لبيك.

فمن حج من يومئذ إلى يوم القيامة فهم ممن استجاب الله ... يعني نداء إبراهيم على المقام بالحج (٢).

ورواه الصدوق في «علل الشرائع» بإسناده عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: لما أوحى الله إلى إبراهيم

عليه السلام: أن أذن في الناس بالحج أخذ الحجر ... فوضعه بحذاء البيت لاصقاً به بحيال الموضع الذي هو فيه اليوم، ثم قام عليه

فنادى بأعلى صوته بما أمره الله تعالى به. فلما تكلم بالكلام لم يحتمله الحجر فغرقت رجلاه فيه، فقلع إبراهيم عليه السلام رجليه من

الحجر قلعاً (٣).

١-١ فروع الكافي ١: ٢٢٧، ولم يذكر الخبر في تفسير القمي للآية، وذكره العياشي في تفسيره ١: ١٨٧.

٢-٢ فروع الكافي ١: ٢٢٧، ولم يذكر الخبر في تفسير القمي للآية، وذكره العياشي في تفسيره ١: ١٨٧.

٣-٣ فروع الكافي ١: ٢٢٧، ولم يذكر الخبر في تفسير القمي للآية، وذكره العياشي في تفسيره ١: ١٨٧.

ص: ١٩٤

خبر آخر في أثر المقام:

رواه القطب الراوندى عن الصدوق أيضاً بسنده عن عقبه عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن إبراهيم عليه السلام اشتاق إلى إسماعيل فأتاه وقد هلكت امه (هاجر) وأخذت عليه ساره أن لا ينزل حتى يرجع، فلم يوافق إسماعيل فقال لامرأته: أين زوجك؟ قالت: خرج للصيد عافاك الله. فقال لها: كيف أنتم؟ فقالت: صالحون. قال:

وكيف حالك؟ قالت: حسنة وبخير. ثم قالت له: انزل يرحمك الله حتى يأتى. فأبى، فلم تنزل به تريده على النزول ويأبى (ولعله عزفها بنفسه) فقالت له: أرى رأسك شعثاً فهل أجعل لك غسولاً؟ فجعلت له غسولاً ثم أدنت منه حجراً فوضع قدميه عليه فغسلت جانب رأسه، ثم انقلبت (إلى جانبه الآخر فرفع قدمه ووضع) قدمه الأخرى فغسلت الشق الآخر (ولم يأت إسماعيل) فقال لها: إذا جاء زوجك فقولى:

جاء شيخ هاهنا وهو يوصيك بعته بابك خيراً! ثم سلم عليها (وانصرف راجعاً وقد بقى أثر قدميه فى الحجر).

فلما أقبل إسماعيل وانتهى إلى الثنية وجد ريح أبيه! فقال لها: هل أتاك أحد؟

قالت: نعم، شيخ، وهذا أثر قدميه! فأكتب على مقام أبيه يقبله ... وفيه: إن إبراهيم كان يأتى من الحيرة إلى مكة كل يوم! وفى خبر آخر فيه عن عبدالرحمان بن الحججاج مثله وفى آخره: قلت: كيف كان ذلك؟! قال عليه السلام: طويت له الأرض (١). ولم نعرث عليهما فيما بأيدينا من كتب الصدوق ابن بابويه.

ورواه الطبرسى فى «مجمع البيان» مرفوعاً عن ابن عباس، ثم قال: وقد روى هذه القصة بعينها على بن إبراهيم القمى عن أبيه عن ابن أبى عمير عن أبان عن الصادق عليه السلام (٢) وكذلك لم نعرث عليه فى تفسير القمى ولا سائر أخباره، والقطب الراوندى (ت ٥٧٣ هـ) متعاقب للطبرسى (ت ٥٤٨ هـ) وإنما رواه القطب عن الصدوق بإسناده عن ابن أبى عمير عن أبان عن عقبه عن الصادق عليه السلام، فلعله كان عن القمى عن أبيه عن ابن أبى عمير، وعليه فالطريق واحد، فالخبر واحد. ومُقَاد

١-١ قصص الأنبياء: ١١١، ١١٢.

٢-٢ مجمع البيان ١: ٣٨٤، وهو ما حكاه الطوسى فى التبيان ١: ٤٥٣ عن السدى، والطبرى فى جامع البيان ١: ٥٣٧، ثم الفخر الرازى فى تفسيره ٤: ٥٣ ثم القرطبى فى تفسيره ٢: ١١٣، ثم ابن كثير فى تفسيره ١: ١٦٩، وذكر تضعيف سعيد بن جبير للخبر.

ص: ١٩٥

الخبر متأخر زماناً عن الأخبار السابقة، فإنها أفادت أن الأثر في الحجر كان عند نداء إبراهيم للحج ثم حج مع ابنه إسماعيل وقربه للذبح وهو غلام لم يتزوج بعد، وأمه هاجر موجودة، وفي هذا الخبر أن إبراهيم عليه السلام أتاه وقد هلكت أمه هاجر. فأثر قدمي إبراهيم عليه السلام في الحجر كان سابقاً قبل سفره هذا، وتأثير قدميه اليوم تحصيل للحاصل الباطل. وفي الخبر من الاستبعاد المضاعف - غير ما مر - أن إبراهيم عليه السلام كان يأتي كل يوم إلى مكة من الحيرة! ولا يشفع له الخبر الآخر عن عبدالرحمان بن الحجاج، فهو لا يرفع الاستبعاد عن أسفاره كل يوم بل إنما عن سفرة واحدة؛ فلا يقول: كانت تطوى له الأرض، بل: طويت له الأرض، تعقياً لقوله: إن إبراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور إسماعيل بمكة. ولو كانت أسفاره متكررة فلم لم تعرفه امرأة ابنه إلمانه شيخ، كما في الخبر؟! ثم إن لم تعرفه فكيف عرضت عليه أن تغسل رأسه وسوغ لها ذلك ولم يستنكره منها؟!!

والحيرة كل الحيرة في الحيرة في الخبر؟! إذ لم نعهد الحيرة إلفى العراق، ولم نعهد إبراهيم يومئذ إلفى الشام فأين الحيرة؟! فكل هذا الاستبعاد يبعدنا عن التصديق بهذا الخبر بإزاء الأخبار السابقة الموثوقة.

وهل تغتبر موضعه ومحلّه؟

روى الكليني في «فروع الكافي» والصدوق في «كتاب من لا يحضره الفقيه» بإسنادهما عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: موضع المقام الذي وضعه إبراهيم عليه السلام عند جدار البيت، فلم يزل هناك حتى حوّلته أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم. فلما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة رده إلى الموضع الذي وضعه فيه إبراهيم عليه السلام، فلم يزل هناك إلى أن ولي عمر بن الخطاب، فسأل الناس: من منكم يعرف المكان الذي كان فيه المقام؟! فقال رجل: أنا، قد كنت أخذت مقذاره بنسج (/ قيد من جلد) فهو عندي!

ص: ١٩٦

فقال: اتنتني به، فأتاه به، ففاسه ثم رده إلى ذلك المكان (١).

ومن قبل مرفى خبره فى «علل الشرائع» بإسناده عن سليمان بن خالد عن الصادق عليه السلام قال: أخذ إبراهيم عليه السلام الحجر فوضعه بحذاء البيت لاصقاً به بحيال الموضع الذى هو فيه اليوم. وفى آخره: فلما كثر الناس صاروا إلى الشر والبلاء ازدحموا عليه، فرأوا أن يضعوه فى هذا الموضع الذى هو فيه اليوم ليخلو المطاف لمن يطوف بالبيت.

فلما بعث الله عزوجل محمداً صلى الله عليه وآله (وفتح مكة) رده إلى الموضع الذى وضعه فيه إبراهيم عليه السلام، فما زال فيه حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وفى زمن أبى بكر وأول ولاية عمر، ثم قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام، فإيكم يعرف موضعه فى الجاهلية؟!

فقال له رجل: أنا أخذت قدره بقيد! فقال له عمر: والقدر عندك؟ قال: نعم، قال: فإنتى به، فأمر بالمقام فحُمل ورد إلى الموضع الذى هو فيه الساعة (٢).

وفى خبر آخر عنه عليه السلام قال: ما بين باب البيت إلى الركن العراقى هو الموضع الذى كان فيه مقام إبراهيم عليه السلام (٣). وروى ابن إدريس الحلى فى «كتاب السرائر الحاوى لتحرير الفتاوى» عن «كتاب مسائل داود الحضرمى» قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام عن أفضل موضع للصلاة بمكة؟ فقال: عند مقام إبراهيم الأول، فإنه مقام إبراهيم وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وآله (٤).

وروى السجستانى فى «مسند عائشة» بسند عن هشام بن عروة (عن خالته عائشة) قال: (قالت): كان رسول الله (بعد فتح مكة) يصلى إلى صقع البيت ليس بينه وبين البيت شىء، وأبوبكر، وعمر صدرأ من إمارته، ثم إن عمر رد الناس إلى المقام (٥). تاريخ النقل ومناسبتة:

وقال الإمام مالك فى «المدونة الكبرى»: كان المقام ملصقاً بالبيت فى عهد

١-١ فروع الكافى ٤: ٢٢٣ ح ٢، وكتاب من لا يحضره الفقيه ٢: ١٥٨ ح ١٢.

٢-٢ علل الشرائع ٢: ١٢٨.

٣-٣ بحار الأنوار ٩٩: ٢٣١.

٤-٤ كتاب السرائر.

٥-٥ مسند عائشة: ٨٢ ح ٧٣، وانظر أخبار مكة للأزرقي ٢: ٣٠، والفاكهى ١: ٤٤٢، والبيهقى فى السنن الكبرى ٥: ٧٥، وابن حجر فى فتح البارى ٨: ١٦٩.

ص: ١٩٧

النبي صلى الله عليه وآله وعهد أبي بكر، وبلغني أن عمر بن الخطاب لما ولي وحج ودخل مكة آخر المقام إلى موضعه الذي هو فيه اليوم (١).

وروى الفاكهي (ت ٢٧٢ هـ) في «أخبار مكة» بسند عن سعيد بن جبير قال:

إنما قام إبراهيم عليه السلام على المقام حين ارتفع البنيان وأراد أن يشرف على البناء (ثم) كان في وجه الكعبة، فلما كثر الناس خشى عمر بن الخطاب أن يطؤوه بأقدامهم فأخرجه إلى موضعه هذا الذي هو به اليوم حذاء موضعه الذي كان به (٢).
وروى ابن كثير في تفسيره عن إمام مكة عن سفيان بن عُيينة قال: كان المقام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله في سقع البيت (/ لصيقاً به) وبعد نزول قوله تعالى:

وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَبَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَوْلَهُ عَمْرٌ إِلَى مَكَانِهِ هَذَا (٣).

وروى ابن حجر في «فتح الباري» في حديث عثمان قال: كان إبراهيم عليه السلام يقوم على المقام بيني عليه ... وأخذه فجعله لاصقاً بالبيت (٤).

وروى عبدالرزاق في مصنفه عن مجاهد (عن ابن عباس) قال: أول من أّخر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب.

وروى فيه عن ابن جريج عن عطاء (عن ابن عباس) قال: أول من نقله عمر ابن الخطاب (٥).

ولم نخبرنا هذه الأخبار عن التاريخ الدقيق لنقل المقام، سوى ما فيها من أنه كان بعد صدر من إمارته أو أول ولاية عمر، ولم تذكر المناسبة.

وروى الأزرقى (ت ٢٤٤ هـ) عن التابعي ابن أبي مليكة قال: ذهب السيل به في خلافة عمر، فجعل في وجه الكعبة حتى قدم عمر فردّه؟ (٦) ورواه الفاكهي عن تابعي آخر هو عمرو بن دينار المكي (٧).

وروى الأزرقى عن حبيب بن أبي الأشرش قال: إن سيل أم نهشل احتمل المقام من مكانه ... فلما قدم عمر بن الخطاب سأل: من يعلم موضعه؟! فقال المطلب ابن أبي وداعة: أنا يا أمير المؤمنين، قد كنت ذرعتة وقدرته بمقاط (/ بحبل) من

١- ١ تحفة المحتاج لابن حجر ٤: ٩٢ عن المدونة الكبرى للإمام مالك.

٢- ٢ أخبار مكة للفاكهي ١: ٤٥٤.

٣- ٣ تفسير ابن كثير ١: ١٧٠.

٤- ٤ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٦: ٤٠٦.

٥- ٥ المصنف لعبدالرزاق ٥: ٤٨ ونقله ابن حجر في فتح الباري وصححه ٨: ١٦٩، وروى مثله البخاري في صحيحه والبيهقي في السنن بإسناد صحيح.

٦- ٦ أخبار مكة للأزرقى ٢: ٣٥.

٧- ٧ أخبار مكة للفاكهي ١: ٤٤٥.

ص: ١٩٨

الحجر إليه ومن الركن إليه ومن وجه الكعبة إليه. فقال عمر: ائت به فجاء به فوضعه في موضعه هذا (١). والخبر الأكثر تفصيلاً ما رواه الأزرقى بسنده إلى المطلّب بن الحارث السهمي من مسلمة الفتح قال: كانت تدخل السيول المسجد الحرام من باب بنى شيبه الكبير حتى كان يقال له باب السيول، فرّبما دفعت المقام عن موضعه ... حتى جاء سيل في خلافة عمر بن الخطاب ذهب بأمّ نهشل فسّمى بسيل أمّ نهشل بنت عبيدة ابن سعيد بن العاص فماتت، واحتمل المقام من موضعه ... فذهب به حتى وُجد بأسفل مكة، فأتى به فرُبط في وجه الكعبة بأستارها. وكتب في ذلك إلى عمر، فأقبل عمر فزعاً في شهر رمضان (١٧ أو ١٨ هـ على ما في شفاء الغرام (٢) أي في الخامسة من خلافته).

فدعا عمر بالناس فقال: أنشد الله عبداً عنده علم في هذا المقام؟

قال المطلّب: فقلت: أنا يا أمير المؤمنين عندي ذلك ... أخذت قدره من موضعه إلى الركن، ومن موضعه إلى باب الحجر، ومن موضعه إلى زمزم، بمقاط (/ جبل) وهو عندي في البيت!

فقال لي عمر: فاجلس عندي، وأرسل إليها، فأتى بها، فمدّها إلى موضعه هذا وسأل الناس فقالوا: نعم هذا موضعه، فأمر به فاحكم بناء رُبضه (/ أساسه) تحته وحوله، فهو في مكانه هذا إلى اليوم (٣).

هذا أكثر خبر تفصيلاً، ويؤرخ النقل بسيل أمّ نهشل، ويؤرخه الفاسي في «شفاء الغرام» بالسنة ١٧ أو ١٨ هـ أي في الخامسة من خلافة عمر، أي في أواخر الثلث الأول وأواخر الثلث الثاني من خلافته وليس أولها ولا صدرها.

وأنا أرى أفضل حلّ لهذا الإشكال مقال امام المكيين على عهده سفيان بن عيينة على ما نقله عنه ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم عن سفيان قال: وبعد تحويل عمر اياه من موضعه هذا ذهب به السيل، فردّه عمر إليه (٤) فهذا يوفّق بين

١-١ أخبار مكة للأزرقى ٢: ٣٥.

٢-٢ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي ١: ٢٠٩.

٣-٣ أخبار مكة للأزرقى ٢: ٣٣.

٤-٤ تفسير ابن كثير ١: ١٧٠، البقرة: ١٢٥.

ص: ١٩٩

الأمرين: بين أن يكون قد نقله في أول ولايته أو صدر إمارته وبين أن يكون رده بعد سيل أم نهشل في الخامسة من خلافته سنة ١٧ أو ١٨ كما في «شفاء الغرام».

ويؤيده ما ذكره عن الإمام مالك في «المدونة الكبرى» حيث قال: كان المقام ملصقاً بالبيت في عهد النبي صلى الله عليه وآله وعهد أبي بكر، وبلغني أن عمر بن الخطاب لما ولي وحج ودخل مكة أخر المقام إلى موضعه الذي هو فيه اليوم (١).
العلّة في تحويله من محلّه:

مرّ خير الصدوق في «علل الشرائع» عن الصادق عليه السلام بشأن المقام، وكان عنوانه: علّة تأثير قدمي إبراهيم عليه السلام في المقام، وعلّة تحويل المقام من مكانه إلى حيث هو الساعة. وجاء فيه في علّة تحويله من محلّه قوله عليه السلام: ثمّ قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام (٢) وهذا هو الخبر الوحيد مما بأيدينا في تعليل تحويل المقام من محلّه.

ومرّ في خبر الفاكهي في «أخبار مكة» عن سعيد بن جبير قال: فلما كثر الناس خشى عمر بن الخطاب أن يطؤوه بأقدامهم فأخرجه إلى موضعه هذا الذي هو به اليوم (٣).

ذكر هذا الخبر سائد بكداش في كتابه في فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام، وقال: ومن هذا الأثر عن ابن جبير أخذ ابن كثير ومن تابعه (ابن حجر) علّة تأخير عمر للمقام (٤).

وقال: قال ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) في بيان وجه تأخير عمر للمقام:

«وقد كان المقام ملتصقاً بجدار البيت حتى أخره عمر بن الخطاب في إمارته إلى ناحية الشرق؛ بحيث يتمكن الطّواف منه ولا يشوشون على المصلّين عنده بعد الطّواف، فإن الله قد أمرنا بالصلاة عنده» (٥).

قال: وقد تابع الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) في هذا الموضوع من «فتح الباري» تابع ابن كثير متابعه تامه، فذكر كلامه وأدلته، ولم يصرّح باسمه، وصاغ

١-١ تحفة المحتاج لابن حجر ٤: ٩٢ عن المدونة الكبرى.

٢-٢ علل الشرائع ٢: ١٢٨.

٣-٣ أخبار مكة للفاكهي ١: ٤٥٤.

٤-٤ فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام لسائد بكداش: ١١٧.

٥-٥ تفسير ابن كثير ١: ٣٨٤.

ص: ٢٠٠

علة تأخير عمر للمقام بما يلي:

قال: «وكان عمر رأى أن إبقاءه يلزمه التضييق على الطائفتين أو المصلين، فوضعه في مكان يرتفع به الحرج، وتهياً له ذلك ... ولم تنكر الصحابة فعل عمر» (١).

وعلق عليه يقول: وهذا يفيد أن موضع المقام الحالي هو اجتهاد من سيدنا عمر بسبب زحمة الطائفتين. ثم قال: وتعليل تأخير عمر للمقام بسبب زحمة الطائفتين بعيد، فقد حج مع النبي صلى الله عليه وآله أكثر من مئة ألف صحابي، وهو عدد ضخم يجعل المقام قائماً بين الطائفتين حتى ولو طاف منهم العشر أو أقل بكثير، ومع هذا لم يؤخر النبي المقام (٢).

ولعله لهذا لم يذكر سعيد بن جبير ما قاله ابن حجر: ان عمر رأى أن إبقاءه يستلزم التضييق على المصلين والطائفتين فرفع الحرج برفعه، بل قال: لما كثر الناس خشى عمر بن الخطاب أن يطووه بأقدامهم فأخرجه من موضعه إلى حيث هو اليوم. وما حكم استلام المقام؟

روى الأزرقى عن ابن عباس قال: لما نزل آدم عليه السلام نزل بين الركن والمقام، وفي تلك الليلة انزل إلى جانبه الركن والمقام، فلما أصبح ورآهما عرفهما فضمهما إليه (٣).

وفيه عنه قال: إن الركن الأسود والمقام جوهرتان من جواهر الجنة، ولولا ما مسيهما من أهل الشرك ما مسيهما ذو عاهة إلاشفاه الله (٤).

وفيه بسند صحيح قال: لو لا ما مسهما من خطايا بني آدم لأضاء ما بين المشرق والمغرب، وما مسهما من ذى عاهة ولا سقيم إلاشفى (٥).

ورواه عن أنس بن مالك الأنصاري أن مسح الناس لأثر قدمي إبراهيم عليه السلام في المقام كان جارياً على عهده بلا نكير ولا مانع ولا رادع: فقد نقل ابن حجر في «فتح الباري» عن «الموطأ» لابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن أنس قال: رأيت أصابع قدمي إبراهيم وأحمصيهما في المقام، غير أنه أذهب مسح الناس

١- ١ فتح الباري في شرح صحيح البخارى ٨: ١٦٩.

٢- ٢ فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم، سائد بكداش: ١١٩.

٣- ٣ أخبار مكة للأزرقى ١: ٣٢٥.

٤- ٤ أخبار مكة للأزرقى ١: ٣٢٢ و ٢: ٢٩ وهي مرفوعة.

٥- ٥ أخبار مكة للأزرقى ٢: ٢٩، والنووى في المجموع ٨: ٣٦، وقال: اسناده صحيح. ورواه البيهقى في السنن ٥: ٧٥.

ص: ٢٠١

بأيديهم (١).

نقل ذلك سائد بكداش في كتابه وقال: يظهر من أثر سيدنا أنس المتقدم عن «الموطأ» أن أثر الأصابع وأخمص القدمين كان ظاهراً لتأمله، لكن كاد أن ينمحي بسبب مسح الناس له (٢).

وكأن النكير على هذا المسح كان بعد ذلك على عهد التابعين: فقد روى الطبري في تفسيره «جامع البيان» في تفسير قوله سبحانه: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى عن قتادة قال: إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً مما تكلفته الأمم قبلها (١٩) ولقد ذكرنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحي (٣).

نقل هذا القول عن قتادة سائد بكداش في كتابه، وقد نقل قبله وبعده عن «مقام إبراهيم» للشيخ محمد طاهر الكردي المكي قال: مما هو جدير بالذكر والالتفات إليه: أن العرب في جاهليتها، مع عبادتهم الأحجار وبالأخص حجارة مكة والحرم، لم يسمع عنهم أن أحداً منهم عبد الحجر الأسود أو المقام، مع عظيم احترامهم لهما ومحافظتهم عليهما. ولقد تأملنا في سر ذلك وسببه فظهر لنا: أن ذلك كان من عصمة الله تعالى لهما، فإنهما لو عبدا من دون الله في الجاهلية ثم جاء الإسلام بتعظيمهما باستلام الركن الأسود والصلاة خلف المقام، لقال المنافقون وأعداء الإسلام: إن الإسلام أقر احترام بعض الأصنام! وإنه لم يخلص من شائبة الشرك، ولتمسك بعبادتهما من كان يعبدهما من قبل، فلهذا حفظ الله تعالى هذين الحجرين الكريمين من أيام إبراهيم عليه السلام إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله (٤).

فما هو وجه الشبه الذي أشار إليه قتادة بقوله: لقد تكلفت هذه الأمة شيئاً مما تكلفته الأمم قبلها؟! ما الذي تكلفته أية أمة قبل الإسلام مما يشبه استلام المقام؟! هذا وهو يقول: فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحي أثر عقب إبراهيم وأصابعه، ولم يذكر أي نكير عليه من غيره، فلا أقل من دلالة على عدم

١-١ فتح الباري ٨: ١٦٩.

٢-٢ فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم، سائد بكداش: ١٠١.

٣-٣ جامع البيان ١: ٥٣٧، وأراه نقله عن الأزرقى في أخبار مكة ٢: ٢٩ ونقله ابن حجر في فتح الباري ٨: ١٦٩ ولم ينكره.

٤-٤ مقام إبراهيم للكردي: ١٠٧، وعنه في سائد بكداش: ٥٣ و ١٣٢.

ص: ٢٠٢

المنع بدون قصد الورد، ولا نقول بالندب. وقد استمر الناس على هذا حتى هذه الأواخر، كما ذكر الشيخ طاهر الكردي المكي قال: لم نشاهد أثراً لأصابع القدمين مطلقاً فقد انمحي من مسح الناس له بأيديهم في طول الزمان (١). وهل يتيسر تغيير محله للعلّة؟

وأخيراً نشر السماوي إبراهيم مقالاً في مجلته بعنوان: هل المناسب نقل مقام إبراهيم عليه السلام من مكانه؟! قال فيه: دعت الضرورة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أن يبعد المقام عن مكانه بجوار الكعبة إلى مكانه الحالي، وهي: كثرة الناس من الطائفتين وخشيته من أن يطؤوه بأقدامهم. ثم قال: وهذه الضرورة متحققة في عصرنا بل هي اليوم أظهر منها في العهود السابقة، فهي داعية إلى اعادته إلى مكانه السابق للسبب ذاته، أو أنها داعية إلى إبعاده عن الكعبة بحذاء مكانه الحالي في صحن المطاف قرب المسعى.

وحيث إن في تقديمه إلى مكانه السابق قرب الكعبة خشية الزحام عنده فإبعاده أولى؛ إذ المترجح أن المقصود بالمقام هو الحجر لا المكان المعين، والحجر يمكن نقله إلى مكان يحقق المصلحة للعامّة، والتيسير على المسلمين ...

فمن المناسب أن يُعرض على كبار العلماء موضوع تحريك المقام من مكانه الحالي الذي يعرقل حركة سير الطائفتين في موسم العمرة والحج، إلى مكانه السابق في عهد النبي صلى الله عليه وآله وزمان خليفته أبي بكر، أو نقله إلى آخر صحن المطاف بحذاء مكانه الحالي.

هذا ما قاله واقترحه وعرضه ودعا إليه السماوي إبراهيم بشأن مكان مقام إبراهيم عليه السلام، من خلال مقال في المجلة.

وقد روى الكليني في «روضه الكافي» خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيها:

قد عملت الولاية قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لخلافه،

ص: ٢٠٣

ناقضين لعهدده، مغيرين لسنته. ولو حملت الناس على تركها وحوالتها إلى موضعها وإلى ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرّق عني جُندي حتى أبقى وحدي!

ثم قال كمثل: رأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ... إذا لتفرّقوا عني (١).

ويظهر من هذا الخبر أنه عليه السلام كان يرى ما عمله الوالى قبله فى ولايته من نقل المقام من مكانه بجوار البيت إلى حيث هو اليوم، عملاً خالف فيه رسول الله متعمداً خلافه ناقضاً لعهدده مغيراً لسنته! وإنما منعه عليه السلام أن يحوّل المقام مثلاً إلى موضعه الذى وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله كما كانت على عهدده، إنما منعه عن ذلك خشيته أن يتفرّق عنه جنده حتى يبقى وحده بلا ناصر ولا معين على أمر الدين، كما حكى الله تعالى عن لسان هارون اعتذاراً لأخيه موسى عليهما السلام بعد عودته من ميقات ربّه: ... إني خشيتُ أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى (٢).

وعليه، فلا مانع من تحويل المقام إلى موضعه الذى وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله كما كانت على عهدده، ويُعمل من الأمر باتخاذ مصلى على ما قال صلى الله عليه وآله: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» وكما قال تعالى: لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها (٣) و إلّا ما آتاها (٤).

الهوامش:

لقاء وحوار

١- ١ روضة الكافي: ٥١ ط. النجف الأشرف.

٢- ٢ طه: ٩٤.

٣- ٣ البقرة: ٢٨٦.

٤- ٤ الطلاق: ٧.

ص: ٢٠٧

لقاء وحوار

على هامش مؤتمر أهل البيت عليهم السلام المنعقد في طهران بتاريخ ٥ / شوال / ١٤١٨، أجرى محسن الأسدي عضو الهيئة العلمية لتحرير مجلة ميقات الحج لقاءات مع بعض ضيوف المؤتمر حول الحج وما يتعلّق به.

إدارة التحرير

سماحة السيد محمد باقر الحكيم

* كيف يمكننا التعرّف على نظرة أهل البيت عليهم السلام لفريضة الحج ولكيفية أدائها، وما هي وصاياهم في خصوص ذلك؟
يمكن أن نفهم بصورة إجمالية نظرة أهل البيت عليهم السلام إلى فريضة الحج وكيفية أدائها من خلال تصويرهم لطبيعة هذه الفريضة وأهدافها وأغراضها العامة، وذلك من خلال النقاط التالية:

الأولى: إن الحج هو عبارة عن وفادة على الله تعالى وقصد زيارة له من خلال زيارة بيته المحرم، وتلبية لنداء الله تعالى الذي أطلقه إبراهيم عليه السلام

ص: ٢٠٨

كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ولذا كان أول عمل يؤديه الحاج هو التلبية التي ينعقد بها إحرامه.

وبهذا يمكن أن نفهم الحج بأنه ركن من أركان تكامل الإنسان في مسيرته إلى الله تعالى وقصده إليه، ويتحقق ذلك كما ذكر أهل البيت عليهم السلام من خلال «استخراج الأموال وتعب الأبدان وحظرها عن الشهوات والملذات». وفي التذلل لله تعالى والتواضع لعباده وإذلال الجبايرة والطغاة، ومعرفة الإنسان لحاله وهويته عندما يخرج من كل مظاهر الدنيا وزينتها ويقف إلى صف سائر بني البشر على صعيد واحد.

الثانية: الطريق إلى الغفران والخروج من كل ما اقترف من الذنوب، والتوبة إلى الله تعالى والإنابة، حيث يرجع بعد الحج وقد غفرت له ذنوبه فأصبح كيوم ولدته أمه، فيكون أمامه استئناف العمل الجديد والبدء بصفحة جديدة من حياته يستفيد فيها من التجارب السابقة ومن الرؤية الواضحة ومن الإرادة والعزم الجديد.

فقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«حقّ الحج أن تعلم أنه وفادة إلى ربك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك وقضاء الفرض الذي أوجهه الله عليك». وقال الإمام الرضا عليه السلام: «علّة الحجّ الوفاة إلى الله تعالى وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقترف، وليكون تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل».

الثالثة: اختبار الإنسان في طاعته لله تعالى ووفائه بعهده وميثاقه، وقد وصف ذلك الإمام على عليه السلام هذا الجانب في خطبة له، حيث قال عليه السلام - على ما ورد -: «ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً، ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض... إلى آخر الوصف للبيت والظروف القاسية المحيطة به، وكذلك الحال الذي يكون عليه الحاج من التذلل ونزع الثياب والزينة... ابتلاءً

ص: ٢٠٩

عظيماً، وامتحاناً شديداً، واختباراً مبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله الله سبباً لرحمته، ووصله إلى جنته...».

الرابعة: ما يحققه الحج من منافع للناس كما ذكر القرآن الكريم ليشهدوا منافع لهم.

وقد ذكر أهل البيت عليهم السلام منافع عديدة للناس:

١- التعارف والتآلف والمحبة والمودة والمشاركة في الهموم والتصورات، فهو يمثل وحدتهم وقوتهم واصطفافهم أمام عدوهم، والنصرة لأوليائهم من المؤمنين والمسلمين، والبراءة من أعدائهم المشركين والمنافقين.

٢- ابتغاء الفضل من الله تعالى في تبادل التجارات والبيع والشراء، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك أيضاً في قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تنبغوا فضلاً من ربكم، حيث فسّر الفضل هنا بالرزق الذي يأتي عن طريق التجارة.

٣- المنافع التي يحصل عليها الفقراء والعمال وأهل المكاسب من خلال هذه العبادة، فالأضحى والنقل والكسب وغيرها من الأعمال والنشاطات الاقتصادية كلها منافع للناس.

فقد سأل هشام بن الحكم الإمام الصادق عليه السلام عن علّة الحج عليه السلام: - على ما روى عنه - «... وأمرهم ونهاهم ما يكون من أمر الطاعة في الدين ومصالحتهم من أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من المشرق والمغرب؛ ليتعارفوا وليربح كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولينتفع بذلك المكارى والجمال».

ولابد من الالتفات هنا إلى أن هذه المنافع إنما هي في حاشية الحج ولا يصح للحاج أن يكون قصده من الحج التجارة والتكسب، بل يجوز له ذلك عندما يقصد الله تعالى ويعمل بطاعته.

الخامسة: التعرف على آثار رسول الله صلى الله عليه وآله ومواطن ذكريات الإسلام الأولى من نزول الوحي ومشاهد الجهاد في سبيل الله، والأعمال العظيمة ومواقع الحوادث التي ذكرها القرآن الكريم وقارنت سيره الرسول صلى الله عليه وآله وتلاوته لآيات الله وإبلاغها، وتركته للأمة وتعليمهم

ص: ٢١٠

للكتاب والحكمة، لتكون دواعي التأسى والاقتداء به أعظم وأبلغ.

ولذلك جعل الإمام الصادق عليه السلام هذا الفرض من علل الحج «ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وتعرف أخباره ويذكر ولا ينسى».

ولا زال المسلمون يتطلعون إلى هذه الذكريات والمواقع عندما يقرأون القرآن، ويتحدثون بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وأعماله، ويفتشون عن غار حراء وثور ودار الأرقم ومواقع شجرة الرضوان وبدر وأحد والخندق، وأسطوانة التوبة ومسجد قبا ومحراب رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرها من المواضع.

ويشعر الإنسان بالحزن والأسى - بل المقت أحياناً - عندما يجد هذا الإهمال أو الإغفاء لهذه الآثار والمواقع تحت دعاوى واجتهادات خاصة، ونظرة ضيقه متحجرة ما أنزل الله بها من سلطان ولا دلّ عليها دليل أو برهان.

السادسة: التفقه في الدين والاستزادة من المعرفة من خلال نقل الأخبار والأحاديث، والاطلاع على العلم والأحكام الشرعية؛ حيث كان أصحاب الأئمة في عصورهم يبذلون جهوداً كبيرة في الحج من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من العلوم الدينية، وكذلك لا بدّ للمؤمنين من أن يبذلوا جهوداً كبيرة؛ للحصول على هذه العلوم من خلال لقاء العلماء والمجتهدين أهل المعرفة والثقافة الإسلامية الأصلية حيث تكون فرصة الحج فرصة ثمينة وغالية، لا سيما لأهل البلاد النائية أو التي يقل وجود العلماء أو يصعب الوصول إليهم فيها.

وقد طبق أهل البيت عليهم السلام آية النفر في أحد مصاديقها على الحج، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في بيان علل الحج قوله: «مع ما فيه من التفقه ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية، كما قال الله عزّ وجلّ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون وكما قال وليشهدوا منافع لهم» فجعل ذلك من المنافع أيضاً. وقد كان أهل بعض البلاد الإسلامية (مثل جزيرة جاوه) يعدّون الحاج إلى

ص: ٢١١

بيت الله عزوجل من أهل العلم بعد أدائه للحج لما يمثل الحج ولأهميته هذه الفريضة.

السابعة: لقاء الإمام وولاء الأمر الشرعيين أو نوابهم وتجديد العهد والميثاق معهم، والتعبير عن البيعة والولاء والارتباط بهم، وقد ورد الأمر بزيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة في البقيع باعتبار أن ذلك من كمال الحج وتمامه، كما أن لقاء الإمام والارتباط به وبالقيادة الدينية السياسية النائبة هو من تمام الحج وكمالها.

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام «تمام الحج لقاء الإمام».

وقد ورد عن الإمام على عليه السلام «أتموا برسول الله حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله فإن تركه جفاء، وبذلك أمرتم، وأتموا بالقبور التي ألزكم الله عزوجل حقا وزيارتها، واطلبوا الرزق عندها».

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً «إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم».

إن هذه النقاط التي تتحدث عن أهداف الحج توضح الطريق في أداء هذه الفريضة، والوصايا التي لا بد للإنسان أن يلتزم بها في هذا الأداء.

* إنشاء الأبنية السكنية وغيرها في منى وعرفة... أمر قد تكون له أهميته، فهل هناك مانع عنه من الناحية الشرعية؟ نأمل الحصول على توضيح من سماحتكم.

لا يوجد في الأساس مانع شرعي من إنشاء الأبنية في هذه الأماكن من المشاعر المقدسة (عرفات والمشعر الحرام ومنى) ولكن لا بد من أن يؤخذ بنظر الاعتبار في إنشاء هذه الأبنية الأمور التالية التي تكوّن الصورة النظرية حول هذا الموضوع وهو ما يشخصه ولي أمر المسلمين فيها:

الأول: أن لا يؤدي بناء هذه الأماكن إلى تعطيل طبيعة هذه الأماكن في كونها مشاعر أعدها الله تعالى لأداء فريضة الحج لكل المسلمين، أو إلى تغيير هويتها، أو عرقلة أداء المسلمين للواجبات المذكورة.

الثاني: أن يكون الهدف من هذه

ص: ٢١٢

الأبنية هو تحقيق الأمن والسلامة، وتسهيل أداء هذه الشعائر لعامة الحجاج فإن ذلك من أهم الواجبات، التي يتحمل مسؤوليتها ولاة أمرها والمسؤولون عن إدارتها.

الثالث: توفير الحد المعقول من الراحة والاستقرار للحجاج بحيث لا يتحول الحجّ - الذي بنى على شيء من النصب والتعب والمشقة والتذلل لله تعالى والتعارف بين المسلمين على صعيد واحد - إلى عمل يشبه الأعمال السياحية وأسفار الراحة والدعة والأنس. وبتعبير آخر أن لا يؤدي ذلك إلى تعطيل أهداف الحج وأغراضه الإسلامية المستنبطة من الكتاب الكريم والسنة الشريفة، التي أشرنا إليها؛ لأن الحجّ من الأركان التي بنى عليها الإسلام، وله أغراض واضحة لا بدّ من المحافظة عليها في جميع مراحل أعماله ومناسكه. * تتردد هذه الأيام دعوات عبر بعض المجالات حول تغيير مقام إبراهيم عليه السلام ونقله إما خارج المطاف منعاً للزحام وإما إصاقه حيث موضعه السابق عند جدار الكعبة، فما هو رأى سماحتكم في ذلك؟

هذا الموضوع من القضايا التي طرحت مرات عديدة للبحث والنظر، ومنها البحث الذي تناوله المؤتمر الإسلامي المنعقد بمكة سنة ١٣٨٥ للهجرة، وقد كنت مشاركاً في ذلك البحث، وكان الرأى السائد في المؤتمر حينذاك هو إبقاء مقام إبراهيم في مكانه، ورفع البناء الذي كان قد أقيم عليه تسهيلاً للطواف، ولا زلت أعتقد أن هذا هو الرأى الصحيح في معالجة هذا الموضوع؛ لأنه: أولاً: إن وجود المقام في وضعه الفعلى لا يولّد مشكلةً للطائفين تتجاوز المشاكل التي يواجهها الحاج عادةً في عمل الحج، الذي بُنى بالأساس على الكثير من المشقة والتعب إنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم، وهذا الادعاء هو الذى يتذرّع به القائلون بنقله.

ثانياً: إن نقل المقام إلى أى مكان فى

ص: ٢١٣

المسجد الحرام الأصلي سوف يكون سبباً للمشكلة ذاتها في أيام الحج وغيرها من مواسم الازدحام إن لم تكن المشكلة عندئذٍ أعظم، ما لم يتم نقله إلى خارج المطاف، وبذلك يكون إلغاءً لدور المقام الذي أكده القرآن الكريم بالصلاة عنده كجزءٍ من شعائر الحج. ثالثاً: إن التصرف بمثل هذه الأمور، التي كان لها هذا القدر من الثبات والأصالة في تاريخنا يفتح الباب واسعاً أمام الاجتهادات والوقوع في تجاوزات خطيرة لا يعلم مداها إلا الله تعالى.

رابعاً: إن هذا العمل يؤدي إلى وقوع الاختلاف بين المسلمين، وقد وضع الله تعالى الحج من أجل أن يكون تجسيداً ومظهراً لوحدة المسلمين وتعاونهم، وقد كان من نعم الله العظيمة على المسلمين أن كانت شعائر الحج ومناسكه ومواضعه مما اتفق المسلمون على أركانه وأعماله العامة؛ لوجود النصوص المشتركة المتفق بينهم عليها ومنها الرواية التي يرويها الإمام الباقر عن جابر بن عبد الله الأنصاري في حج رسول الله صلى الله عليه وآله والتي يرويها الفريقان.

خامساً: إن وجود هذا المقام في هذا المحل شيء تلقيناه بالضرورة من عهد الصحابة بلا شك فهو أمر شرعي لا شك فيه ولا شبهة، وما يذكر من حديث نقله إنما هو رواية لا ترقى إلى درجة الاطمئنان فضلاً عن القطع واليقين، فلا يصح الركون إليها في مثل هذه الأمور الخطيرة.

وإذا كان النقل قد وقع حقيقة فهذا يعني أنه أمر قد عرفه الصحابة من أيام رسول الله وأخذوا جوازه منه، وإلا لاختلّفوا فيه إذا كان لمجرد الاجتهاد كما نراه في الأمور الأخرى الاجتهادية التي حدثت بعد رسول الله، فلا يصح النقل الآن لمجرد الاجتهاد.

الدكتور أحمد عبدالمجيد حمود - استراليا

الدكتور عضو المجمع العالمي لأهل البيت وله مؤلفات عديدة منها:

- الإمام جعفر الصادق عليه السلام رجل العلم والسياسة.

- دراسة حول مشايخ الكليني في كتاب الكافي.

ص: ٢١٤

- موقع النساء في الإسلام - باللغة الانكليزية -.

- نأمل أن يصدر له قريباً كتاب «الطاعة والثورة في فكر الإمام الحسين السياسي».

* ما هي نسبة المسلمين بالنسبة إلى مجموع سكان بلادكم؟ وما هي المقاطعات التي يتواجدون فيها؟ وهل هناك مؤسسات أو

جمعيات تمثلهم وترعاهم وتحفظ لهم قيمهم وآدابهم؟

وما هي تلك الأنشطة التي تتحرك فيها مثل تلك المؤسسات أو الجمعيات؟

إن المسلمين في استراليا - لمن دواعي الفخر - جيدون في تنظيمهم وعملهم، وهم منتشرون في أرجاء القارة الإسترايية، لقد بنوا المساجد، حتى بلغ عدد المساجد في استراليا اليوم أكثر من مائة مسجد، وقد بدأوا في إنشاء المدارس، ويعدّ الدين الإسلامي ثاني أكبر دين في استراليا، والمسلمون محترمون في الدولة، ولهم علاقات جيدة في جميع ولايات استراليا، ويتحركون بحرية من خلال مؤسساتهم، وجمعياتهم ومراكزهم، وقيمون صلاة الجمعة، والأعياد، في مسجد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مدينه سيدني لإخواننا أهل السنة، فتضم صلاة الجمعة الآلاف من المصلين في مسجد الإمام. أمّا في صلاة العيدين فيبلغ عدد المصلين أكثر من ثلاثين ألف مصلٍ ومصليّة. وكذلك تقام صلاة الجمعة في مركز الزهراء الإسلامي في مسجد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وفي باقي المساجد في جميع القارة الإسترايية، وهم في حالة نمو وتطور، وظهر في مدينه سيدني حديثاً مركز أهل البيت الإسلامي الإستراي، ومركز الإمام الحسين عليه السلام. ويدرسون الإسلام في المدارس الحكوميه، ويعمل المسلمون الآن على شراء إذاعة لتبث ٢٤ ساعة الثقافة الإسلامية.

* كلنا يعرف أن للحج آثاراً تربويه ومعنويه، فلو تفضلتم علينا بذكر بعض هذه الآثار.

إن من أهم هذه الآثار التربويه والمعنويه أنك تعيش مع رحاب الله، وتذكرنا في يوم اللقاء مع الله، وتثبت في النفس روح الإيمان، وتدلنا على

ص: ٢١٥

طريق الله، وعلى آيات الله في خلقه على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، ويوضح لنا الحج قوة المسلمين من خلال اجتماعهم في هذا المكان، والمساواة بينهم، وتقوى عرى الإسلام.

* نحن نعرف أن للحج دوراً عظيماً في تقريب أبناء المذاهب الإسلامية بعضهم من بعض، وبالتالي له الدور العظيم أيضاً في وحدة المسلمين، فهلا تفضل الدكتور العزيز بالحديث عن ذلك الدور؟

إن الحج هو مؤتمر الله الأكبر في الأرض - أنا لا أفهم كيف يتفرق المسلمون وكلهم ينادون لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أنا لا أفهم كيف يتفرق المسلمون وهم جميعاً يصرخون، لبيك اللهم لبيك...

لقد أعلنها رسول الله صلى الله عليه وآله صرخة مدوية إلى يوم الدين: «من تعصب ليس مني» فهذا أخطر إنذار لكل من يفرق المسلمين، وأكبر عامل لتوحيد كلمة المسلمين - فعلى العلماء الأعلام والمفكرين الإسلاميين، وأعني بهؤلاء العلماء والمفكرين من كل مذهب، هؤلاء الذين سما بهم الفكر إلى أن يسبحوا في بحار العلم والمعرفة، وارتنقوا بهم القلم والفكر إلى السماء العلى عليهم أن يجعلوا من الحج أكبر مناسبة لهم لتوحيد كلمة المسلمين، والذي يخرج عن دائرة الوحدة فهو جاهل. فعلى أي أساس لا تتوحد المذاهب؟ ولماذا لا تتوحد؟

فهل الله دعا إلى الفرقة، أم إلى الوحدة؟ وهل دعا الله إلى رص الصفوف وجعلها كالبيان المرصوص أم إلى التجزئة؟! فعلى ماذا الاختلاف؟

وهل الله إلأواحد يجب الوحدة؟

* الذي أعتقده أن أصحاب المذاهب الإسلامية وتابعيها لهم كامل الحق والحرية في أداء مناسك الحج والزيارة على ضوء ما تراه مذاهبهم، وليس لمذهب أن يكره الآخرين على اتباع آرائه، فما هو رأيكم في ذلك؟

إذا كان الله عز وجل لم يكره أحداً على عبادته، فكيف يمكن لك أن تكرهني على ما لا أحب أو أكرهك على ما لا تحب. إن الحرية في المعتقد هي جزء من حرية الإنسان، ومناسك

ص: ٢١٦

الحج هي مناسك الله، ومناسك الحج مشرعة من الله. وهي مما أنعم الله علينا. فالمناسك واحدة، والنعمة من الله لكل المسلمين واحدة فعلام الإكراه؟

* كما تعلمون أن هناك اختلافات في آراء الفقهاء حول مسائل الحج، فما هي الطرق الكفيلة لحلها؟

أنا أو من بالحوار، وبالفكر، فإن كل ما في الكون له حل في الإسلام؟

فعلى الفقهاء أن يدعو إلى مؤتمر يتبادلون فيه وجهات النظر حول هذه الآراء ويوفقون بإذن الله إلى حلها.

* كل مثقف يعرف ما للآثار الإسلامية في مكة والمدينة من أهمية تستدعي حفظها والعناية بها، فهل تفضل الاستاذ الكريم بإفادتنا حول ذلك؟!؟

إن الآثار الإسلامية في مكة والمدينة بل في أي موقع في الأرض لها آثارها الروحية على المسلمين؛ لأنها بمثابة الدروس والعبر للمسلم. إن كل الدول المتحضرة تحافظ على آثارها؛ لأنها جزء من حضارتها. ونحن المسلمين حضارتنا قد أثرت حضارات البشرية جمعاء، فنحن أولى من كل حضارة بحفظ آثارنا الإسلامية والعناية بها؛ لأنها أحد المصادر الإسلامية، التي يأخذ منها المسلمون ويعتمدون عليها في حفظ تراثهم.

* حريق منى الذي لم يكن هو الأول وقد لا يكون الأخير - معاذ الله - ما هو رأيكم في الطرق الكفيلة للحيلولة دون تكراره مستقبلاً؟
أن يجتمع أهل الخبرة من مخططي المدن، والمهندسين، من أهل الخبرة في التخطيط، وتقديم الهندسة اللازمة في ضرب الخيام وتوزيعها بشكل إذا شب الحريق لا سمح الله، أن لا يمتد الحريق إلى أماكن أخرى.

وعلى الحاج أن يكون واعياً وحذراً في منى؛ لأن المؤمن حذر. ونسأل الله عز وجل أن يدفع المكروه عن حجاج بيت الله الحرام، وأن يعيدهم إلى أهلهم سالمين غانمين بحجٍ مبرور وسعيٍ مشكور.

* ما هي وصاياكم لزائري بيت الله الحرام؟

أول وصية هي: فهم معاني الحج، وما هي أبعاد مضامين الحج؛ لأن

ص: ٢١٧

الحج هو جامع لكل معانى الحياة، لأن الحاج إذا فهم أبعاد فلسفة الحج فإنه يشعر بالسعادة، وبأنه أدى هذه الفريضة كما أمره الله. والوصية الثانية: أن يتحلى الحاج بالأخلاق العظيمة، وأن لا ينسى جاره وأصدقائه واخوانه سواءً أكان ذلك في سيره أو في ركوبه أو في صلاته.

والوصية الثالثة: أن يدعو الله أن يتقبل من حجاج بيت الله، وأن يدعو للمسلمين حاضرهم وغائبهم، وأن يدعو الله ليوحد الأمة الإسلامية، وينشر دينه في مشارق الأرض ومغاربها.

الدكتور الدمرداش العقالى - مصر

* آيات الحج فى القرآن الكريم متعدّدة، ما تمناه من الدكتور- بعد شكرنا- هو أن يوجز لنا حديثاً عن بعضها. وعن الحج باعتباره العروة الوثقى الموصلة بين المسلمين والرابطة لهم بيت رب العالمين والمظهرة لجامعتهم والمؤكدة لبراءتهم من أعدائهم. إن فريضة الحج ويأتى ترتيبها فى سياق آيات سورة البقرة بعد الصلاة والصيام والحج إشارة إلى أنها يكتمل بها الدين، ويعزّ بها اليقين، ولذلك فإن الله تعالى أحاطها بمقدمات قليل من تفتن إليها، هذه المقدمات أن الله تعالى جعل الحج أشهراً معلوماً فقال عزّ شأنه الحج أشهر معلوماً فمن فرض فيهن الحج المقدمه الأولى هى التهيؤ للحج بدءاً من أشهر الحج التى تبدأ بعد رمضان مباشرة وهذا التهيؤ ينطوى على قوله تعالى فمن فرض فيهن الحج أى فمن فرض على نفسه، وشرف الإنسان فى هذا المقام بأن جعله يفرض على نفسه مع أن الفارض الحاكم هو الله عز وجل فمن فرض فيهن الحج أى من ألزم نفسه بأن يؤدى فريضة الحج فليبدأ بالتأدب بالأدب الإلهى فلا رث ولا فسوق ولا جدال فى الحج هذه الفريضة التى جعلها الله عز وجل علامة أمان لمن أداها بقوله تعالى وصفاً للبيت العتيق إن اول بيت وضع للناس للذى

ص: ٢١٨

بيكة مباركاً وهدياً للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً.

ثم بعد أن كتب الأمن للحاج الذي سعى متطوعاً راغباً حذر من التفريط في الفريضة فبين أنها فريضة تطلب من الناس بالحب فمن فرض فيهن الحج أى فمن رغب وفرض على نفسه، لكنها فى الحقيقة فريضة ينقص الدين وينقض غيرها بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين فجعل البديل عن عدم الحج للقادر هو الانصاف بالكفر، ومن هنا فتارك الحج عمداً كافر بإجماع الأمة على اختلاف مذاهبها، ولعل هذا من الأحكام الجليلة التى تتفق فيها أوجه نظر المذاهب العامة ومذهب أهل البيت صلوات الله عليهم وهو اعتبار الحج فريضة وأن عدم أدائها مع القدرة كفر.

* الدكتور: هل لكم أن تحدثونا عن مسألة تترتب عليها أمور مهمة وهى كون فريضة الحج عند الإمامية على الفور لا التراخى الذى تأخذ به المذاهب الأخرى؟

إن مذهب أهل البيت يتميز فى خصوص الحج بميزة دقيقة ذلك لأن تعريف الحج عند أهل السنة أنه فريضة على التراخى بما أن الإنسان مخول أن يسوف فيه ويؤديه قبل موته وعند الإمامية فإن الحج فريضة على الفور ويأثم من يؤخره بغير عذر قهرى، معنى فريضة على الفور أن يحج الناس شاباً.

ومعنى فريضة على التراخى ان يحج الناس عجائز، ولذلك تجد هذا المعلم لو تفحصت فى وجوه الحجيج من البلاد الاسلامية غير الشيعة تجد الحجيج من العجائز والمسنين وقل أن تجد فيهم شاباً جلدأ، ولكنك إذا تفحصت وجوه الحجيج من الجمهوريه الإسلامية- وهذه ملاحظة كانت تستوقفنى، وقد أكرمنى الله تعالى بالحج أكثر من عشر مرات- فكان مما يستوقفنى أن أرى شاباً فى مقتبل العمر يحج، ولقد قادنى هذا إلى أن أرجع الى فريضة الحج عند الشيعة الامامية فوفقت على هذا الحكم أن الحج فريضة

ص: ٢١٩

على الفور، وكنت وقتها عند هذا التأمل لم أكن قد تشييت بعد، كانت هذه خطوة في طريق التشيع عبر هذه التأملات - ومن التأملات التي يثيرها افتراض الحج على الفور وانطلاق الشباب لأداء الفريضة أن يعلمهم التنشئة على طاعة الله تعالى فيبدأ عمره بمعاودة مع الله عند بيت الله ويقوم وفقاً لهذه المعاهدة في اصلاح نفسه وتقويم سلوكه على مقتضى منهج الله ما يشرح صدره ويثبت يقينه. ثم إن كون وفود الحجيج تنطوي على الشباب مع الشيوخ مع اجتماع الاجيال في الحج يهيء الفرصة لتعلم الجيل القادم من الجيل الذي يتهيء للرحيل ويعين على كثرة التعارف بين وفود الحجيج من البلاد المختلفة.

* فريضة الحج طريق واسع للتعارف بين المسلمين، فهل لاحظتم هذا في حجكم وقد وفقتم له مرات متعدده؟

استطيع أن أقول: إن ها هنا وقفه هامية بأنه مما يؤسف له أن الحج الذي شرع لتوثيق روابط المسلمين وجمعهم على كلمة سواء وتعارف بعضهم ببعض أصبح يبدأ وينفض، وكل فريق بمعزل عن الفريق الآخر، فنجد الحجاج الإيرانيين وحدهم والمصريين وحدهم والترك وحدهم والحجازيين وحدهم..

ولابد من أن تضع الأمة الإسلامية برنامجاً للحجيج يتيح لكل هذه الوفود أن تلتقى وأن تتعارف في أقدس مكان يتم فيه التعارف، والحق أن المسلمين لو نهضوا بأداء الحج وأعانوا بعضهم بعضاً على أدائه بمعنى أن يتاح لكل مسلم أن يحج حجة الإسلام على الأقل فمعنى ذلك أن الحج لن يقل عدده في كل عام عن (١٠) ملايين؛ لأننا ألف مليون مسلم لو قسمتهم على أن يحجوا على خمسين سنة فيطلع عشرون مليون حاج، وخمسون سنة هي عمر جيل وتصور يا أخى لو يتم التعارف بين هؤلاء الحجيج وهو بهذه الكثرة كم ستكون آثاره الطيبة على بلادنا الإسلامية. فعلى الأمة الإسلامية أن تتواصل بتيسير الحج وتسهيله لكي تخرج من عهده الله الذي أمرها بإحياء هذه الفريضة، وحذر من النكوص

ص: ٢٢٠

عنها، ثم على المجتمعات الإسلامية والدول الإسلامية أن تهيب حججها لأداء الفريضة وتعريفهم المناسك قبل الوصول الى البيت الحرام؛ لأنه مما يؤسف له أن يفد الوافد وهو لا يدري شيئاً عن المناسك فيتخبط وقد يؤخر ويقدم ويخل بالترتيب ويلحق حجه الإحباط، فلا بد من أن يحج وهو على معرفة بمناسكه وبمن حوله، وأتطلع الى اليوم الذى تصبح فيه المشاعر المقدسة وعلى الأخص الصفا والمروة والمزدلفة ومنى أن تصبح أماكنها أماكن خاصة بالحج؛ لكي يتسع المجال لقضاء الليل فى المزدلفة بنظام وعبادة وراحة لمن يستريح؛ لأن الذى عايش أماكن الحجيج يجد أنها تضيق بالكثرة نتيجة استيلاء القلة على مساحات هائلة من هذه الأراضى الكبيرة، التى هى وقف لكل الحجاج.

* إنشاء الأبنية السكنية فى منى وحتى فى المزدلفة وعرفات قد يكون أمراً يتطلبه أمن الحجاج وسلامتهم، فما هو رأيكم بذلك؟ هذا ما عرضت له فى أن منى هى وقف على المسلمين جميعاً والمزدلفة وعرفات... وينبغى أن لا يبنى فيها إلا ما هو لازم لسلامة الحجيج كأن يبنى مستشفى ولا يبنى سكناً دائماً للحجيج، بناء المساكن هذا غير صحيح. فالإقامة فى المزدلفة قليلة وليس الأمر كذلك فى منى، ومع هذا لا يصح البناء فى منى، فمنى لا بد من أن يدخل فيها الإحساس بهوان الدنيا، وأنها لا تستحق خيمة تعيش فيها ليالٍ ثلاثة، وأنت قادم من عرفات قادم من البعث قادم من النشور قادم إلى منى فهى مرحلة الاصل فيها انقطاع صلتها بالدنيا، والمباني تثبت الصلة بالدنيا وتطفئ وهج وضوء ونور البساطة، يا سلام لَمَا يشعر الحاج أن الدنيا عمرها لا يساوى الخيمة التى نصبت لتعود فتهدم بعد انقضاء أيامنا الثلاثة، والذى يلقي نظره على منى بعد أن ينصرف الحجيج منها يجدها بلقياً ليس فيها شىء.

* لا شك فى أن ذاكرة استاذنا الدكتور قد أحتفظت بأمور وملاحظات، فهل هناك أمر استوقفكم؟

ومن الملاحظات التى بدت لى فى

ص: ٢٢١

عدة سنوات من الحج وخصوصاً في أيام الصيف وقد أثارت عجبى، فهي عندما يأتى الحج فى الصيف وبعد الذبح وانقضاء أيام التشريق، والذى يبقى فى منى بعد يوم الرابع عشر من ذى الحجة يلاحظ أن أمطاراً غزيرة تهطل فى منى، أمطاراً غزيرة جداً تغسل الأرض غسلًا وسيولًا تدفع بالجيف والحاجات المتبقية وبالتالي تغسل هذه الأرض غسلًا عجيبًا.

فقد حججت أكثر من عشر مرات ولاحظت هذه الملاحظة فى حج الصيف بالذات حيث إن الروائح والبقايا سريعة التلف تنتهى بعد أن تمطر فى منى فى اليوم الرابع عشر والخامس عشر من ذى الحجة نعم لا يأتى الخامس عشر إلا ومنى ممطرة مطراً شديداً. وهذا من تطهير الله عز وجل لأن الله يقول، ما معناه تطهروا من ذنوبكم وأنا اطهر الأرض..

* على ذكر الاضاحى، الرأى الفقهي عند كثير من الإمامية أن هذه الاضاحى يمكن الاستفادة منها بتعليقها بشكل مناسب وبشروط معينة ثم توزع بلا ثمن على ذوى الحاجة والفقراء وخاصة فقراء بعض الدول الاسلاميه كأفريقيا ومناطق أخرى من العالم. يا أخى الحبيب لو عدت الى ما قدمت له من أن المسلمين لو صدعوا بأمر الله فى تيسير فريضة الحج لكل مسلم لكان عندنا حجيج لا يقل عن (١٠) ملايين من ألف مليون. هذا الحجيج سيكون أغلبهم - لو تم التيسير - من الفقراء العاجزين عن الذبح أو تقديم الهدى، هذا العدد لو احتشد لأكل ما يذبح الاغنياء، وعندئذ يتم التكامل فى الفريضة.

إنما الكارثة هنا أن الذى يحج هو القادر، فالذبح أكثر من استهلاك الحجيج جميعاً، إنما المفروض أن يحج القادر بأسبابه الشخصية وغير القادر بمعونة المسلمين له؛ لأنها فريضة خطيرة ومهمة وما أعجب التعبير القرآنى ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا. ولم يقل الغنى أو الموسر، فقد يوجد السبيل من غير مالٍ بأن تعمل جمعيات للحج من أصحاب

ص: ٢٢٢

الاحماس والندور وأشكال كثيرة أخرى على توفير الاستطاعة لمن لم يكن قادراً عليها.

ثم لو أن المسلمين قد تواصلوا بأداء الفريضة وأصبح الفقير يعتقد أن له نصيباً لازداد حباً للغنى وتقديراً له، وإنك إذا دخلت قرية من قرى أهل السنة- أنا لا أعرف الوضع في إيران- فستجد أنه لا يحج في قرى أهل السنة إلا الأغنياء، فتكون نظرات الفقراء إليهم كأنها نظرات مجتمع منفصل عن أهل هذه القرية، وكأن الأمر يصدق عليه أنه لكم دين يا أصحاب القدرة ونحن المساكين الذين لا نقدر على الحج لنا دين آخر. وكان الحج للأغنياء.

ولهذا أنا في خطبة يوم الجمعة في قريتي وكانت في شهر رمضان وكان بعض الاغنياء يتجهزون للحج، والعادات في الصعيد أن المتجهز يجلس في بيته يوم الجمعة ليزوره الناس، فيكون معروفاً أنه يريد الحج، فكنت أرى نظرات الكادحين والمستضعفين ترمق هؤلاء كما لو كانت تقول لهم:

هؤلاء عالم ثاني، فجعلت الخطبة في أن من استشعر أنه ينظر الى الكعبة وهو يصلى فقد حج، ما دام قد عجز عن أسباب الحج. فزيدوا من تصوركم للكعبة، أقول ذلك بعاطفة لتسليته هؤلاء الكادحين، فقام لى أحد المستضعفين فأخجلنى بقوله: كيف أتصورها وأنا ما شفتها عايز اشوفه عشان أتصورها بصلاتى.

لا إله الا الله محمد رسول الله

فمسألة الاضاحى والأبحاث الفرعية هذه ما أغنانا عنها لو نظرنا للحج نظرة كلية، ولقد كان إلى عهد قريب- فنحن الآن أصبحنا في مشكلة خطيرة- قبل وسائل المواصلات الحديثه يوم كان الحج على ظهور الأبل أو الدواب أو المشى أو السفن كان يحج حتى الفقير القوى الصحة يحج ماشياً، وعندى من أهلى وديرتى أن آباءهم حجوا على أقدامهم. فكان يحج الناس كلهم ولو على أقدامهم فقيراً كان الحاج أو غنياً، فتستهلك الأضاحى، وما كانت تفسد؛ لأن عدد الحجاج يكفى لاستهلاك تلك الأضاحى، ولكن ولما اصبحت وسائل

ص: ٢٢٣

المواصلات لها أثمان وقيم ومبالغ عالية فلا يقدر عليها إلا الغنى، أما الفقير فقد عجز عنها، ولا يفكر الفقير بأن يحج على قدميه؛ لأنه غير متيسر له وليس معه رفيق للأنس.

كانت تخرج القوافل مبكرة الحج أشهر معلومات تخرج في شهر ويسير الفقير مع الغنى. فعلى المسلمين أن يتواصوا لتيسير فريضة الحج؛ ليحج العدد الكافي وبالتالي تكتمل دورة حج كل المسلمين كل خمسين سنة، يعنى نقسم الألف مليون على خمسين فحاصل القسمة يجب أن يحج، فيكون كل مسلم قد حج لأن الحج فريضة نال سهمه منها، واكمل به الدين؛ لأن الذين حجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع كانوا فوق المئة ألف، ولو جعلت نسبة لهم الى سكان الجزيرة في هذا الوقت لوجدتهم معظم سكان الجزيرة؛ وليس ١٥٠ بل هم معظم السكان، فالحج فريضة خطيرة جداً غبناها المسلمون وحرموا أنفسهم من آثارها.

* كانوا في خطبة الغدير أكثر من ١٠٠ ألف، وقيل ١١٤ ألفاً.

ولهذا يا أخى فحديث الغدير أصبح أكثر الأحاديث تواتراً، جموع عن جموع، وليس جمعاً عن جمع، قال من قال وكنتم من كنتم، لا حول ولا قوة إلا بالله.

* أنا أطمع كثيراً للاستفادة منكم

حياكم الله.

* عندنا مسألة أمن البيت فقد جعل الله البيت الحرام مثابة للناس وأمناً....

حرماً آمناً هذا الأمن الذى ورد اخترق عدّة مرات..

الأمن فى البيت نعمة أنعمها الله تعالى على عباده، وذكر فى عدّة آيات هذا الامتنان أو لم نمكن لهم حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم....

وكلّ نعمة لا- يغيرها الله إلا إذا غيرها الناس أنفسهم ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فإذا حدث من الناس تغير فى خصوص أمن الكعبة بشغب أو بغيره فأحدث فيها ما يروع فهذا من شأن العباد بأنفسهم يغيروا فغير الله عليهم لكن يظل أن القاعدة

ص: ٢٢٤

العامه فيها أنها آمنه. فلا يجوز فعل ما يخالف الأمن، نعم لا يجوز، وهي ليس حكماً بل هي نعمه يمن الله بها، وشأنها شأن أى نعمه، كما تقول القرآن نعمه والامانه نعمه، رحمه، أما أن الناس لا ترضى بها فليس معناه أن الحكم حكم النعمه ارتفع لا، إنما الناس كفروا بالنعمه والرحمه فحرموا منها أنلزمكموها وأنتم لها كارهون.

* سيدنا إبراهيم عليه السلام نتمنى أن يكون الحديث عنه آخر لقائنا هذا..

هناك من هو مصمم على أن أبا إبراهيم كان كافراً، وقياساً على ذلك يستجيز الجراءه على والد النبي صلى الله عليه وآله وعمه أبى طالب، فى الوقت الذى يفرق القرآن الكريم بين الأب المعنى بالكفر (آزر) وبين الوالد المحكوم بإيمانه، إبراهيم وعد أباه آزر أن يستغفر له، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعده وعدها إياه وهذا الأب هو الوارد فى الآيه وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر... وهذا كله فى أول حياه إبراهيم سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيماً ثم علم أنه عدو لله فتبرأ منه فتمت البراءة. إبراهيم بعد أن رزق بإسماعيل وإسحاق، يقول ربنا اغفر لى ولوالدى فهذه فى أواخر عمره؛ لأنه لم يرزق بإسماعيل وإسحاق إلا فى آخر عمره.

الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

فما كان ليستغفر له لو كان هو عين الذى تبرأ منه.

والأب هو العم إذا سمى؛ ولهذا قال القرآن: وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر اتخذ أصناماً آلهة... والأصل فى الخطاب أنه لو كان أبوه لأبيه والده لا يذكر الاسم، لكن لأن الأعمام كثيرون، فلا بد من تعيينه وقال لأبيه آزر هذا وجه.

والوجه الثانى هو استغفار إبراهيم لوالديه، وهنا لم يقل اغفر لى ولأبى، فهناك قال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه....

ص: ٢٢٥

وهنا ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.
فلا يستغفر لكافر.

سماحة الشيخ محمد باقر الأنصارى مسؤول المركز الإسلامى فى هامبورغ- المانيا

* فريضة الحج تحتل مكاناً عظيماً فى نفوس وأنشطة أئمة أهل البيت:

وأتباعهم فهلاً تفضل سماحة الشيخ بالحديث عن ذلك؟

كان ولا- يزال دور أهل البيت عليهم السلام بارزاً وذا أهمية كبيرة فى الحج وزيارة بيت الله الحرام، والحج ركن من أركان الدين الإسلامى المهمة، وتجتمع عظيم للمسلمين من مختلف المذاهب والفرق الإسلاميه حيث يتعرفون هناك على بعضهم البعض عند أدائهم لتلك الفريضة الكبيرة والعبادة السياسيه المهمة. لقد عني أئمتنا عليهم السلام كثيراً بمسألة الحج رغم إبعادهم عن المسرح السياسى ورغم سلب حقهم المشروع من أن يظهروا على ذلك المسرح، وكانوا يداومون على التشرف بالحج وزيارة بيت الله الحرام، ويطالعنا التاريخ من خلال التحويلات وسيرة الأئمة الأطهار أن أئمتنا كانوا يولون الحج أهمية استثنائية، ولعل أفضل شاهد على ما نقول هو تشرف الإمامين الهمامين الحسن المجتبى والحسين عليهما السلام بزيارة بيت الله الحرام عدّة مرات سيراً على الاقدام من المدينة إلى مكة، يظهر ذلك من خلال مطالعة سيرة حياة هذين الامامين عليهما السلام بما يدل على اهتمامهم الكبير بهذه الفريضة العظيمة، وارتباطهم الروحى بهذا المكان المقدس، والعبادة الخالصة التى كانوا يؤدونها هناك، وكذلك التقاء الشيعة والتعرف عليهم ومد جسور المحبة والعلائق الوثيقة معهم، ومع الاصدقاء الذين قد يتشرفون إلى الحج. وعلى هذا فإن الحج أضحي من المسائل المهمة التى تمّ تأكيدها مراراً، ويبدو ذلك واضحاً من خلال هذه السيرة والأحاديث والروايات وتاريخ ائمتنا الهداء.

إنّ مجمع أهل البيت والمجمع العالمى لأهل البيت كلاهما يستطيعان القيام

ص: ٢٢٦

بالكثير حول هذه المسألة وأن يلعب دوراً مهماً على هذا السبيل، وخصوصاً أنّ المجتمع الشيعة وموالي مدرسه أهل البيت كانوا دوماً قدوةً ومثلاً يُحتذى به على مدى التاريخ واسوء حسنة للمسلمين سواء من حيث العمل أو السِّلوك أو من حيث الرّؤى العقائدية لهم. ولذا فإن على هذا المجمع المقدس، مجمع أهل البيت أن يُبدي حضوراً فعالاً في الحج على الدوام، وعليه اتخاذ البرامج المنظمة حتى يتم له الحصول على الاستفادة القصوى من أيام الحج، الركيزة الأساسية لكل العالم الإسلامي إن شاء الله تعالى.

لقد تمّ والحمد لله خلال السنين القليلة الماضية القيام بإنجازات رائعة كثيرة في هذه السنين من خلال زيارة الإيرانيين لبيت الله الحرام وخصوصاً الزوّار من الهيئات والمؤسسات المقدسة في الجمهورية الإسلامية ونظراً للعناية الخاصة التي كان يوليها قائد الثورة سماحة الإمام الخميني قدس سره وكذلك سماحة آية الله الخامنئي للحج واعتباره فريضة عبادية إسلامية اجتماعية وسياسية فبالإضافة إلى المظاهرات وحمل الشعارات التي تتم في كلّ عام خلال مراسم البراءة، فقد كانت الأعمال الثقافية والاتصالات التي تتم مع المسلمين الآخرين من قبل الشيعة ومريدي مذهب أهل البيت، والحمد لله، جيدة جداً ونحن نرى آثار تلك الأعمال بوضوح في مكة والمدينة على السواء، ولاحظنا أن الاتصالات وبناء الوشائج مع رفاقنا المحليين هناك أو مع آخرين من أقطار أخرى من قبل أعضاء هذه الهيئات في الجمهورية الإسلامية ومجمع أهل البيت، كانت قد آتت اكلها على أفضل ما يكون، وكانت كذلك مفيدة وبناءة.

أتمنى أن تواصل هذه الحركة مسيرها، وأن يعمل المسؤولون في المجمع العالمي لأهل البيت وأن يبذلوا جهدهم في هذا المجال وذلك عبر تقديم البرامج الخاصة والدقيقة والفعالة، حتى يتم نشر رسالة مذهب أهل البيت بين المسلمين بصورة أوسع إن شاء الله.

* نظراً لمكانتكم بين المسلمين في ألمانيا ولأنكم على رأس المركز

ص: ٢٢٧

الإسلامى هناك، فهل تتوفر لديكم أنشطة وفعاليات خاصة بموسم الحج للمسلمين فى المانيا؟ نعم، هناك برامج خاصة، فقد قمنا بتشكيل عدة قوافل على التوالى لأداء فريضة الحج والعمرة وقمنا بنقل الكثير منهم إلى الديار المقدسة والحمد لله، وقام رفاق كثر بعدنا بالقيام بما قمنا به على غرار ما فعلناه فى مدن المانية أخرى، مثل فرانكفورت وبرلين وفى ميونخ وهامبورغ، فقد قامت وتشكلت عدة قوافل للحج، والاعلان عن ذلك بين العرب والاييرانيين، وكذلك الأخوة الافغان والباكستانيين حيث تتوفر اعدادهم بكثرة فى هذه القوافل وهم يقومون بهذه السفريات سنوياً سواء للحج أو العمرة، ولقد كانت لذلك آثاره الطيبة. هذا وقد أبدى الشيعة خلال السنوات الأربع أو الخمس الأخيرة اهتماماً واضحاً وكبيراً بالنسبة للحج والحمد لله، وتعد هذه الرحلات من أهم العناصر الروحية والمعنوية خصوصاً وأن أوروبا مثقلة بالمشاكل الحياتية والمادية وغارقة فيها إلى حد كبير، ومما يزيد من تلك الأهمية أنهم يأتون إلى ايران لزيارة الإمام الرضا عليه السلام فكل ذلك يمكن أن يضع آثاره الايجابية والجيدة على هؤلاء المسلمين معنوياً وروحياً.

سماحة الشيخ على عزيز- لبنان

* قالت السماء كلمتها فى اهداف الحج: ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات... إن الله تعالى يحب أن يذكر فى أمكنة معينة وأزمنة معينة فللمكان وللزمان خصوصية، وإلا فالمنافع قد تحصل للناس وهم فى بلدانهم، وذكر الله تعالى قد يقع منهم وهم فى أوطانهم...

فلا بد من أن تكون هذه المنافع ذات طعم آخر... وأن يكون هذا الذكر ذا ميزة أخرى... فهلا- تفضلتم بكلمة لبيان أهمية هذين العنصرين فى منافعنا ودعائنا وأعمالنا....؟

إن الحق جلّ وعلا يقول فى أهداف الحج، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات.

ص: ٢٢٨

نعم فإن الجنة حقت بالمكارة كما أن النار تكتنفها الشهوات، فالوصول إلى حضرة الباري لا يكون بالتزرة والرفاهية ولا بد من ارتكاب الصعاب، وتحمل الأذى والمشقات، والمعاناة في النفس والمال، وتجشم المخاطر في كل منسك، وتحمل العنف في كل حركة. فأعمال الحج هي سامقة صعبة، ولكنها لذيذة الطعم طيبة المذاق، لمن جاس تلك الديار.

ولأنها بعيدة تماماً عن الملذات والشهوات والطيبات، فهي لا تتأتى إلّا عن باعث العمل للامثال والانقياد لأوامر الله تعالى، ومن أجل هذا كان النفع عظيماً، والتجارة رابحة، والصفقة ناجزة يقول على عليه السلام: «واختار من خلقه سماعاً أجابوا إليه دعوته، وصدّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عند موعد مغفرتة» وعن الصادق عليه السلام «الحاج ثلاث أصناف صنف يعتق من النار، وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه، وصنف يحفظ في أهله وماله وهو أدنى ما يرجع به الحاج». هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو مؤتمر مجمعي سنوي يتلاقى المسلمون فيه من شتى أصقاع الأرض عربيههم وأعجميههم وأبيضهم وأسودهم، فقيرهم وغنيهم، عالمهم وجاهلهم، رئيسهم ومرؤسهم فتتلاقح المعارف والآداب والقيم والتراث، وتبث الشكوى والأحزان والأفراح، وهنا فالغنى يخشع، والفقير يتحمل، والعالم ينصح بعلمه، والجاهل يتعلم، والجميع في موكب النور إلى عطاءات السماء، وذكر الله على كل حال عند أحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، جعلها الله بيته الحرام للناس قياماً بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقل الدنيا مدرأ، وأضيق بطون الأرض قطراً بين جبال خشنة، ورمال رمته، وعيون وشلة، وأخرى منقطعة لا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف.

* لئن تظافت أيدي أنبياء (إبراهيم وإسماعيل... ورسول الله محمد صلى الله عليه و آله) فجعلت مكةً بلدًا آمناً وحرماً مقدساً يؤتى إليه من كل فجّ

ص: ٢٢٩

عميق... فإن المدينة صارت بلداً وحرماً مقدساً بجهد نبي واحد محمد صلى الله عليه وآله، فهو قد شارك مشاركة كبيرة في الأولى، وهو المؤسس في الثانية.

فهل من ضوء يسלט على هذا الدور الكبير وتلك المشاركة العظيمة؟!

نعم فإن المدينة المنورة التي كان لها شرف إحتضان دعوة رسول المحبة صلى الله عليه وآله ومنها انتشر الدين الإسلامي الحنيف الى أصقاع الأرض، وإذا جاز لنا القول: إن الدين بدءه مكي واستمراره ودعوته وعطاؤه مدني، فإنك لا تستطيع أن تسقط من حساباتك ما قام به الأنصار من إحتضان لإخوانهم المهاجرين من مكة، ومن التضحيات الجسام التي قدموها في سبيل الدين الجديد، فطية هي القاعدة التي انطلقت منها جحافل الإيمان والنور ومشاعل الهداية إلى بقاع الأرض جميعاً، وهي التي زحفت لتقاتل صناديد قريش في بدر وأحد والأحزاب وغيرها بمشاركة أكيدة وصميمية من إخوانهم المهاجرين تحت قيادة رسول الأمة صلى الله عليه وآله وقد جاء في فضل المدينة أحاديث صحيحة منها.

١- إن الإيمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها. أي ينضم ويجمع بعضه إلى بعض فيها.

٢- صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

وكل عمل بالمدينة بألف.

٣- لَمَّا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة قال: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وبارك في صاعها ومدّها.

٤- عن علي عليه السلام «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ومسجد الكوفة. * الدعاء كان السمة البارزة في حركة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وهو يترك أهله بوادي غير ذي زرع، وهو بيني الكعبة، وهو يدعو الناس لحجها، وهو يؤدي مناسك الحج نراه يدعو بالأمان وبالرزق الوفير؛ لأنه يعلم أن تلك المناسك الشاقة لا يمكن أن تؤدي دون أن يتوفر عنصرا الأمان والرزق... وأن قوافل الإيمان التي يراد لها أن تنطلق لا يمكنها أن تؤدي دورها على أحسن

ص: ٢٣٠

وجه، وهي تتعرض للخطف والقتل والسلب والحرمان والجوع... فلو تفضلتم لتوضيح أهمية الدعاء وأهميته الأمن والرزق لهذه الأرض ولهذه الفريضة المباركة.

قال تعالى: وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون. وقال صلى الله عليه وآله: «الدعاء سلاح المؤمن» «الدعاء مخ العبادة» وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «أنا دعوة أبى إبراهيم خليل الرحمن».

والدعاء ركن من أركان عبادة المؤمن، وقلعة حصينة يلجأ إليها المسلم إذا داهمته الخطوب، والكهف الحصين للمسلم عند شدة الابتلاء. وأعمال الحج قاعدتها وسنامها التوسل والدعاء فى أيام مباركة وأماكن معينة، ولا سيما فى الوقوف بعرفة والمشعر الحرام، وحول الكعبة المطهرة، وفى السعى بين الصفا والمروة. وينبغى للمسلم أن يكون فى أثناء الدعاء طاهراً نقياً قد خلع عنه كل شىء سوى الاستغفار والتوبة والتضرع، صافياً نظيفاً فى البدن والروح، خالصاً من الدنيا والاهتمام بالولد والأهل والمتجر، مقبلاً على ربه، داحراً للشيطان والملذات، خالغاً ثوب الكبرياء والرئاسة، متدرعاً بقميص العبودية وبالبيت الحرام الآمن بأمان الله، وبدعوة أبى الأنبياء إبراهيم الخليل نبي الرحمة عليه السلام هو خير مكان يسند المسلم ظهره إليه، يطلب من الله المغفرة والعنتق من النار، ويدعو البارى عزوجل الجنة وروى أنه من أدمن الحج لا يفتقر أبداً، وأن كثرة الجلوس فى الصفا مدعاة للرزق وفى الصحيح أن العمرة والحج تدحضان الذنب وتنميان الرزق. ولا بد من الأمان والاستطاعة فى أعمال الحج. وفى الختام وفى هذه العجالة نسأل الله أن يتقبل منا حجنا ويغفر ذنبا إنه أرحم الراحمين.

سماحة السيد سامى البدرى

* هناك ارتباط وثيق جداً بين مسألة الإمامة ومسألة بيت الله والحج، تبدأ هذه العلاقة منذ إقامة القواعد من قبل إبراهيم وإسماعيل

ص: ٢٣١

المشار إليها في قوله تعالى: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل كما أن الدعاء هو السمء البارزة في حركة خليل الرحمن وهو يؤدي وظيفة السماء: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك. فهلاً تفضل سماحتكم مشكوراً بإلقاء الضوء على تلك العلاقة وهذه السمء وثمارها؟

القرآن ينص هنا أن دعاء إبراهيم وإسماعيل في ذلك الوقت كانا يطلبان من الله تعالى ذرية مسلمة، وهذه الذرية المسلمة، القرآن ينص على أنها كإسلام إبراهيم وإسماعيل، ولا شك في أن إسلام إبراهيم وإسماعيل الإسلام اللغوي وليس الإسلام الاصطلاحي، يعنى الانقياد التام، الانقياد الخالص لله تعالى - فإذن إبراهيم وإسماعيل يطلبان من الله تعالى أن يرزقهم ذرية مسلمة كإسلامهما، تمثل الامتداد الحقيقي ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ثم بعد ذلك يقول: ربنا وبعث فيهم رسولاً منهم يعنى في هذه الأمة المسلمة أن تبعث فيها رسولاً منها، أى مسلماً يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم هنا القرآن الكريم في هذه الآية يلفت نظرنا إلى قضية مهمة جداً، فحينما يتحدث عن الأئمة يقدم الترقية على التعليم، هو الذى بعث في الأئمة رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فهذا التقديم والتأخير ليس اعتباطاً؛ لأن الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم هى أمة مسلمة كإسلام إبراهيم وإسماعيل فهى لا تحتاج الى تطهير، فهى مطهرة، فبعث فيها من أحد أفرادها رسولاً منها بعثه خاصة، وبالتالي هؤلاء يحتاجون فقط إلى التعليم يعلمهم الكتاب والحكمة فإذا استوعبوه استيعاباً خاصاً أظهر عظيم فضلهم، (يزكيهم) يعنى يظهر عظيم فضلهم يثنى عليهم، يمدحهم؛ لأن الزكاة فى اللغة تأتى بمعنى المدح، وتأتى بمعنى التطهير.

أما أهل مكة هناك، باعتبارهم مشركين فهم يحتاجون الى التطهير أولاً، يزكيهم، يعنى يظهرهم، ثم بعد

ص: ٢٣٢

ذلك إذا أعلنوا إسلامهم وطهارتهم العامة من الشرك صاروا مؤهلين إلى أن يتعلموا الكتاب والحكمة.

فهنا في الحقيقة يشير النص إلى أهل البيت عليهم السلام إلى البقية من عتره إبراهيم، أن الله سبحانه وتعالى وعد إبراهيم وأجابه بأن سيرزقه ذرية مسلمة على طول الخط، من زمن إسماعيل إلى بعثه النبي صلى الله عليه وآله وهذه عقيدتنا بالحقيقة، أن أباء النبي مسلمون موحدون وأن النبي صلى الله عليه وآله في مكة في الحقيقة بعث من هذه الأسرة المسلمة من عتره إبراهيم، من ذرية إبراهيم، التي بقيت إلى آخر الزمان، بُعث منها، ولذلك ورد في روايات السيرة أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقول:

«يا بني هاشم إنى بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة». يشير في الحقيقة إلى هذا المعنى، ويشير أيضاً الإمام الصادق عليه السلام إلى ما في هذه الآية، هؤلاء نحن، الأمة المسلمة هؤلاء نحن، يشير إلى الأئمة عليهم السلام. فإذا نستفيد من هذه الآية أن الارتباط بين أهل البيت عليهم السلام وبين البيت، ومع الموسم ارتباط صميمي؛ لأن هذا البيت يحمل ذكرى التبشير بالنبي الخاتم وبأهل بيته عليهم السلام هذا البيت مؤسس حتى يستقبل النبي الخاتم بعد ٢٠٠٠ سنة. لذلك تلاحظون أن الله تعالى ختم بعض الآيات هكذا وهو العزيز الحكيم؛ لأن مثل هذه الإجابة: أن الله تعالى يجيب دعاء إبراهيم وإسماعيل بعد ألفى سنة ويبقى الخط من الذرية مستمراً، وليس كل ذرية إبراهيم مسلمين إسلاماً خاصاً، أن يستمر هذا الخط فهذا لا يقدر عليه إلا الله تعالى. ومن هنا قال وهو العزيز الحكيم فالعزيز الذي لا يمتنع منه شيء، والحكيم الذي يصدر منه الأمر الحكيم في محله.

على هذا الأساس إذن مكة والكعبة والذكريات التأسيسية الأولى على يد إبراهيم وإسماعيل تحمل البشرية بمحمد صلى الله عليه وآله وآل بيته، وهذه البشرية مذكورة أو حفظتها إلى اليوم التوراة نفسها، حينما تقول على لسان الله تعالى:

أما إسماعيل فقد أجبته فيه فأناذ أباركه واثمنه وأمنيه محمد صلى الله عليه وآله واثني عشر إماماً من أهل بيته. وفي ضوء هذه الحقيقة، وإضافة إلى كون الحج فريضة إسلامية

ص: ٢٣٣

تجمع كل المسلمين جاء تبني أهل البيت لموسم الحج تبيئاً خاصاً؛ لأنه الموسم الوحيد الذي يشكل أوسع الأبواب لطرح قضية أهل البيت عليهم السلام على كل المسلمين.

سماحة الشيخ الخزرجي إمام وخطيب مسجد محمد رسول الله - البرازيل

* سماحة الشيخ الخزرجي: من سنين وأنتم عاكفون على تأديته واجباتكم الإسلامية في هذه البلاد..

فهلّا تفضلتم بالحديث عن عدد المسلمين في البرازيل، وما هي المناطق التي يتواجدون فيها وهل هناك جمعيات تحتضنهم؟ بالنسبة الى عدد المسلمين المتواجدين في البرازيل، هذا العدد ما رأيت - في الواقع - احصائية دقيقة تحدد أو تذكر رقماً دقيقاً في هذا الباب.

ولكن الأرقام التقديرية تذكر بأن المسلمين يبلغ تعدادهم ثلاثة الى أربعة ملايين مسلم تقريباً، وهي نسبة لا بأس بها، وهم منتشرون على مساحة تقدر ب ٨ / ٥٠٠ الف كيلو متر وهي مساحة البرازيل. أما أهم المناطق التي يتواجد فيها المسلمون هي اريودو جانيرو التي كانت العاصمة سابقاً.

وكذلك برازيليا العاصمة الحالية.

وسامپاولو التي فيها كثافة وجود إسلامي لا بأس به، وكذلك في ولاية برنا التي تضم مدينتين (تورنيا ومدينة فوزدي اگوا) وفي مناطق أخرى.

وكل المسلمين عندهم جمعيات وعندهم اتحادات تنظم امورهم، وتحيي مناسباتهم، افراحهم اتراحهم.

هذه الجمعيات ولو أنها لا تقوم بالواجب المطلوب ولكن وجودها أفضل من عدم وجودها.

* ما هي الكيفية التي يستقبلون بها موسم الحج؟ وما هي عاداتهم توديعاً للحجاج واستقبالاً؟

وأما بالنسبة الى موسم الحج. أنا ذهبت الى البرازيل سنة ١٩٨٩ فرأيت أن مسألة الحج تكاد تكون ميتة إلا عند البعض، يعني التزامهم بهذا المنسك، التزامهم بهذه الفريضة توجههم ليس هناك توجه بالمعنى

ص: ٢٣٤

الجيد، وإنما عند بعض الافراد فقط.

ولكن بعدما استقر بنا الحال وصارت الاتصالات والاجتماعات، وصارت الزيارات، وبعده مدّة ليست قصيرة صار هناك تقارب مع إخواننا من أبناء السنّة، وبدأوا يحضرون احتفالاتنا احتفالات الشيعة ونحضر احتفالاتهم، يطلبون منا التحدث ونطلب منهم أن يتحدثوا في احتفالاتنا صار هناك تيار، وصار هناك شيء لا بأس به، يشجع الآخرين على الذهاب الى الحج، فالآن تقريباً يذهب من البرازيل ما يقارب مأتين الى ثلاثمائة حاج سنوياً، من الشيعة ومن السنّة.

وأما العادات والتقاليد والأعراف التي تعارفوا عليها هو أنهم حينما يريدون الذهاب الى الحج والى زيارة بيت الله الحرام، يأتي الناس الى زيارتهم ويودعونهم في المطار ويستقبلونهم في المطار أيضاً حين عودتهم وهم يحملون الورد، فالتوديع لا بأس يكون توديعاً جماعياً وكذلك حينما يأتون من الحج يستقبلونهم استقبالا جماعياً أيضاً وهو استقبال واضح لا أنه استقبال لشخص ذاهب الى زيارة عادية الى بلده وراجع وإنما هو استقبال له طابع خاص، استقبال لشخص يحمل آثار الحج، استقبال يتم من قبل أصدقائه وأقاربه وجيرانه وحتى من غيرهم ومن غير أرحامه، ويرافقون الحاج من المطار حتى بيته وهذه سنه لا بأس بها وهي جيدة.

* لو تحدثتم شيئاً عن نظرة أهل البيت لفريضة الحج وأثرها في وحدة المسلمين وحل كثير من مشاكلهم سواء أكانت سياسية أو اجتماعية..

في الحقيقة بالنسبة الى خط أهل البيت هو في الواقع خط واضح، خط يحاول أن يجمع أكبر عدد ممكن من المسلمين في ظلال الإسلام الصحيح؛ فلذلك نرى الروايات والأحاديث والمواقف التي كان يقفها أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم، فقد كانوا يجتمعون بالناس ويشجعونهم على الحج، كانوا يذهبون معهم، كانوا يجالسونهم، كانوا يتحدثونهم، كانوا يحيون الشعائر والمناسك معهم، لذلك تلاحظ في دعاء عرفه للإمام

ص: ٢٣٥

الحسين عليه السلام حينما يقرأه الإنسان لا- يتمالك نفسه يعيش في عالم عرفاني عالم ملكوتي، وهذا هو جوهر حركة الإنسان والساعات التي يقضيها في عرفات، وقد لاحظنا ذلك حينما يجتمع الحجاج تحت خيمته واحدة، وحينما يستمعون هذا الدعاء المبارك دعاء الإمام الحسين في عرفته فلا يتمالك الإنسان نفسه ودموعه ووضع به حيث يعيش في حالة من حالات الذوبان في الله سبحانه وتعالى. حالة العشق الإلهي، فلذلك نلاحظ أئمتنا: كانوا يستثمرون هذه المناسبات ويغذونها بالغذاء الجيد والصالح؛ لأن النفوس والأرواح متفتحة ولأن العقول متفتحة، والإنسان قادم الى أرض جرداء ليس فيها شيء، لقاءه مع الله ليس هناك شيء يعيقه من تجارة أو ولد أو امرأة أو زينة، فهو ذاهب الى ذلك المكان الى عرفات وهكذا في بقية المناسك، في هذه البقاع يعترف الإنسان بخطاياها وبذنبه وما جنى بين يدي مولاه سبحانه وتعالى.

فلذلك أهل البيت في الحقيقة قدموا الكثير وأدخلوا روح الحج في فكرنا، الحج ميت إذا لم يكن هناك اتصال بالله سبحانه وتعالى، الله لا يريد أجسادنا تذهب الى هناك بل يريد أرواحنا تذهب الى هناك في هذه السفره الملكوتية وفي هذه الهجرة الى الله سبحانه وتعالى، لا يريد منا أن نذهب وان نلتقى بتلك المواقع من خلال المادة وإنما من خلال النفس والعقل والفكر والروح والقلب- حينما يلتقى الإنسان ويعرف مع من يلتقى والى أين يذهب يؤثر الحج في نفسه، وتكون له آثار ايجابية مباركة، والإنسان يصنعه الحج صناعةً جديدةً وحقيقيةً حينما يذهب الإنسان الى الحج ويعود، ففلان الذي كان قبل الحج فهو غيره حينما يأتي بعد الحج، يصنعه الحج من جديد، ويرببه تربيةً جديدةً؛ لأنه كان في ضيافة الله تعالى، وفي الحقيقة الإنسان دائماً في ضيافة الله تعالى، ودائماً في عين الله سبحانه وتعالى كما يقول الإمام الراحل الخميني رحمه الله عليه: «العالم كله في محضر الله، في محضر الله لا تعصوا» فدائماً الانسان في محضر الله تعالى،

ص: ٢٣٦

ولكن كلما يقترب الإنسان من ساحته سبحانه وتعالى في مكة، في الأماكن المقدسة العظيمة يستشعر تلك العظمة ويتكهرب أكثر ويتمغظ أكثر، تكون روحيته أكثر شفافية، أى أن قوة الجذب العظيمة تسحره أكثر، تملك روحه وتصنعه وتؤثر فيه أكثر.

* ختاماً لهذا اللقاء، ما هى وصاياكم لحجاج بيت الله الحرام؟

وصيتى هى حينما يريد الإنسان، الذى يوفقه الله لزيارة البيت الحرام، ينبغى أن يعد العدة وأن يتهيأ لهذا السفر الملكوتى؛ لأن سفره الى الحج ليس كسفره الى بقية الاماكن، ينبغى أن يتهيأ روحياً، نفسياً عقلياً فكرياً؛ لأنه يذهب الى بيت الله الحرام ويستجمع كل شىء كل أخطائه يستجمعها حتى يعترف بين يدي الله تعالى. الشىء الآخر هو أن يستعد الانسان من الناحية العلمية حتى يهيىء المادة التى يتحرك بها فى الحج وهى معرفته بالمناسك؛ لأن الإنسان اذا لم يكن عارفاً بهذه المناسك فسوف يخطأ واذا أخطأ لا تكون أعماله ومناسكه كما يريد الله تعالى، فلذلك تصحيحها يكون صعباً بالنسبة اليه؛ لذلك أوصى اخوانى وأخواتى وجميع الذين يذهبون الى زيارة بيت الله الحرام أن يأخذوا دورة فقهية ولو سريعة، يتعرفون ولو على الحد الأدنى، يتعرفون على أهم مناسك الحج، حتى إذا ذهبوا الى ذلك المكان يذهبون وهم على علم بذلك.

والشىء الآخر حينما يذهب الإنسان الى زيارة بيت الله الحرام ينبغى أن يأخذة فالإنسان كلما يقترب من الله سبحانه وتعالى أكثر وكلما يقترب من معانى الحج أكثر وكلما يقترب من هذه المناسك أكثر ويتعلم أكثر كلما تكون آثاره على نفسه وعلى روحيته وعلى سلوكه تكون أكثر.

نسأل الله تعالى التوفيق

سماحة الشيخ العباسى - اوغندا

* ما هى نسبة المسلمين بالنسبة إلى مجموع سكان بلادكم؟ وما هى المقاطعات التى يتواجدون فيها؟ وهل هناك مؤسسات أو جمعيات تمثلهم وترعاهم وتحفظ لهم قيمهم وآدابهم؟

ص: ٢٣٧

وما هي الأنشطة التي تتحرك فيها مثل تلك المؤسسات أو الجمعيات؟

لا توجد احصائية دقيقة للمسلمين في اوغنده غير أنهم يذكرون في محافلهم أن المسلمين يتراوح عددهم من ٣٠-٣٥٪ من مجموع ١٨ مليون نسمة.

وهم يقطنون جميع المحافظات ويختلطون مع النصارى الذين يشكّلون الأغلبية وبلا حساسية بينهم، ومن المؤلم ان بعض المسلمات يتزوجن من النصارى رغم وجود المؤسسات والجمعيات الإسلامية، التي تؤكد حرمة مثل هذا الزواج. والجمعيات الإسلامية تفعل كل ما هو ممكن لها مثل فتح المدارس الدينية و صفوف تعليم القرآن الكريم والمراكز الثقافية وعقد المؤتمرات والندوات وكفالة الايتام والأرامل، ورغم كثرة هذه المؤسسات إلا أنها لا تغطي حاجة ١٠٪ من المسلمين لضعف برامجها وبساطة امكانياتها.

* وما هو الاهتمام بفريضة الحج في بلادكم استعداداً أو توديعاً للحجاج واستقبالاً لهم؟ وكيف تتم رحلات الحج: شكلها، نوعها، عددها، مجموع الحجاج فيها؟

إنّ ما يتعلق بموضوع الحج - فبسبب حالة الفقر لدى أغلب المسلمين حيث إن معدل الدخل لديهم لا يتجاوز ل ٢٥٠ دولاراً سنوياً قياساً بحالة الغلاء الفاحش - فإنّ أغلبهم لا يتمكن من أداء فريضة الحج التي تبلغ تكاليفها ٢٠٠٠ دولاراً، ولذلك يكون عدد الحجاج سنوياً من ٢٥٠-٣٠٠ حاج من مجموع ٥ مليون مسلم تقريباً.

الحلة الخراسانية تكسى الكعبة الشريفة

ص: ٢٣٨

الحلة الخراسانية تكسى الكعبة الشريفة

آصف فكرت

السطور القليلة القادمة تحكى قصة حَدَثٍ تاريخي مهم في القرن التاسع الهجري، ألا وهو مراسم إكساء الكعبة الشريفة بأول حلة صنعت بأيدٍ خراسانية.

وكان ذلك بهمة شاهرخ بن الأمير تيمور غوركان، وقد عمل المذكور جهده كما ستقرأ ذلك فيما بعد- ولفترة طويلة من حكمه- للوصول الى مراده ذاك. ولهذا السبب كان قد ارسل عدة بعثات الى مصر؛ لإثبات حُسن التية، وصرف في سبيل ذلك مبالغ طائلة حتى نال في النهاية هدفه، ولولا ذلك لاقتصرت مسألة إكساء الكعبة على العرب وحدهم، ولحرم غيرهم من الأمم المسلمة شرف ذلك.

لقد ظلّ موضوع اكساء الكعبة- ومنذ العهد الجاهلي حتى عهد الخلفاء وعلى مرّ العصور- موضع اهتمام المؤرخين والمحققين، ويمكن الوصول الى ما يتعلّق بهذه المسألة بمجرد الرجوع الى المصادر المتعلقة بذلك الموضوع. وليس هدفنا من هذه المقالة الموجزة إلّا الإطلاع على جوانب بسيطة من هذا الموضوع، والاشارة إليه دون إطناب أو تفصيل.

ص: ٢٣٩

روى القلقشندى فى «صبح الأعشى» نقلًا عن «أخبار مكّة» للأزرقي قوله:

إنّ أسعد الحميرى (من تابعية اليمن) كان أول من كسا الكعبة الشريفة بالحلّة فى زمن الجاهلية.

حلّة الكعبة أيام الجاهلية:

كانت الكعبة الشريفة تُكسى بأقمشه وحلل ملونه ومتنوعه فى الجاهلية.

وكانت تلك الحلّة فى الزمن المذكور تُصنّع وتهيى بمعونة مختلف القبائل ومساعدة الجماعات وهمتهم، حتى اقترح أحد التجار

آنذاك- ويُدعى أبو ربيعة عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان يعمل بالتجارة مع اليمن- أن يقوم هو بإكساء الكعبة سنة ويلبسها

كسوتها وتقوم قريش كلّها بذلك سنة اخرى. فاستمرّ ذلك النهج حتى توفى أبو ربيعة. والجدير بالذكر أنّ الكعبة كانت تُكسى

بالتطع (وهو نوع من الجلد) مدّة من الزمن.

فى صدر الإسلام وما بعده:

كُسيّت الكعبة أيام حياة رسول الله صلى الله عليه وآله بالنسيج اليمانيّ، وسار الخلفاء الراشدون على هذا النهج كذلك. وكان لون

تلك الحلّة فى تلك الأيام أبيض أحياناً أو أحمر أحياناً اخرى. وأمّا خلفاء بنى العباس الذين كان شعارهم اللون الأسود فقد ألبسوا

الكعبة بلباس أسود أيضاً.

فلما استولى ملوك مصر على الحجاز اقتضرت مسألة إكساء الكعبة عليهم وحدهم، فدام هذا النهج حتى القرن التاسع للهجرة.

وأما الحدّ الذى نحن بصدده فى هذه المقالة فيرجع تأريخه إلى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى، وذلك أيام حكم

المماليك فى مصر- الملك الأشرف حتى الملك الطاهر- وحاكم خراسان أو كما يسميه المؤرخون العرب ب «ملك الشرق»

ص: ٢٤٠

شاهرخ ميرزا (ولد سنة ٨٥٠ هـ) بن الأمير تيمور غوركان.

طموح وهمة شاهرخ:

اعتلى شاهرخ عرش خراسان الكبيرة بعد وفاة الأمير تيمور سنة ٨٠٧ هـ.

واتخذ هرات عاصمة لحكمه. وتعد فترة حكمه بحق من ألمع فترات الحكم وأكثرها ازدهاراً في مجال العلم والفن والعمارة والبناء في هذه البقعة من الأرض. وكانت فكرة إكساء الكعبة حلتها تدور في ذهنه منذ ارتقائه عرش أبيه، وكانت هي أمله الوحيد الذي كان حِكراً على الحكام العرب حتى ذلك الحين، ولم يكن لأحد من العجم حق في أداء ذلك على الإطلاق.

وكان شاهرخ في الحقيقة يهدف من وراء كل ذلك الحصول على شرف معنوي لا مثيل له أولاً، وثانياً كان يريد كسر طوق التمييز بين مختلف الأقوام المسلمة والنهج اللانطقي لمماليك مصر، وثالثاً العروج الى المرتبة العليا بين الامم.

يصف عبد الرزاق السمرقندي، صاحب مطلع السعدين، شاهرخ بأنه «كان يحمل في جنباته دوماً طموحاً لا يُقاوم وهو إكساء بيت الله الحرام بالحلّة على يديه متى طُلب منه ذلك، إلّا أن هذا الطموح لم يكن ليحدث على أرض الواقع دون إذن من سلطان مصر».

المحاولة الأولى:

شرع شاهرخ بإعداد أرضية مناسبة لمحاولته الأولى منذ عام ٨٣٣ هـ. ويذكر مؤرخو مصر أن مبعوث شاهرخ ملك شرق (خراسان) وصل الى القاهرة في ٢٤ محرّم سنة ٨٣٣ هـ. وقام بتسليم الملك الأشرف رسالة من السلطان المذكور. وأما الرسالة فقد تضمّنت ثلاثة أمور رئيسية، هي:

الأمر الأول: كان شاهرخ قد طلب في الرسالة في بدايه الأمر اهداءه كتابين هما:

ص: ٢٤١

١- شرح البخارى لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى.

٢- تاريخ السلوك لدول الملوك لثقى الدين أحمد بن على المقريزى.

هذا الأمر يذهب بنا الى مدى اهتمام الحلقات العلمية فى هرات بالاكشافات الجديدة فى عالم العلوم فى تلك الحقبة. الأمر الثانى: كان شاهرخ قد ذكر فى رسالته تلك أنه كان قد نذر أن يهيب حلة للكعبة الشريفة ويرسلها لإكسائها هناك، وأما الأمر الثالث: فقد أبدى شاهرخ اقتراحه فى فتح غدیر ماء ويجريه الى مدينة مكة، وكأنه أراد بذلك أن يضع التجارب الخاصة بالإرواء والسقى بواسطة القنوات ومجارى المياه، المعمول بها فى خراسان آنذاك موضع الفعل فى مدينة مكة للاستفادة منها هناك. ويذكر ابن تغرى بردى مؤلف كتاب «النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة» أن أياً من مطالب ملك الشرق لم تجب من قبل ملك مصر، على خلاف ابن إياس مؤلف «بدائع الزهور» الذى كتب يقول: ان السلطان قام بإرسال شرح البخارى وتاريخ المقريزى الى شاهرخ، إلا أنه امتنع عن قبول اقتراح شاهرخ بإرسال حلة للكعبة الشريفة، أو فى فتح القناة الى مكة. وكتب الملك الأشرف الى شاهرخ يقول: إن هناك أوقافاً تجرى لتهيئة حلة الكعبة، وأنه لا حاجة لأى من الملوك فى تهيئة ذلك. وأما ما يتعلق بالقناة فقد ذكر الملك الأشرف شاهرخ أن فى مكة آباراً وعيون ماء كثيرة، ولا داعى لإنشاء غيرها (ويظهر أن الملك الأشرف لم يكن على علم أو اطلاع حول ما قصده شاهرخ من قنوات ومجارى مائية، ولعله حسبها كآبار عادية وعيون كالتى توجد فى مكة).

وذكر ابن حجر كذلك أن ثلاثة مجلدات من «فتح البارى بشرح البخارى» أرسلت الى ملك الشرق.

غضب وتهديد:

كان لرفض حاكم مصر اقتراح شاهرخ وقعه الشديد على هذا الأخير، وأثار

ص: ٢٤٢

غضبه وسخطه، فقام بإرسال مبعوث آخر يُدعى هاشم شريف الى القاهرة حمله رسالة تهديدية لملك مصر. فوصل هاشم شريف القاهرة يوم الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك من تلك السنة. وحلّت رسالة شاهرخ من البسملة والختم المعهود، والتي دلت على مدى غضب ملك الشرق (سلطان خراسان) واستيائه.

وابتدأت الرسالة بالآيات الشريفة من سورة الفيل: ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ... ولم يذكر شاهرخ أى لقب رسمى أو غير رسمى، وكانت الرسالة على العموم تنم عن تهديد ووعيد لملك مصر. وعلى قول المقريزى كانت الرسالة مدوية كالرعد وقوية كالصاعقة. وكان شاهرخ، مع كل ذلك، قد أرسل بهديئة الى حاكم مصر ذكرها صاحب «بدائع الزهور» باسم «الهدية الغشوية». إلما أن الملك الأشرف لم يخضع لرسالة شاهرخ ولا تهديدها، بل بعث جواباً عليها لا تقل شدة فى اللهجة عن تلك التى أرسلها شاهرخ، وعلى رأى ابن أياس «من دق الباب سمع الجواب». هذا وتكررت رسائل العتاب والمعاتبة، التى بعث بها شاهرخ إلما أنه لم يلق النتيجة المرجوة. وكتب ابن تغرى بردى- الذى تنم كتاباته عن آثار ومواطن كثيرة ترمز الى العنصرية واللون- فيما يتعلّق بمسألة العناد، الذى أبداه الملك الأشرف ورفضه مقترح شاهرخ: لقد كان صمود وثبات الملك الأشرف إزاء مرامات شاهرخ ومطالبه- وذلك بعد فتح قبرص- أهم ما قام به الملك الأشرف طول سنى حكمه.

وكتب أيضاً: إن الملك الأشرف باحتكاره مسألة إكساء الكعبة بحلّتها قد حفظ لمصر هيبتها وحرمتها، ولحكام مصر شأنهم ومنزلتهم الى يوم القيامة. ولا- جرم أن ما دؤن من قبيل مؤرخين مصريين فى هذا الشأن يدل بوضوح على أن ابن تغرى بردى كان يُبالغ فى كتاباته ويشطط فيها، وأنه كان من المتملقين لحكام مصر، ويبدو من فحوى الرسالة التى بعث بها شاهرخ الى الملك الأشرف فيما بعد أن شاهرخ يقوم بطمأنه الملك الأشرف على وصول هداياه.

ص: ٢٤٣

مبعوث آخر:

كان تاج الدين على بن عبد الله الشريف مبعوثاً آخر من قبل شاهرخ، حمل معه هدايا ورسالة تتضمن إثارة للمقترح السابق، وكان تاج الدين صهر السيد الشريف الجرجاني، كما روى ابن حجر الذي كان قد رآه بنفسه: وصل المبعوث المذكور في ٢٧ محرم ٨٣٨ هـ. قام شاهرخ بذكر نذره السابق في الرسالة حول إرساله حلة للكعبة الشريفة لتعليقها داخل الكعبة، وطلب من الملك الأشرف إرسال مبعوث من قبله الى هرات ليستلم الحلة المذكورة.

فدعا الملك الأشرف قضاة من المذاهب الأربعة، وأقام لهم مجلساً، وقرأ عليهم اقتراح شاهرخ، وطلب منهم إبداء رأيهم، وإصدار فتوى بهذا الشأن.

فأجاب قاضى القضاة بدر الدين الحنفى: أن مثل هذا النذر لا أساس له.

هذا وقد انتقد ابن حجر قضاة المذاهب الأربعة أشد انتقاد، وذكر بعض أجوبتهم، التى لا تنسجم ومنطق العقل. وذكر ما قوله: «لقد قام بعض القضاة بكتابة الأسئلة والأجوبة المتعلقة بهذا الموضوع دون أن يُطلب منهم ذلك. وكتب البعض الآخر قائلين: إن من شأن هذا النذر أن يعطل الوقف وهو مما لا يجوز».

وكتب أحدهم يقول: «إنه لما كان هذا العمل من شأنه أن يتحكم بسلطان مصر فهو غير جائز». وأما السلطان فقد كان رأيه غلق هذا الباب تماماً؛ لئلا يتيح لسلطين آخرين فرصة إكساء الكعبة. ويذكر ابن حجر أن رأيه كان كما قال السلطان؛ لأن من شأن هذا العمل أن يفتح المجال للآخرين للدخول الى هذا الملعب.

ورافق الشريف تاج الدين، أثناء عودته الى خراسان، اقطوه موساوى مؤيدى المضيف حاملاً رسالة جوابية من السلطان فى مصر الى شاهرخ.

أمر الكعبة مناط بملوك مصر:

وكتب الأشرف فى رسالته الى شاهرخ: أن مسألة إكساء الكعبة الشريفة أمر مناط بملوك مصر ومتعلق بهم دائماً وهم، أى ملوك مصر، يقومون بتهيئة الأموال

ص: ٢٤٤

اللازمة لعمل ذلك من دار الأوقاف المخصّص لهذا الغرض. وكان السلطان الأشرف قد اقترح على شاهرخ أن يبيع الحلّة، التي صنعها للكعبة ويتصدّق بمالها على فقراء مكّة إن هو أراد أن يفى بنذره ممّا سيضاعف له الثواب، ويستفيد أكبر عدد ممكن من الناس من ذلك المال.

وفي ٤ شوال وصلت رسالته من شاهرخ الى القاهرة تتضمن تهديداً وانتقاداً لما يؤخذ من التجار من أموال باسم (حقّ النزول الى الميناء)، وتلمّح الرسالة ضمناً أنّ شاهرخ يعتزم التحرك باتجاه القدس الشريف. وأما اقطوة- مبعوث سلطان مصر- فقد رجع الى القاهرة في ٢٨ جمادى الآخر عام ٨٣٩هـ. ثم وصل على إثره في صباح اليوم التالي الشيخ صفا مبعوث شاهرخ الى القاهرة حاملاً رسالته اخرى من ملك الشرق. كيف عومل الرسول؟

استقبل الملك الأشرف الشيخ صفا الهروي في الاصطبل السلطاني، وقام الشيخ بتلاوة رسالة شاهرخ بصوت عالٍ، وكان الملك الأشرف يستمع. وأمّا الرسالة فكانت تسمّى - بلسان شاهرخ- سلطان مصر نائباً لشاهرخ، ويأمره فيها أن يبدأ خطّيه ويضرب المسكوكات النقدية باسمه. فلما انتهى الشيخ من قراءة هذه الفقرة من الرسالة، تقدّم الشيخ نحو السلطان ليسلمه الخلعة، التي أرسلت إليه من خراسان لكي يلبسها، وكذلك أرسل مع الخلعة المذكورة تاجاً للملك الأشرف.

فشاط بالملك الأشرف الغضب، وأمر بتمزيق الخلعة، وأمر بالشيخ التّعيس فضرب ضرباً مبرحاً، وغطّس بالمسكين في حوض الإصطبل في يوم ذى زمهرير، حتى شارف الشيخ على الموت، ولم يتجرأ أحد على التوسّط لإنقاذه. ويقول ابن تغرى بردى ما شرحه: أنّه لم ير السلطان في هذه الحالة من الغضب فيما مضى قطّ. ثم دعا السلطان الشيخ صفا وسلمه رسالة تحتوي على مضامين عنيفة وعبارات شديدة جواباً على من بعثه. ومن بعض ما قاله السلطان في رسالته هو أنّه لن يقبل

ص: ٢٤٥

شاهرخ هذا أن يكون حتى أصغر حراسه الليلىين فى أقصى قرية تقع تحت ملكه، وهو يدعو نائبا له على مصر. فأمر أن يطرد مبعوث شاهرخ ومرافقيه من مصر ويركبوا البحر راجعين. فوصل الجماعة الى مكة، وظلوا هناك حتى جاء موسم الحج فأدوا المراسم، وطفقوا راجعين الى بلدهم.

وأما ابن تغرى بردى فقد وصف ضرب وشتم مبعوث شاهرخ وتمزيق رسالته بأنه من أفضل أعمال الملك الأشرف وأقدرها، وقام بكيل المديح له على فعلته تلك، التى لم تكن لتضاهيها فعلة أخرى طول فترة حكم السلطان المذكور.

وأما الملك الأشرف فلم يبق على قيد الحياة بعد تلك الواقعة طويلا، حيث مات سنة ٨٤١هـ. وتسلم العرش مكانه ابنه الملك العزيز، الذى لم يدم حكمه فترة طويلة، وخُلع عن ملكه وارتقى العرش مكانه الملك الظاهر.

حلم السائس الذى تحوّل الى واقع!

فى يوم ١٢ جمادى الآخرة سنة ٨٤٣هـ. دعا الملك الظاهر مبعوث شاهرخ القادم من هرات، وكتب مؤرخو خراسان من جملتهم عبد الرزاق وخواند مير يقولون: كان جقماق بيك - وهو نفسه الملك الظاهر - سائسا أيام حكم الملك الأشرف. فرأى فى ليلة حلمًا وكأن شاهرخ رفعه وأجلسه على العرش. فلما وصل جقماق هذا الى الحكم، أرسل مبعوثا الى شاهرخ فى هرات يُدعى جيچكتوقا، الذى كان من الأمراء الخاصين عنده. فوصل جيچكتوقا الى هرات فى ٨٤٣هـ.

ووفق الى تقبيل يد شاهرخ.

مبعوث مصر يلقى حفاوة بالغة:

سأل شاهرخ المبعوث المصرى عن أحوال الملك الظاهر بعد أن أجلسه عن يمينه، وأقيم له استقبال منقطع النظر وضيافة كريمة، وكانت معظم الأواني والأطباق المستخدمة فى تلك الضيافة مطعمة بالجواهر الحمراء. وأقام له الأمراء الآخرون ضيافة مستقلة وقدموا إليه هدايا ثمينة جدا.

ص: ٢٤٦

علماء مصر يطلبون كتباً من خراسان:

وفى هذه المرّة على عكس المرّة السابقة طلب علماء مصر من خراسان كتباً عدّة. وتقدّم جيّجكتوقا بطلب من السلطان جقماق (الملك الظاهر) لإرسال خمسة كتب قيّمة من مكتبة هرات هي:

١- تأويلات أهل السنّة والجماعة للشيخ أبو منصور الماتريدي.

٢- التفسير الكبير للعلامة الرازى.

٣- شرح تلخيص جامع للخواجه مسعود البخارى.

٤- شرح الكشاف لمولانا علاء الدين بهلوان.

٥- الروضة، فى المذهب الشافعى.

وروى خواند مير أنّه بالرغم من وجود تلك الكتب فى مكتبة هرات إلّا أنّ تلك الكتب امر بها أن تُكتب بخط جيّد وجديد وتمّ فهرستها، واعطيت الى جيّجكتوقا. وبعد أن تسلّم جيّجكتوقا مبلغ (٥٠) الف دينار وهدايا ثمينة اخرى عاد الى مصر. واعطى لكلّ خادم له وهم خمسون، الف دينار كهدية له إضافة الى الفرس والحلّة الشخصية. ثم أمر شاهرخ حكامه فى اصفهان وشيراز ويزد وكاشان أن يقوموا باستقبال مبعوث مصر ومرافقيه أحسن استقبال، وأن يقدموا لهم ما استطاعوا من الهدايا.

المبعوث الذى قضى نجه فى الطريق:

قام مولانا حسان الدين مباركشاه پروانجى أحد علماء هرات بمرافقة مبعوث السلطان المصرى حتى مصر إلّا أنّه قبل بلوغه القاهرة توفى فى (١٣ ربيع الآخر ٨٤٤ هـ) وقام ابنه خواجه كلان أو كلال نيابة عنه بايصال هدية شاهرخ ورسالته الى القاهرة.

عاصمة مصر تزدان بمبعوثى خراسان:

وصل الخواجه كلال ومرافقوه الى القاهرة فى ٢٦ ربيع الثانى ٨٤٤ هـ. وكانت

ص: ٢٤٧

العاصمة المصرية قد زُيِّت بالمصايح في كل ركن منها، وخرج ابن سلطان مصر مع جماعة من الأمراء؛ لاستقبال الوفد القادم. ووصف ابن تغرى بردى والمقريزى ذلك اليوم بأنه كان يوماً مشهوداً، وأن القاهرة لم تشهد طول حياتها مثل ذلك اليوم. وكان شاهرخ قد أرفق رسالته بهدايا قيمة شملت (١٠٠) فص من الفيروز و (٨١) باله من الحرير، وعدداً من الحلل والجلود والقرب، وثلاثين بغيراً خراسانياً وأشياء ثمينه أخرى. وتسلم المبعوثون الخراسانيون بالمقابل هدايا قيمة كذلك. ثم توفى الخواجه كلال ودُفِن الأب والابن معاً في القدس الشريف بصورة مؤقتة.

مَنْ صَبَرَ ظَفِرًا!

غادر السيد محمد زمزمى في ٨٤٧ هـ. الى مصر، فوافق الملك الظاهر على طلب شاهرخ لإكساء الكعبة بالحلّة وأن يفى بنذره كيف ما ارتأى. فأنيط أمر نقل الحلّة الى بعض من كبار رجال خراسان منهم الشيخ محمد المرشدى شيخ الإسلام وشمس الدين محمد أبهرى. ويروى مؤرخو مصر أن إحدى زوجات تيمورلنك كانت ترافق القافلة المذكورة.

حلّة يزدية:

كان قد تمّ صنع حلّة الكعبة الشريفة في دار العبادة في يزد، ثم ارسلت الى هرات وحُفِظَت في خزانه العاصمة. فحمل المبعوثون في هذه السنة (٨٤٨ هـ) تلك الحلّة وتوجهوا الى مصر.

كانت ترافق الحلّة مجموعة مؤلفة مما يقارب مئة شخص. فلما وصلت القافلة الى الشام استقبلهم أمراء وأعيان تلك المنطقة بحفاوة بالغة. وأثناء وصولهم الى مصر في يوم الخميس ١٥ شعبان ٨٤٨ هـ. خرج جمع من المقرّبين الى الملك الظاهر وبعض خواصّه؛ لاستقبال القادمين، وأنزلهم في دار جمال الدين المحافظ في ناحية بين القصرين. ثم تمّ استقبالهم من قِبَل الملك الظاهر سلطان مصر يوم الاثنين ١١ رمضان ٨٤٨ هـ. وكان قد أصدر السلطان أمراً بإعداد حفلٍ بهيئاً ترحيباً بالضيوف،

ص: ٢٤٨

وقد وصف السخاوى وابن تغرى بردى ذلك الحفل بإسهاب وإطناب.

السَّرقة تطال المبعوثين:

بالرغم من أنّ السلطان كان قد أمر بوضع ما أتى به المبعوثون من الهدايا، وكذلك حُلّة الكعبة فى مكان آمن وأمين، إلّا أنّ مجموعته من المماليك الذين بلغ عددهم (٣٠٠) نفر قامت بالهجوم على الضيوف أثناء عودتهم من قصر السلطان الى منزلهم، وسلبوا ما كان معهم من الهدايا والأشياء النفيسة الاخرى من كُتب وفُصوص وقِرب وذهب وجلود ..

وهُرِعَ اثنان من أمراء مصر وهما يلخجا (يل خواجة) وينال علايى دوادار والأمير تنبك حاجب الحجاب على إثر سماع صياح وأصوات المبعوثين الخراسانيين وانقذوهم من براثن اللصوص.

السلطان يقَدّم اعتذاره

ويروى عبد الرزاق السمرقندى أنّ السلطان تأثر كثيراً بعد سماعه نبأ الهجوم على المبعوثين الخراسانيين وقال: لقد أغضبَ المشاغبون صديقى وألبوه علىّ. فقَدّم اعتذاره لخراسان، ثم أمر بإرجاع كلِّ ما سُلِبَ إلى أصحابه، وأغدق عليهم من الهدايا ما زاد عمّا فقدوه.

معاقبة اللصوص:

عوقِبَ المماليك الذين قاموا بالهجوم على المبعوثين، وقطعت رواتب بعضهم، وقُيِّدَ البعض الآخر بالسلاسل وطيف بهم فى طول المدينة وعرضها، ونودى بين الناس أنّ هذا هو عقاب من يقوم بسرقة أموال حجّاج بيت الله.

ثم بعث سلطان مصر بحجّاج مصريين رافقوا المبعوثين الخراسانيين إلى مكّة، وعُلِّقت الحُلّة أخيراً داخل الكعبة فى يوم عيد الأضحى المبارك، ثم عادَ المبعوثون الى هرات بعد أدائهم مراسم الحجّ، وعند وصولهم الى هناك قاموا بتقديم تقرير مفصّل عن رحلتهم تلك المليئة بالمغامرات الى شاه رخ.

ص: ٢٤٩

(المصادر)

- ابن إياس الحنفى، محمد بن أحمد، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج ٢ ص ٢٤٤-٢٤٥.
- ابن تغرى بردى يوسف، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج ١٤، ص ٧٧، ٢٦٥-٢٦٦، ج ١٥، ص ٣٦٤-٣٦٥.
- ابن حجر العسقلانى، أحمد بن على، أنباء الغمر بأبناء العمر، بيروت، ١٤٠٦ هـ. ج ٨، ص ٤٩، ٣٢٩-٣٣٠.
- خواند مير، غياث الدين محمد، حبيب الشير، طهران، ج ٣، ص ٦٢٦-٦٣٣.
- السخاوى، محمد بن عبد الرحمن، التبر المسبوك فى ذيل الملوك، القاهرة.
- عبد الرزاق السمرقندى، مطلع اليفسدين ومجمع البحرين، مخطوطة.
- القلقشندى، أحمد بن على، صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، بيروت ١٤٠٧ هـ.
- المقرئى، تقى الدين أحمد، السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، صفحات مختلفة.

الوضع الاقتصادى فى الجزيرة العربية

ص: ٢٥٠

الوضع الاقتصادى فى الجزيرة العربية

كاظم النصيرى

كان البدو يحترفون المهن، وكسب الرزق عن طريق الصناعة، وقد اقتصر عملهم فيها على مصنوعات بسيطة، يصنعها العربى لنفسه.

أما الزراعة فإن الجفاف وطبيعته البلاد العربية، قد جعلها الأرض قاحلة.

وحتى التجارة فإنه لم يكن للبدو خلق يؤهلهم لها، وقليلاً ما كانوا يمارسونها، بيد أنهم قد استخدموا حراساً للقوافل التجارية، أو أدلاء لها لقاء أجور يتقاضونها من أصحاب القوافل، الذين ربما استأجروا منهم جمالاً لنقل بضاعتهم. ومع كون التجارة هى المهنة التى يكتون لها شيئاً من الاحترام أكثر من سواها، فإنهم كانوا يكرهون التكالب عليها، وينددون باندفاع قريش فيها.

إنما كانت معيشة البدو قائمة على ما تنتجه مواشيهم من ألبان ولحوم يتغذون بها، ومن صوف ينسجون منه خيامهم ولباسهم، ومن جلود يستعملون منها قراباً أو أحذية يحتذونها. كما كانوا يعتمدون على الموارد التى تأتيهم من الغزو، الذى كان ركناً من أركان الحياة فى الصحراء. ولم يكن نوعاً من اللصوصية، بالرغم من

ص: ٢٥١

أنه شبيه بها، بل كان في نظرهم نوعاً من الممارسة المباحة ومن التقاليد المتعارف عليها، إذ تغير قبيلة على أخرى بسبب عداوة بينهما، أو حتى بسبب كونها أضعف منها، تأخذ إبلها وماشيئها ومتاعها، وتسبي نساءها وأولادها، فتتحفز القبيلة المعتدى عليها للأخذ بالتأر، وتتربص بالأولى، حتى إذا واتتها فرصة سانحة، انقضت عليها لتغزوها بدورها، وتسلبها ما تملكه، ثاراً منها لما فعلته بها. ومما درج عليه العرب أنهم يحتفظون بالسبي من نساء وأولاد، حتى ترسل قبيلتهم الفدية التي تطلبها القبيلة المنتصرة، كما كان المغيرون يتحاشون جهد استطاعتهم إراقة الدماء (١) ..

فاليئة البدوية بيئة غزو وغارات، وما ذلك إلا لأن الصحراء قليلة الموارد شحيحة بالنبات. فالقبيلة التي تشعر بأنها لا تملك ما يؤمن لها موارد الرزق والمعيشة، ترى من حقها أن تأخذ ممن يملك، حتى أصبح الغزو جزءاً من عقلية البدوى وطبعه.

التجارة في الحضرة:

يختلف الأمر بالنسبة للحضر، ذلك أن التجارة هي التي حظيت بالاهتمام في المجتمعات الحضرية، فأقبل القوم عليها إقبالاً شديداً إلى درجة أن المؤرخ اليوناني (سترابون) الذي اهتم بأحوال العرب في الجاهلية، كان يرى أن كل عربي فيها تاجر أو دليل (٢). ويقول (درمنجهايم): إن العرب كانوا الرواد الأوائل للتجارة العالمية، ولم يكن باستطاعة (الرومان) القدماء الاستغناء عنهم في هذا الميدان. وبلغ من أهمية التجارة لديهم، أن الملوك والزعماء كانوا أحياناً تجاراً، فملوك المناذرة كانوا يرسلون (القوافل التجارية) إلى أسواق الحجاز في كل عام، كما كان ولاية الأمر في تدمر قد مارسوا التجارة، وكذلك عليّة قريش ورؤساؤها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التجارة كانت العامل الهام في نشوء دولة الشمال العربي. وكان أثرها كبيراً على أوضاع دول الجنوب العربي، من حيث

ص: ٢٥٢

تذبذب عواصمها، وانتقالها تبعاً لانتقال الأهمية التجارية من مكان إلى آخر، حتى أن سقوط بعض الدول ونشوء غيرها، سواء في الجنوب أو في الشمال، كان على الغالب مبنياً على أساس ازدهار التجارة في الدولة الجديدة الناشئة، وانحطاط التجارة لدى الدولة الزائلة بسبب تحوّل الطرق التجارية عنها، وانحيازها إلى الدولة الناشئة. فضلاً عن ذلك، فإن العامل التجاري قد كيف سياسة الدول الأجنبية المحيطة بشبه جزيرة العرب، وحدّد موقفها تجاه بعض الدول التي قامت فيها، إذ طمعت فيها كلّ من بيزنطة والحبيشة، وصمّت إمّا على انتزاع مقاليد التجارة من يدها، بالسيطرة على المسالك التجارية الهامة التي تصلها بالشرق الأقصى، أو باحتلالها. والواقع أن بعض أطراف شبه الجزيرة قد رزحت تحت الاحتلال الحبشي.. (١) ..

تجارة مكّة:

يقول (درمنجهيم): إنّ الازدهار التجاري الذي تصيبه شبه جزيرة العرب بعامة ومكّة بخاصة، كان مرتين بطريق الهند، فبحسب أن يمرّ الطريق إلى الهند من الشمال عبر وادي الرافدين - فارس - أفغانستان أو من الجنوب والغرب، عبر شبه جزيرة العرب والخليج واليمن، يكون العرب إمّا فقراء أو أغنياء (٢). والواقع أن مكّة قد استفادت من وقوعها على طريق (الهند)، ذلك أن القوافل التجارية الآتية من (اليمن) ببضائع (الهند)، والذاهبة إليها، كانت تمرّ فيها بوصفها محطة تجارية، لا بدّ لها من النزول فيها. كما أعان على ازدهار مكّة وارتقائها من محطة تجارية إلى مدينة عامرة تدهور العلاقات بين إيران وبلاد الشام البيزنطيتين، ونشوب حروب طويلة بين الطرفين، في القرنين اللذين سبقا ظهور الإسلام، مما أدى إلى تعطيل التجارة بين بلاد الشام والهند عبر إيران وأفغانستان، وإلى انتقال النشاط التجاري إلى شبه جزيرة العرب، وخاصة إلى ساحلها الغربي الواقع على البحر الأحمر، فاتّجه المكيون إلى التجارة، وانصرفوا إليها بكليتهم، ولا سيما أن سقوط اليمن في

١ - ١٠١. :nehac dnalc. ١٠١٠ - ١٠١١. الوسطى / ص ١١١.

٢ - ٢٧٢. :mehgnemreD elimE p, dibI

ص: ٢٥٣

أيدي الأحباش، قد أدّى إلى خروج مقاليد التجارة من أيدي اليمنيين، وانتقالها بطبيعة الحال إلى أيدي المكين، فعوّضتهم التجارة ما حرمتهم الطبيعة من موارد الزراعة، بسبب كون الحجاز اقليماً يسوده الجفاف وال فقر في النبات.

أسهم المكين إضافةً إلى نشاطهم التجاري الداخلي، في التجارة العالمية، فتاجروا مع مصر والحبشة، عبر البحر الأحمر عن طريق ميناء الشعبة؛ الذي كان ميناءً لمكة في العهد الجاهلي ومع اليمن، ولا سيما بعد أن نظّم هاشم بن عبد مناف رحلتي الشتاء والصيف، الأولى إلى اليمن والثانية إلى الشام، فجعلهما منتظمين (١) ..

وكان لقريش عداهما رحلات تجارية تسير في أوقات مختلفة غير معينة، فأرسل المكين قوافلهم إلى أسواق الحيرة، كما أرسلوها إلى الشام، يحملون إليها بضائع الهند من مجوهرات وتوابل وأقمشة نادرة، وبضائع الصين من ملابس حريرية مترفة للأباطرة والرهبان ورجال البلاط، ومن عطور وبضائع شرقي أفريقيا ومن ريش نعام وعاج ومسحوق الذهب و صمغ للكنايس، علاوة على صادرات الجنوب العربي من بخور ولبان وجلود ومعادن ثمينة وعطور (٢)، ويعودون منها بالحبوب والزيوت والخمور، والمنسوجات القطنية والكتانية، والحريرية، وحتى بالأسلحة التي كانت بيزنطة تفرض الحظر على تصديرها، فيلجأ العرب إلى تهريبها. وكان ارتحال القوافل أو قدومها يثير ضجة عظيمة في مكة، فما أن يعلن عن قدوم إحداها حتى يهب سكانها في شبه هيجان، ويستقبلوها بالدفوف والتهتافات (٣)، لم تكن تجارة قريش ضيقة المجال، بل كانت عظيمة الاتساع، ولم تكن قوافلها ملك أفراد، بل كانت تعبيراً عن آمال مدينة بأسرها، تحمل أموالاً لأهل مكة جميعاً، منهم من يسافر معها، ومنهم من يستأجر رجالاً يقومون بهذه المهمة، ويسهم الجميع في رأس مالها، وقد تبلغ قيمة أسهم أحدهم كأبي أحيحة بن سعيد بن العاص بن أمية، وهو من أبرز أثرياء مكة، (ثلاثين ألف دينار)، وقد لا يتجاوز سهم أحد الفقراء منهم نصف دينار. ويصل

١- ٢١. p, malsI L: ssaM irneH

٢- ٢ المصدر السابق.

٣- ٣. ٢٨. ٢٧. pp., dibI: mengncamreD elimE

ص: ٢٥٤

عدد الإبل السائرة فيها إلى أكثر من (١٥٠٠) بعير، شاهد (استرابون) إحداها فقال: إنها أشبه بجيش سائر، إذ يرافقها حراس يتراوح عددهم بين (٢٠٠-٣٠٠) مسلح (١).

والواقع أن تجارة قريش كانت تسير بقوافل لضمان حماية الأموال، إذ يرافقها رؤساء وحراس وأدلاء يقل عددهم أو يكثر، بحسب قلة الأموال الثمينة التي تحملها أو كثرتها.

ويختار الأدلاء من القبائل التي تمر القافلة في أراضيها، لأنهم أعلم بطرقها من غيرهم، وأكثر خبرة بمواطن الماء والكلا، وأكثر علماً بمكانم الخطر الذي قد تتعرض له القافلة، كوجود عوارض طبيعية، يمكن أن يتخذها اللصوص وقطاع الطرق كمائن للإغارة عليها. كما يحرص المكيون على أن يكون رؤساء القوافل وحراسها، من الشجعان القادرين على تأمين حمايتها. ويعقدون الاتفاقات مع رؤساء القبائل التي تمر القوافل في أراضيهم، ويدفعون لهؤلاء الرؤساء أتوات وهدايا كي يسمحوا لها بالمرور، ويتعهدوا بحمايتها من اللصوص وقطاع الطرق، حتى إذا تعرض للقافلة أحد من هؤلاء بسوء، كان من واجب الرئيس المتعاقد معه، الذي يقع الاعتداء في منطقته، أن يتعقب المعتدين ويؤدبهم، وأن يعيد الأشياء المنهوبة إلى أصحابها. وكان التجار يضيفون مبالغ هذه الأتوات والهدايا إلى أسعار مبيع البضائع، الأمر الذي يجعلها غالية الثمن. وكثيراً ما كان أصحاب البضائع يلجأون إلى الوسائل المعنوية لحماية تجارتهم، مثل تقديم الهدايا والقرايين للآلهة عند مغادرة قوافلهم أو عند عودتها، وقد اتخذ بعض الأقوام كالانباط والتدمريين إلهاً خاصاً لحماية القوافل (ذو الثرى) عند الانباط و (ساعى القوم) أى حامى القوافل عند التدمريين.

ويعقد القائمون على الحكم العهود والمواثيق مع رؤساء وحكام الدول المحيطة بهم، التي تقصدها قوافلهم، وهى التي تخولهم حق المرور في أراضيهم والاتجار فيها

ص: ٢٥٥

وتوفير الأمان لها وحسن الجوار (١). أشبه شيء بالاتفاقات التجارية، التي تعقد بين الدول في أيامنا الحاضرة، ووفقاً لهذه العهود يتاح للتجار القرشيين التنقل في البلاد التي تعقد معها دون أن يعترضهم أحد، كما يتاح لأي دولة منها إذا شاءت أن تراقب الوافدين إليها. فالقوافل العربية التي كانت تقصد الشام كانت تتسوق من أسواق عينتها الحكومة البيزنطية لتحصّل منها الضرائب، ولتراقب الوافدين الأجانب إلى بلادها (٢).

وقد اعتمد الروم البيزنطيون على تجارة مكة في كثير من شؤونهم ووسائل ترفهم، ولا سيما في الحصول على الأقمشة الحريرية المزركشة الموشاة، ولم يكن بوسعهم الاستغناء عما يأتونهم به. وقد ذكر بعض مؤرخي الغرب أنه كان للبيزنطيين بيوت تجارية في مكة يستخدمونها للشؤون التجارية وللتجسس على أحوال العرب (٣) ..

وتقاسم بنو عبد عوف النشاط التجاري في مختلف البلدان المجاورة، فكان هاشم الذي يروى أنه قد حصل على عهد أمان من القيصر البيزنطي لتجار مكة، يذهب إلى الشام، وعبد شمس الذي حصل على عهد مماثل إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس، وكلّ منهما حصل على عهد (إيلاف) من كلّ من ملكي اليمن وفارس (٤). وقد نشطت التجارة في عهد عبد المطلب بن هاشم، وازدهرت مكة وأصبحت مركزاً للصيرفة، كما يقول المستشرق (أوليدى)، ويمكن أن يدفع فيها التجار أثمان السلع، التي يتجر بها مع بلاد بعيدة، وكانت عمليات الشحن والتفريغ للتجارة الدولية تتم في مكة، ويجرى فيها التأمين على التجارة عند نقلها من مكة إلى مختلف الجهات عبر طريق محفوفة بالمخاطر (٥). وقامت طبقة من الصيارفة، يؤمنون للتجار عمالات الدول الأجنبية التي يتعامل معها القرشيون.

ومثلما كان لبيزنطة وفارس، وربما للحبشة أيضاً، ممثلون تجاريون في قلب مكة، كان لمكة أيضاً وكلاء تجاريون في أماكن مختلفة مثل غزة والشام ونجران.

١-١ أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول: ص ٩٣.

٢-٢ المصدر السابق.

٣-٣ ١٨٤٣. p, dammahuM erofen aibarA: yraeI O.

٤-٤ أبو علي القالي: الأمالي: ٣/ ١٩٩، سعيد الأفعاني: أسواق العرب: ص ١٥٥-١٥٦.

٥-٥ ١٨٢٥. p, dibI: yraeI O.

ص: ٢٥٦

كما كان يأتي إلى مكة قلة تجار أجنب من روم و فرس وغيرهم سكنوا فيها، وخالطوا أهلها؛ وتحالفوا مع أثريائها، وأقام بعضهم فيها لقاء جزيه سنويه يدفعونها لهم، لتأمين حمايتهم ولحفظ أموالهم وتجارتهم. وقد اتخذ بعض التجار الأجنب مستودعات فيها، لخزن بضائعهم التي يأتون بها كالقمح والزيت والزيتون والخمور (١)، وقد أدى اختلاط قوافل تجار العرب من قديم الزمن بعرب الشام وغيرهم، إلى تسرب كثير من الكلمات التجارية والحضارية من يونانية وغير يونانية إلى لغة العرب فتعربت بمرور الزمن في العهد الجاهلي (٢). ومما يدل على اهتمام الحجازيين بالتجارة كثرة الكلمات والعبارات المجازية، التي وردت في القرآن الكريم، سواء فيما يتعلق بالتجارة مثل الحساب والميزان والقسط والمثقال والذرة والقرض والربا والدينار والدرهم الخ... أو فيما يخاطب التنزيل الحكيم قريشاً باللغة، التي تفهمها وهي التجارة، من ذلك الآيات الكريمة: يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٣).

يقول (درمنجهيم): إن القرشيين قد تميزوا عن العرب جميعاً بحسن تدوقهم للعمل التجاري، فدعموا عملياتهم التجارية بتنظيم مالي ومصرفي مدهش، واستعملوا عملات مختلفة منها الدينار البيزنطي، الذي كان له المقام الأول في شبه الجزيرة، ومنها عملات يونانية أو فارسية (الدرهم الفضي الفارسي)، أو حميرية كما كان لهم موازين عامة، ويعتقد بأنهم استعملوا الميزان ذا الكفتين، كما يستدل من بعض الآيات الكريمة، ومكايل (صاع، مد، ربع صاع) أشار إليها القرآن الكريم. وكان لهم موازين خاصة دقيقة يزنون بها السبائك الذهبية الخام، ومكايل خاصة يكيلون بها مساحيق الذهب. وقد عمد التجار المكيون إلى استعمال دفاتر حسابات تولوا مسكها، كما استعملوا أختاماً وأساليب معقدة ورموزاً في الكتاب

١- ١ د. جواد علي: مفصل تاريخ العرب قبل الإسلام: ٢٠٢ / ٤.

٢- ٢ الأفعاني: أسواق العرب: ص ٣٨.

٣- ٣ الصف: ١٠- ١١.

ص: ٢٥٧

كانت تثير تهكم البدو لجهلهم بها (١) ..

لم يكن التجار القرشيون يجمدون أموالهم الفائضة، بل كانوا يوظفونها في مشاريع استثمارية خارج الحجاز. فقد كان آل أبي ربيعة يشغلون أنوالاً لنسج الحرير في اليمن، وكان لأبي احيحة الثرى الكبير أموال موظفة في مشاريع زراعية في الطائف، ولأبي سفيان أملاك وولايات تجارية في شرق الأردن وفلسطين، ولعقبه بن أبي معيط مركز تجاري في مدينة صفورية بفلسطين. ومن الدراسات التي قام بها بعض المستشرقين يستدل على أن تجار مكة كانوا يراعون بعض المعاملات التجارية المالية، ويذكر الباحثون بعض الطرق التي كانوا يتبعونها، مثل طريقة عقد القرض، وطريقة الشراكة والمضاربة، إذ كانت تكتب بها صكوك، فيقدم امرؤ مالاً ويأخذ ربحاً، فيصبح شريكاً مضارباً، دون أن يشترك في العمل.

وكثيراً ما كان الفقراء أو البدو البسطاء ضحية أساليب الغش، التي يلجأ إليها التجار من ذوى الضمائر الفاسدة، أو الصيارفة الجشعون، الذين كانوا يقرضون المال بفائدة فاحشة تزيد عن (٥٠ في المائة) أو حتى (مائة في المائة) أو السماسرة والوسطاء المريبون، الذين يبتغون جمع الأموال دون ما حاجة إلى رأس مال (٢)، كما كانوا فريسة للمزورين الذين يكتبون بالقروش المؤداة إلى المدين مستندات يسجلون فيها ضعف المبلغ الذي يؤدونه له، والذين كانوا يستعملون أساليب لا حصر لها في الخداع والغش، فيحصلون على فوائد القروض مضاعفة، وتضاعف كلما تأخر المدين عن أداء الدين السابق، وهو الذي عثر عنه التنزيل الحكيم باسم (الربا) وحرمه. ومن التجارة التي راجت في مكة تجارة الرقيق، فأصبحت أكبر سوق لها، كما اصطبغت مكة بصبغة دولية، لكثرة ما كان يرتادها من غرباء جاءوا من أمم ومن أصقاع مختلفة، وأصبحت تعجُّ بهم عجاجاً، بينهم فرس وروم وأحباش وزنوج، كما كان منهم النصارى واليهود، يشكلون جاليات جاء أفرادها للتجارة أو للعمل اليدوي في البناء والزراعة والصناعة، أو جاء بعضهم هرباً من

ص: ٢٥٨

الاضطهادات الدينية في بلادهم الأصلية، مثل المسيحيين واليهود، وهذا ما يفسر لنا ما دخل لغة قريش من ألفاظ رومية أو فارسية أو حبشية وغيرها (١).

أسواق العرب:

كان للعرب أسواق تجارية عامّة، يقصدها الناس من شتى أنحاء شبه الجزيرة للبيع والشراء. وقد اختيرت لها الأماكن المناسبة، من حيث الاتساع والقرب من المدن المتحضرة وتوفر الماء. وهي تكون عادةً محاذيةً للسواحل، حيث المنخفضات، التي تتجمع فيها السيول الهابطة من المرتفعات المجاورة، أو مجاورةً للوديان التي تتوفر فيها الينابيع، أو متمركزة في واحات هي في الوقت نفسه محطات للتزود بالغذاء والماء، ومراكز تجارية ترتادها القوافل للبيع والشراء والراحة. ولم يكن عرب شبه الجزيرة فقط هم الذين يقصدون هذه الأسواق، بل كان يأتيها تجار من خارج البلاد. فقد كان الروم مثلاً يتوغلون إلى مسافات بعيدة في أراضي العرب الشاسعة للبيع والشراء (٢).

من هذه الأسواق ما هو دائم، ومنها ما هو موسمي مؤقت، يعقد في شهر معين من السنة، ومنها ما هو عام يرتاده العرب من شتى أنحاء شبه الجزيرة، أو ما هو محلي يتم فيه التبادل بين التجار والبدو المجاورين. ومع أن هذه الأسواق اقيمت لغاية أساسية هي التجارة وتبادل السلع المختلفة من طعام وشراب وثياب وسلاح وخيل وإبل، غير أنها لم تكن تقتصر على هذا الأمر، بل كان الشعراء والخطباء والمبشرون الدينيون من مسيحيين، وغيرهم يقصدونها للمباراة في الشعر والخطابة وبت الدعوات الدينية. ومما يرى أن الرسول صلى الله عليه وآله كان يخرج إلى هذه الأسواق، ويعرض دينه على القبائل العربية، التي ترتادها لهدايتهم. وربما جاء أحدهم لبيح عن غريم، أو عن عبد هرب من داره، أو عن دابة سُرقت له (٣)، أو ليسعى. وفي هذه الأسواق، لا سيما في سوق عكاظ، كان العقلاء ينتهزون فرصة اللقاء الزعماء من شتى القبائل، ليوفقوا بين المتخاصمين منهم والمتنازعين،

١- أحمد إبراهيم الشريف: مصدر سابق: ص ٢١٣.

٢-٢ د. جواد علي، مفصل تاريخ العرب ٤/٤١٣.

٣-٣ د. عمر فروخ، العرب في حضارتهم وثقافتهم: ص ٨٦.

ص: ٢٥٩

وليصلحوا بين قبيلة وأخرى تقتتلان، وتحلّ المشاكل الموجبة للنزاع من دفع ديات أو وفاء بالتزامات، أو دفع ديون. كما تعقد فيها عهود الجوار والمحالفات، وتعلن فيها القرارات التي تتخذها القبائل لخلع السفهاء من أفرادها. كانت الأسواق منتشرة في جميع أنحاء شبه جزيرة العرب، وموزعة على أيام السنة كلها بوجه التقريب. يقول القلقشندی (١): «كان للعرب في الجاهلية أسواق يقيمونها في شهور السنة، وينتقلون من بعضها إلى بعض، ويحضرها سائر قبائل العرب، من بعيد منهم ومن قُرب، فكانوا ينزلون دومة الجندل أول يوم من ربيع الأول فيقيمون أسواقها بالبيع والشراء والأخذ والعطاء فيعشرهم رؤساء آل بدر في دومة الجندل، وربما غلب على السوق بنو كلب فيعشرهم بعض رؤساء كلب، فتقوم سوقهم إلى آخر. ثم ينتقلون إلى سوق هجر، من البحرين في شهر ربيع الآخر فتقوم أسواقهم بها. وكان يعشرهم (المنذر بن ساوى) أحد بنى (عبدالله بن دارم)، ثم يرتحلون نحو عمان بالبحرين، فتقوم سوقهم بها، ثم يرتحلون فينزلون عدن من اليمن أيضاً، فيشترون منه اللطائم وأنواع الطيب، ثم يرتحلون فينزلون الرابية من حضرموت، ومنهم من يجوزها إلى صنعاء، ثم تقوم أسواقهم بها ويجلبون منها الخرز الأدم والبرود، وكانت تجلب إليها من معافر، ثم يرتحلون إلى عكاظ في الأشهر الحرم، فتقوم أسواقهم ويتناشدون الأشعار ويتحاجون، ومن له أسير سعى في فدائه، ومن له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة فيها من بنى تميم، وكان آخر من قام بها منهم (الاقرع بن حابس التميمي)، ثم يقيمون بعرفة يقضون مناسك الحج ويرجعون إلى أوطانهم».

إن أشهر أسواق شرقى شبه الجزيرة العربية: سوق (المشقر) بالبحرين قرب هجر، وكان يرتادها ساكنو الجهات الشرقية والغربية من شبه الجزيرة، كما يرتادها تجار الهند وفارس. ويرتاد هؤلاء سوقاً أخرى في البحرين هي سوق هجر. وفي عمان وجد سوقان احدهما سوق (دبا) وكانت مقصد الصينيين والهنود

ص: ٢٦٠

إلى جانب من يقصدها من سكان شبه الجزيرة، والأخرى سوق (صحار). واشتهر في جنوبي شبه الجزيرة العربية: سوق (الشحر) في المهرة، وسوق (عدن) وسوق (الرايية) بحضرموت وسوق (صنعاء) في اليمن. وفي شمالي شبه الجزيرة سوق (دومة الجندل) وتقع على منتصف الخط الواصل بين العقبة والبصرة تقريباً، وبالقرب من جبلى طى (أجأ وسلمى) وكان يتنافس على رئاستها كل من أكيدر العبادى من السكون، وقنافة من بنى كلب أيهما كانت له الغلبة عشر السوق. وأكيدر هو صاحب حصن دومة الجندل الشهير، وقد دهمه خالد بن الوليد بمناسبة وقعة تبوك، وتغلب عليه فأسلم بعدئذ. كان البيع يجرى في هذه بطريقة (بيع الحصاة)، ولم يكن أحد ممن يرتاد السوق يشتري أو يبيع حتى يبيع (الأكيدر)، ملك السوق، كل شىء يريد بيعه، ثم يشرع في استيفاء المكس على بيوع رواد السوق (١).

أما غربى شبه الجزيرة، ولا سيما الحجاز فقد حفل بكثير من الأسواق، وكان السبب في كثرتها أولاً: وجود الكعبة كمرکز دينى يستقطب الوافدين إليه لاقامة الشعائر الدينية، وبالمناسبة للقيام بالاعمال التجارية في أسواق اقيمت لمد الحجاج بما يحتاجون إليه. ثانياً: وقوع حواضره الهامة على المسالك التجارية المارة من الجنوب إلى الشمال. ثالثاً: لأن المنطقة متعددة الفعاليات، ففيها تجارة قريش المزدهرة، وبعض الواحات والحرث التي يتعاطى أهلها الزراعة، وتكثر فيها الغلات، وتقوم فيها بعض الصناعات، كما في يثرب وفدك وتيماء وغيرها من الحرث التي سكنها اليهود. وقد اشتهر هؤلاء بصناعات كثيرة نقلوها إلى هذه الجهات، مما جعل في المنطقة حركة مبادلات تجارية نشيطة.

سوق عكاظ:

ومن أشهر أسواق غربى شبه الجزيرة العربية: سوق عكاظ التي عرفت بأهميتها التجارية العظيمة إلى جانب أهميتها من الناحيتين الاجتماعية والادبية.

ففيها تباع أفخر الملابس وأطيب الخمر وأشهر أنواع الأسلحة، ويرد إليها من

ص: ٢٤١

اليمن البرود الموشاة وأحسن أنواع الطيوب، ومن الشام الزيوت والزيبب والخمور، ويباع فيها الحرير والأحذية وشتى الأدوات المعدنية ويعرض فيها الرقيق. وقد يأتي إليها غازٍ بما سلب من أسلحة خصم قتله في غزاة، فيرى ذوو المقتول سلاح قتلهم، فيترصدون بانه، حتى إذا ظفروا به خارج السوق تأروا منه لدم قريهم. وكان من عادة فرسان العرب المبرزين أن يأتوا السوق ملثمين، كي لا ينكشف أمرهم ويتعرف عليهم ذوو الثارات عندهم، فيذهبوا ضحية الثار.

وسوق عكاظ معرض لكثير من عادات العرب وأحوالهم الاجتماعية، ولحل بعض مشاكلهم السياسية، إذ كان يتم التحكيم بين القبائل المتحاربة ويتبادل الفرقاء المتخاصمون ديات قتلهم. ومن كان له أتاوة على قوم نزل على عكاظ فجاؤوه بها، ومن أراد إجارة أحد هتفَ بذلك في السوق، ليعلم عامة الناس بذلك.

والقبيلة التي تريد خلع أحد السفهاء من أفرادها ينادى مناديا بذلك فيها. وإذا أراد أحد أن يلحق آخر بنسبه أعلن ذلك. وفي السوق تعقد معاهدات الصلح والسلام، ويتفق المتخاصمون على دفع الديات. فالسوق كانت بمثابة جريدة من الجرائد الدورية والرسمية، أو بالأحرى وسيلة من وسائل الاعلام العامة. والى جانب كون سوق عكاظ معرضاً من معارض التجارة، وندوة من ندوات السياسة والاجتماع، فهي معرض من معارض الأدب والخطابة، إذ تعقد فيها حلقات الأدب والشعر، ويتناشد الشعراء قصائدهم، يحكم فيها أخصائون يكونون في الغالب من فطاحل شعراء الجاهلية، ففي الروايات أن (نابغة بنى ذبيان) كانت تضرب له قبة من آدم أحمر اللون في سوق عكاظ، يجتمع إليه فيها الشعراء، ويستمع إلى ما ينشدونه من قصائد فيعطى رأيه فيها. ولعل ما عرف باسم المعلقات هو ممّا كان يعجب به هذا الشاعر الكبير، وهذا يتم في كل موسم من مواسم السوق. ومعلقات الشعراء الجاهلين كثيرة، وهي من عيون الشعر في الجاهلية، ولعل تسميتها جاءت من تشبيهها لوجودتها بالقلائد التي تعلق في نحور الغانيات. ولم يكن أقل من

ص: ٢٤٢

ذلك شأن الخطباء والوعاظ، إذا يحتشد الناس حول أحدهم، وتشخص إليه الابصار، فيطلع عليهم بخطبة كخطبة قيس بن ساعدة الأيادي التي يقول فيها:

(أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات،...) وهي معروفة (١).

وكان إلى جانب سوق عكاظ أسواق أخرى أقل أهمية، مثل (مجنه) و (ذى مجاز) وهي قريبة من مكة. وفي يثرب وحولها قامت بعض الأسواق مثل سوق (بنى قينقاع) في يثرب نفسها، حيث كان العرب يتعاونون مصنوعات اليهود الذهبية والمعدنية وغيرها، وقد اشتهر بنو قينقاع بالصياغة. كما وجد في يثرب سوق يقيمها النصارى من سكانها تسمى (سوق النبط)، والمعتقد أن نبط الشام كانوا ينزلون فيها للتجار بالحبوب، كما قام خارج يثرب والى مسافة غير بعيدة منها سوق بدر، حيث وقعت الموقعة الشهيرة في الإسلام بين الرسول وكفار قريش وهو موضع توفر فيه الماء.

حماية التجارة في الأسواق:

تعارف العرب على تقاليد يلتزمون بها في أمور تجارتهم، ومواسم حجهم الى الكعبة. وهي تقضى بتحريم القتال خلال أربعة أشهر في السنة سموها الأشهر الحرم، ثلاثة منها متتابعة هي ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، وشهر واحد منفرد هو رجب الفرد، أو رجب الأصم، وربما كان السبب في تسميته (الأصم) كونه لا تسمع فيه قعقة السلاح. وكان من أعظم العار عندهم، أن يخرق أحدهم حرمة هذه الأشهر فيسفك فيها دمًا، حتى تنقضى تمامًا، وحتى يغادر الناس المكان الحرام، أي الكعبة وما يجاورها من أماكن محدودة المعالم، والحرب محرمة فيها طوال أيام السنة، فإذا لقي المرء قاتل أبيه ما وسعه التعرض له بسوء فيها. ولذا سمي العرب الحروب التي جرت بين كنانة وقيس عيلان في عكاظ باسم (حروب الفجار) لأنهم اقتتلوا في الأشهر الحرم، وامتدت اشتباكاتهم حتى الأماكن المقدسة. والسبب الذي حمل العرب على اتباع هذه التقاليد، هو حرصهم على توفير

ص: ٢٤٣

جو من السلام والطمأنينة، خلال مواسمهم الدينية التي يشترك الناس والقبائل من أرجاء شبه الجزيرة العربية كافة فيها. وقد حرصوا على جعل أكبر أسواقهم تقام في الأشهر الحرم؛ لتوفير جو السلام والهدوء للتجارة أيضاً. فكانت سوق حُباشة وسوق صحار في رجب، وسوق حضرموت في ذي القعدة، وأسواق عكاظ ومجنة وذى مجاز في ذي الحجة (١)، بحيث لا- ينتهي بيعهم وشراؤهم من سوق عكاظ حتى ينصرفوا إلى السوق التي تعقد بعدها، ويستمر تنقلهم على هذا المنوال طوال أيام السنة تقريباً. كما أن من الأسواق ما كانت تقام في غير الأشهر الحرم، الأمر الذي أوجب أن يكون قدوم الناس إليها بعروضهم التجارية بخفارة، ورجوعهم منها كذلك، خوفاً على هذه العروض من أن تكون نهباً مقسماً للصوص وقطاع الطرق. فتجارة العرب كانت أروج ما يكون حيث يستتب الأمن، ويعم الهدوء، وتعم الثقة. وقد تميزت مكة وما يجاورها من مناطق بهذه الميزة لمجاورتها الكعبة، فغنيت وازدهرت من التجارة، وفرضت نفوذها الأدبي على القبائل العربية كافة.

بيد أن رعاية التقاليد الآنف الذكر ليست بالشىء المطرد على اطلاقه، بل قد يحدث أن بعض القبائل لا تعرف لهذه الحرمات حقاً، فتسفك الدم ولو في الشهر الحرام وفي البلد الحرام (٢)، أو أن طالب ثأر لا يملك أعصابه حينما يشاهد قاتل أخيه أو أبيه فيقتله، الأمر الذي حمل القوم على التفكير في توفير الحماية لهذه الأسواق.

وقد اطلق على من يقومون بهذه المهمة اسم (الذادة المحرمين)، بينما اطلق على الذين يهتكون حرمة التقاليد المتعارف عليها اسم (المجلىين). ويشرف على مهمة الذود عن (التحريم) الملوك، إذا كانت الأسواق تعقد في أرض مملكته، أو رؤساء القبائل الذين تقوم الأسواق في جوارهم. والرئيس الذي يحمى السوق يلقب باسم (ملك السوق)، وربما تنافس رئيسا قبيلتين مجاورتين على ملكية السوق، فيجرى الاتفاق بينهما على التناوب في القيام بهذه المهمة. وتتجلى سيادة الرئيس بأخذ العشر من التجار عما يباع، ويطلق عليه اسم (المكس)، وكان يقال للعشار

١- ١ الأفغانى، أسواق العرب: ص ٧٠.

٢- ٢ المصدر السابق: ص ٧٣.

ص: ٢٦٤

صاحب المكس (١).

وربما اعتبر بعضهم المكوس بمثابة غرامات، وإلى ذلك يشير الشاعر (جابر ابن حنى التغلبى) بقوله:

أفى كل أسواق العراق أتاؤه وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم طرق البيع ومصطلحاته:

هناك طرق مختلفة للبيع والشراء عرفت فى الجاهلية. وبعضها يبدو على شىء من الغرابة، بحيث لا يختلف عما هو معروف لدينا الآن باسم (الحظ واليانصيب)، وقد أبطها الإسلام إثر قيامه. ولعل أشهرها طريقة بيع الحصاة التى كانت معروفة فى سوق دومة الجندل. وتم على أشكال مختلفة، كأن يقول البائع للمشتري: ارم هذه الحصاة على أى ثوب وقعت فهو لك بكذا من الدراهم. أو أن يعترض المشتري قطعاً من الغنم فيقول له صاحبه: ارم حصاة (فأى شاء أصابتها فهي لك بكذا). أو أن يبيع رجل من أرضه بقدر ما تنتهى إليه رمية حصاة بكذا من النقود. أو أن يقبض على كف من الحصى ويقول: لى بكل حصاة درهم ثمناً لكذا من الأشياء أو السلع التى يبيعها.

أو أن يجتمع نفر على سلعة يساومون صاحبها عليها، فأيهم رضى القى حصاته فيقع عليه البيع (٢).

ومنها بيع الملامسة: وذلك بأن يأتى البائع بثوب مطوى نهاراً أو فى ظلمة، فيلمسه المستام، فيقول له صاحب الثوب: «بعته بكذا شرط أن يقوم لمسك له، مقام نظرك، ولا خيار لك إذا رأيت، فلا يقبل المشتري الثوب لا ليلاً ولا نهاراً. ومن طرق بيوع الجاهلية:

بيع المعاومة: كأن يبيع الرجل ثمرة شجرة عامين أو ثلاثة أو أكثر. وهو بيع مجهول وغير مملوك.

١-١ المصدر السابق: ٥٦.

٢-٢ الآلوسى، بلوغ الارب ١/ ٢٦٤.

ص: ٢٦٥

بيع المزابنة: وهو بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر كيلاً، أى بيع شىء لا يسلم كيله ولا عدده ولا وزنه بمسمى من مكيل وموزون ومعدود، وقد يكون بيع معلوم بمجهول من جنسه، ويحتمل فيه الغبن فهو بيع مغابنة. وسمى بيع المزابنة؛ لأن أحد المتابعين إذا ندم زين صاحبه عما عقد عليه، أى دافعه في ذلك.

بيع التصرية: وتتلخص بأن الرجل إذا أراد بيع شاة أو ناقه امتنع عن حلبها أياماً، فيحتفل اللبن في ضرعها فيعظم. فإذا كان ذلك منها عرضها للبيع، فيظن المشتري أن كثرة لبنها واحتفال ضرعها عادة مستمرة لها، فلا يلبث أن يتبين خطأه بعد شرائها. والتصرية تعنى الجمع، يقال: صر الماء في الحوض إذا جمعه.

ومن يبيع الجاهلية بيع ما فى بطون الحوابل من الحيوانات، وأخيراً هناك ما يقال له:

بيع النجش: وهو أن يواطئ البائع رجلاً آخر، فيحمله على امتداح بضاعته، أو أن يساومه عليها بثمن مرتفع، فينظر إليه ناظر يرغب فى شرائها، فتجوز عليه الخدعة ويشترى السلعة بثمن مرتفع (١).

وأخيراً هناك:

بيع الناجز: وهو البيع المعروف لجميع الناس بادين وحاضرين وذلك إذا كانت المبادلة يداً بيد. قالوا: بيع السوق ناجزاً بناجز أى حاضرراً بحاضر (٢).

الهوامش:

١-١ الافعاني، أسواق العرب: ص ٤٩-٥٤.

٢-٢ المصدر السابق: ص ٥٥-٥٦.

ص: ٢٦٧

معجم ما كتب في الحج والزيارة ... (٦)

معجم ما كتب في الحج والزيارة ... (٦)

معجم ما كتب في الحج والزيارة ... (٦)

عبد الجبار الرفاعي

الدائرة بين مكة والبلاد

ابن فضل العمري القرشي (٧٠٠-٧٤٩هـ)

ظ: المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣-٤) /٤ ١٤١٠هـ

١٠-١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٥.

دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مدرسة في الإسلام

أحمد العربي

المنهل (جدة) مج ٦: ج ١١-١٢ (١١-١٢) / ١٢ ١٣٦٥هـ

١٠-١١ / ١٩٤٦ م)

ص ٥٤٠-٥٤٢.

دار القلائد فيما يتعلق بزعم وسقاية العباس من العوائد

ابن علان المكي

ظ: المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣-٤) / ٤ ١٤١٠هـ

١٠-١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠.

دار الندوة

فؤاد طرزي

العربي ع ٣٥ (١٩٦١ م) ص ٢٤-٢٧.

دار الهجرة وأهلها

عزالدين الخطيب التميمي

ص: ۲۶۸

هدی الإسلام س ۲۶: ع ۱ (۱۴۰۲ هـ) ص ۸-۱۴.

داروهای حج

(بالفارسیه)

طهران: ط ۱، ۱۳۷۱ ش.

داستان به حج رفتن مرد سفیه

(بالفارسیه)

مجهول المؤلف

ط: سنا ۲/ ۱۳۳ «حکایت...»، فهرستواره منزوی ۱/ ۳۴۰.

داستان حج مالک (ملک) دینار

(قصه حج مالک بن دینار، بالفارسیه)

مجهول المؤلف

ط: فیلم ها ۲/ ۲۶۹، فهرستواره منزوی ۱/ ۳۴۸.

دانستنی های پیش از حج عربستان سعودی و تاریخ مکه و مدینه

(بالفارسیه)

جعفر شهیدی

طهران: دفتر تبلیغات و آموزش حج، ط ۱، ۱۳۶۱ ش، ۶۴ ص.

دانستنی های پیش از سفر به خانه خدا

(بالفارسیه)

مهدی ملتجی

طهران: کتابفروشی اشرفی، ۱۳۵۱ ش، ۳۰۷ ص، ۲۴ سم.

دانستنی های حج - کتاب برای کودکان و نوجوانان

(بالفارسیه)

محمد شیرازی، حسین شاهرودی

قم: اسلامی، ط ۳، ۱۳۶۸ ش، ۳۲ ص.

دانستنی های سفر حج

(بالفارسیه)

محمد علی بسطامی

طهران: انتشارات مهدیه، ۱۳۵۰ ش، ۱۵۰ ص.

داستانهای شنیدی از فتح مکه و جنگ حنین

(بالفارسیه)

لمحمد محمدی اشتهااردی

قم: جماعة المدرسين فی الحوزة العلمیة، ۱۳۶۸ ش /

ص: ۲۶۹

۱۹۸۹ م، ۱۵۸ ص.

در آرزوی دو قطره اشک

[خاطرات سفر حج]

(بالفارسیه)

غلام حسین جمی

میقات حج س ۲: ع ۵ (پائیز ۱۳۷۲ ش) ص ۱۹۵-۲۰۰.

الدر الثمین فی معالم دار الرسول الامین صلی الله علیه و آله

غالی محمد الامین الشنقیطی

جدة: دار القبلة- بیروت:

مؤسسه علوم القرآن، ط ۳، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م، ۲۷۰ ص، ۲۴ سم.

در جستجوی اهداف و حکمتهای مراسم حج

(بالفارسیه)

محمد باقر حجتی

میقات حج: ع ۱۶ (تابستان ۱۳۷۵ ه) ص ۱۰-۲۸.

ع ۱۸ (زمستان ۱۳۷۵ ش) ص ۱۰-۲۸.

در حریم بیت العتیق سفر به مکه

(بالفارسیه)

عباس بهلوان

طهران: انتشارات جاویدان، ۱۳۵۲ ش، ۲۰+۱۵۸ ص.

در حریم دوست [خاطرات سفر حج]

(بالفارسیه)

محمد علی مهدوی راد

میقات حج س ۲: ع ۵ (پائیز ۱۳۷۲ ش) ص ۱۷۷-۱۹۳.

در حریم عشق

(بالفارسیه)

محمد تقی نعمت زاده

میقات حج: ع ۱۷ (پاییز ۱۳۷۵ ش) ص ۲۶۲-۲۸۱.

در راه برپایی حج ابراهیمی

(بالفارسیه)

عباس علی عمید زنجانی

طهران: وزارت الثقافة والارشاد الإسلامی، ط ۱، ۱۳۶۶ ش، ۱۸۲ ص، ۲۱ سم.

در راه خانه خدا

(بالفارسية)

ص: ٢٧٠

عزالدين قلوز

ترجمة: جعفر شهيدى

طهران: دانش نور، ط ١، ١٣٥٧ ش، ٢ ج.

در زيارت مدينه منوره

(بالفارسيه)

محيى لارى

مىقات حج س ٢: ع ٨ (تابستان ١٣٧٣ ش)، ص ١٤٤-١٤٨.

الدر الكمين فى ذيل العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين

ابن فهد المكى

حققه ونشره: حمد الجاسر.

صدر عن: دار اليمامة للترجمة والنشر

ظ: المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣-٤ / ١٤١٠ هـ)

١٠-١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٥.

در محضر نور امامان عليهم السلام در حجر اسماعيل

(بالفارسيه)

محمد أمين پورامينى

مىقات حج. س ٤: ع ١١ (بهار ١٣٧٤ ش) ص ١٨٠-١٩٥.

الدر المنيف فى زيارة أهل البيت الشريف

أحمد بن أحمد مقبل المصرى

فرغ منه سنة ١٢٦٧ هـ

خ: الخديوية بمصر

ظ: ايضاح المكنون ١ / ٤٥٢، الذريعة ٨ / ٧٩، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩ / ٤٥٤.

الدر النصيع فى زيارة النبى وأئمة البقيع

محمد صالح بن أحمد آل طعان ت ١٣٣٣ هـ.

خ: مكتبة السيد عبدالكريم بن محمد الشيخ بالمنطقة الشرقية فى السعودية.

الموسم مج ٣: ع ٩، ١٠ (١٤١١ هـ)، ص ٤٤١.

دراسات عن الأضاحى ومدى الاستفادة منها

حفيظ أحمد باشا وآخرون

جدة: جامعة الملك

ص: ٢٧١

عبدالعزیز، ٤٦ ص.

دراسات في تاريخ الدول العربية في عصور الجاهلية والنبوة والراشدين والأمويين (١- ١٣٢ هـ / ٦٢٢- ٧٤٩ م)
مصطفى أبو ضيف أحمد

الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ١٩٨٣، ٥٥٦ ص، خرائط، شجرات انساب.

دراسات موسم الحج لعام ١٤٠٠ هـ.

حفيظ أحمد باشا وآخرون

جدة: جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠١ هـ، ١٦ ص.

دراسات موسم الحج لعام ١٤٠١ هـ.

حفيظ أحمد باشا وآخرون

جدة: جامعة الملك عبد العزيز، ١٢٥ ص.

دراسات موسم الحج لعام ١٤٠٢ هـ.

حفيظ أحمد باشا وآخرون

جدة: جامعة الملك عبد العزيز، ٢١٠ ص.

دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة «مسجد الحنيفة» و «مسجد البيعة» بمنى

ناصر عبد الله البركاتي ومحمد نيسان سليمان مناع

جدة: دار المدن، ط ١، ١٤٠٨ هـ، ٢٦٠ ص، ٢٤ سم.

دراسة جغرافية لموقع غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ابراهيم حسن النصيرات

الرياض: جامعة محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، ٤٠٠ هـ. (رسالة ماجستير).

دراسة عن مواقع المساجد بمدينة مكة المكرمة

عبدالعزیز بن صقر الغامدي

مكة: مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٠٦ هـ، ٥٦ ص، ٢٤ سم.

دراسة موجزة لبعض مؤلفات كرستيان سنكوك هورغروني عن تاريخ الجزيرة العربية

عبد اللطيف بن دهيش

في: الندوة العالمية الأولى

ص: ٢٧٢

لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: ١٣٩٧ / ٥ / ٤ / ١٩٧٧ م).

دراسة نقدية لحال الحجاز قبل الإسلام

عبد الأمير الأعسم

رسالة الإسلام (كلية أصول الدين: بغداد) س ٢: ع ٣، ص ٩٨ - ١١١.

دراسة نقدية لطريق الحج بين الكوفة ومكة

المنهل (جدة) مج ٣٩: ج ١ (١ / ١٣٩٨ / ٥ / ١٢ - ١ / ١٩٧٨ م) ص ٢٦ - ٢٩.

درب زبيدة

طريق الحج من الكوفة إلى مكة

«دراسة تاريخية وحضارية أثرية»

سعد عبدالعزيز سعد الراشد

الرياض: دار الوطن للنشر والإعلام.

دور الحكم في أسرار مناسك الحج والبيت الحرام

(رسالة)

يونس وهبي الرومي الحنفي

ط: المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣ - ٤ / ١٤١٠ هـ)

١٠ - ١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٥.

دور الفوائد المنظمة (يشتمل على جل تاريخ مكة)

عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري، كان أمير الحج المصري ما يقرب من نصف قرن ت ٩٧٧ هـ

طبع سنة ١٤٠٣ هـ، ٣ مج

العرب. س ١٨: ع ٧ - ٨ (١، ٢ / ١٤٠٤ هـ / ١٠، ١١ / ١٩٨٣ م) ص ٤٣٣ - ١٤٨٠ (حمد الجاسر)

درس هايي از فقه سياسي اسلام

(اسرار، مناسك، أدله حج)

(بالفارسية)

د. م: صوت اسلام، ط ٢، ١٣٦٢ ش، ٤٦٤ ص، ٢٤ سم.

درسهایی از حج

(بالفارسية)

ميقات حج س ٢: ع ٥ (پائيز ١٣٧٢ ش) ص ٤١ - ٤٤.

ص: ٢٧٣

درس هائي از ولايت با ضميمه سوغاتي از حج
(بالفارسيه)

د. م. د. ن، ط ١، ١٣٦٢ ش.

الدرّة الثمينه في أخبار المدينة

محب الدين محمد بن محمود بن النجارت ٦٤٣ هـ

تحقيق: صالح جمال

بيروت: دار الفكر، ١٣٩١ هـ.

الدرّة الثمينه في تاريخ المدينة

محمد بن جعفر بن هارون بن فروه الكوفي النحوي الشيعي من مشايخ النجاشي ت ٤٢٠ هـ

ظ: ريحانة الأدب ٨ / ٢٤٧، الذريعة ٨ / ٩٦

الدرّة الثمينه في زيارة المعصومين في المدينة

محمد صالح بن أحمد آل طعان السري البجراني ت ١٣٣٣ هـ.

(رتبه على اثني عشر باباً في أعمال المدينة، فرغ منه سنة ١٣٢٥ هـ)

خ: مكتبة آل طعان في القطيف.

ط: الذريعة ٨ / ٩٥، الموسم مج ٣:

ع ٩ (١٤١١ هـ) ص ٤٣٢.

الدرّة الثمينه في فضل المدينة

محمد بن محمود البغدادي الشافعي المعروف بابن النجارت ٦٤٣ هـ

خ: مكتبة الحرم المكي الشريف في مكة المكرمة

طبع في سنة ١٩٥٦ م، (مع شفاء السقام)

ظ: الغدير ٥ / ٩٩، ١٠٤، ١٠٥، ريحانة الأدب ٨ / ٢٤٨، فهرس الفهارس والاثبات ٦٨٠، نشرة أخبار التراث العربي ع ١٨ (٣، ٤ / ١٩٨٥ م)

ص ١١.

الدرّة الثمينه فيما لزازر قبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلى المدينة

أحمد بن محمد بن يونس القشاش (٩٩١-١١٠٧ هـ)

القاهرة: مطبعة التقدم العلمي، ١٣٢٦ هـ، ١٥٧ ص.

ظ: ايضاح المكنون ١ / ٤٥٧، هدية العارفين ١ / ١٦١، معجم المطبوعات العربية لسركيس ١٧٢٠، معجم ما ألف عن

ص: ٢٧٤

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٣٥٤.

الدرّة الفاخرة في زيارات العترة الطاهرة

محمد صادق بن محمد النميني اللنكراني

ظ: الذريعة ٨ / ١٠٦، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩ / ٤٥٧.

الدرّة في أحكام الحج والعمرة

سليمان بن أحمد آل عبدالجبار القطيفي ت ١٢٦٦ هـ

ظ: الذريعة ٨ / ٨٩، ٢٢ / ٢٧٦.

الدرّة في مناسك الحج والعمرة

(بالفارسيّة)

محمد الفيروزآبادي اليزدي

النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٣٨ هـ، ٣٩ ص.

الدرّة المضيئة في الزيارة المصطفوية

علي بن سلطان القاري الهروي ت ١٠١٤ هـ

خ: في مكتبة حسن حسني باشا ١ / ٢٥١

(باسم الدرّة المضيئة في زيارة الروضة الرضيّة) عارف حكمت، ٧٢ مجاميع.

ظ: كشف الظنون ٢ / ٧٤٣، ايضاح المكنون ١ / ٤٦٠، الذريعة ٨ / ١٠٨، معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٣٥٥.

الدرّة المضيئة في الزيارة المصطفوية

محمد أمين بن عابدين ت ١٢٥٣ هـ

ظ: الغدير ٥ / ١٢١

الدرّة المكلمة في فتح مكة المشرفة المبجلة

محمد بن محمد بن عبدالرحمن البكري الصديقي ٨٩٨-٩٥٢ هـ

طُبِعَ فِي:

مصر: ١٢٨٧ هـ، ١٢٨٢ هـ، ١٠٤ ص.

مصر: ١٢٩٧ هـ.

المطبعة الميمنية: ١٣٠٠ هـ و ١٣٠٨ هـ، ٨٤ ص.

مطبعة عثمان عبدالرزاق: ١٣٠١ هـ و ١٣٠٣ هـ.

ص: ٢٧٥

المطبعة العثمانية: ١٣١٠ هـ، ٧٩ ص.

مصر: ١٣١٧ هـ، ٦٣ ص.

المطبعة الشرفية: ١٣٢٤ هـ، ٦٣ ص، ١٩٣٥، ٢٠٠ ص.

القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧ م، ١٨٢ ص.

ظ: معجم المطبوعات لسركيس ٥٨١.

دروس حجة الوداع

أحمد غراب

في: ندوة الحج الدولية (لندن):

المعهد الإسلامي، ٤-٧ أغسطس ١٩٨٢ م).

دروس من السماء؛ الأضحية ومشروعيتها

اسماعيل الطحان

الرسالة الإسلامية (بغداد) ع ٩٩ (١٣٩٦ هـ) ص ١٣-١٧.

دروس الوحدة والتضحية في لقاء الحج والاحتفال بعيد الأضحية

محمد حامد أبو النصر

لواء الإسلام (القاهرة) س ٤٥: ع ٤ (١٩٩٠ م) ص ٤-٥.

دروس وعبر من غزوة فتح مكة

محمود شيت خطاب

مجلة درع الوطن (أبو ظبي) ع ٦٦ (محرم ١٣٩٧ هـ) ص ٣٨-٣٩.

دروس وفتاوى في الحرم المكي

محمد بن صالح عثيمين

اعداد: بهاء الدين بن عبد المنعم آل دحروج

الرياض: مكتبة اولي النهي

بيروت: دار حضر، ط ٢، ١٤١١ هـ، ٤٤٤ ص، ٢٤ سم.

درون كعبه در دو ديدار

هادي فرهنگ انصاري

مقيقات حج: ع ١٨ (زمستان ١٣٧٥ ش) ص ١٨٦-١٩٩.

دستور حج وعمره

(بالفارسية)

على العلامة الفاني الاصفهاني

النجف الأشرف: مط النعمان، ١٣٨٥ هـ، ١٤٩ ص.

دستور العمل في الحج والمزار

باقر بن غلام على التستري

ص: ٢٧٦

ت ١٣٢٧ هـ.

دعاء عرفه للإمام على بن الحسين عليه السلام
طهران: انتشارات الغدير، ١٣٥١ ش، ١٦ ص، ١٧ سم.

دعاها واذكار حج

(بالفارسية)

اصفهان: اداره كل ارشاد اسلامي، ط ١، ١٣٦٠ ش.

دعاها واذكار مناسك حج، زيارات اعتاب مقدسة مكة ومدينة

(بالفارسية)

حسين عماد زاده

طهران: مكتبة سعدي، ط ١، ١٣٩٦ هـ.

دعاى عرفه (روز شناخت)

(بالفارسية)

عبدالكريم بي آزار شيرازي

طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامي، ١٣٧٣ ش، ٦٤ ص، ٢٤ سم.

دعاى عرفه

(بالفارسية)

ترجمة وشرح: على أكبر محب الاسلام

مشهد: (د. ن) (د. ت)، ٢٠ ص.

دعاى عرفه

(بالفارسية)

اعداد وتنظيم: معاونت آموزش و تحقيقات بعثه مقام معظم رهبرى

طهران: نشر مشعر، ١٣٧٢ ش، ٧٩ ص.

دعاى عرفه امام حسين عليه السلام

(بالفارسية)

حسين عماد زاده اصفهانى

طهران: مكتب قرآن، ١٣٥٣ ش، ١٢١ ص، ٢٤ سم.

الدعوات والزيارات

خ: الرضوية، ١٢٤ ص.

ظ: فهرس الرضوية ٢/٢٩٣، الذريعة ٨/٢٠٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/٤٧١.

الدعوات والزيارات

خ: الرضوية، تاريخ وقفها سنة ١٣٠٩ هـ.

ص: ٢٧٧

ظ: الذريعة ٨ / ٢٠٤، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩ / ٤٧١.

الدعوات والزيارات

خ: الرضوية، في ٢٤٨ صفحة.

ظ: فهرس الرضوية ٢ / ٨٨، الذريعة ٨ / ٢٠٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩ / ٤٧١.

الدعوات والزيارات

خ: سپهسالار، في ٤٧٤ ص.

ظ: فهرس سپهسالار ١ / ٥٦، الذريعة ٨ / ٢٠٤، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩ / ٤٧١.

الدعوات والزيارات

خ: الرضوية، وقفها على أصغر، سنة ١٢٥٠ هـ، في ٢١٤ ص.

ظ: فهرس الرضوية ٢ / ٢٩٦، الذريعة ٨ / ٢٠٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩ / ٤٧٢.

الدعوات والزيارات

خ: سپهسالار في ٥٨ ص، سنة ١٢٥٠ هـ، بخط عبد الوهاب الطباطبائي

ظ: فهرس سپهسالار ١ / ٥١، الذريعة ٨ / ٢٠٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩ / ٤٧٢.

الدعوات والزيارات

جلال الدين التبريزي

ظ: الذريعة ٨ / ٢٠٤، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩ / ٤٧٢.

الدعوات والزيارات

خ: الرضوية في ٦٢ ص، سنة ١٢٢٧ هـ، بخط محمد حسين المازندراني

ظ: فهرس الرضوية ٢ / ٢٨٩، الذريعة ٨ / ٢٠٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩ / ٤٧٣.

الدعوات والزيارات

عبد الخالق اليزدي

خ: الرضوية

ص: ٢٧٨

ظ: فهرس الرضوية ٢/ ٢٨٩، الذريعة ٨/ ٢٠٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٤٧٢.
الدعوات والزيارات

غلام رضا الخراساني

خ: الرضوية، في ١٦٠ ص، تاريخها ١٢٧١ هـ.

ظ: فهرس الرضوية ٢/ ٢٨٨، الذريعة ٨/ ٢٠٤، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٤٧٢
الدعوات والزيارات المأثورة المعتبرة

دونها: علي بن عبد الخالق الحسنى الرازى، فرغ من بعض أجزاءها فى سنة ١١٧٥ هـ.

ظ: الذريعة ٨/ ٢٠٤، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٤٧٢.

دعوات فراموش نشدنى

[خاطرات سفر حج]

(بالفارسية)

محمد تقى باشانى

مىقات حج س ٢: ع ٥ (پائيز ١٣٧٢ ش) ص ٢٠١-٢٠٨.

دعوة ابراهيم واسماعيل عند رفع القواعد من البيت

سامى البدرى

مىقات الحج ع ١ (١٤١٥ هـ) ص ٢٤٤-٢٧٨.

الدعوة الإسلامية فى عهدنا المدنى: مناهجها وغاياتها

رؤوف شلبى

الكويت: دار القلم، ١٤٠٣ هـ /

١٩٨٣ م، ٥٧٠ ص، ٢٤ سم.

القاهرة: ١٩٨٥ م، ٦١٧ ص، ٢٤ سم، (موسوعة الدعوة الإسلامية: ٣).

الدعوة الإسلامية فى عهدنا المكى

رؤوف شلبى

القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية

الكويت: دار القلم، ط ٣، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ٦٧٢ ص، ١٧+٢٤ سم.

الدعوة فى عهدنا المكى

ص: ٢٧٩

ممدوح عبدالعزيز الهياتمي

الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، ١٤٠٤ هـ (رسالة ماجستير).

دعوة للعلماء لتبيين حدود عرفات - مزدلفة - منى

حمد الجاسر

العرب س ٥: ع ٢ (٧ / ١٣٩٠ هـ) ص ٩٧، ٢٠٢، س ٦: ص ٣٧٥، س ٢٠: ص ٤٧.

دلائل قدم جدة

عبد القدوس الانصاري

المنهل (جدة) حج ٢٣: ج ٤ (٤ / ١٣٨٢ هـ / ٩ / ١٩٦٢ م) ص ٢٠٩ - ٢١٣.

الدلائل المبينة في فضائل المدينة

يحيى بن علي القرشي الأموي المالكي ت ٦٦٢ هـ.

ظ: الغدير ٩٥ / ٥.

دلالات المسترشد على أن الروضة (أى فى المدينة المنورة) هى المسجد

جمال الدين محمد الريمى

ظ: كشف الظنون ٧٥٨ / ٢.

دلالة الحركة فى مسيرة الحاج

عبدالرحمن حلى

نهج الاسلام (دمشق) ع ٦٤ (١٢ / ١٤١٦ هـ - ٥ / ١٩٩٦ م) ص ٦٠ - ٦٤.

دليل الأنام فى سبيل زيارت بيت الله الحرام

(رحلة إلى مكة فى سنة ١٢٩٧ هـ سجل فيها مشاهداته يومياً بالفارسية)

سلطان مراد ميرزا حسام السلطنة

ظ: نسخهها ٦ / ٤٠٠٠، استورى ١ / ١١٥٧، مجلس ٢ / ٤٤١ (الرقم ٦٩٣)، ملك ٢ / ٢٥١، فهرستواره منزوى ١ / ٧٧.

دليل الحاج

بشير الزعبي

دمشق: دار الفكر، ١٩٨٠ م، ٦٣ ص.

دليل الحاج

حسن الموسوى البجنوردى

ص: ٢٨٠

النجف: مط الأداب، ١٩٧٤ م، ١٥٨ م.

دليل الحاج

شيت عوض العبد الله

الموصل: مط أم الربيعين، د. ت، ٥٤ ص.

دليل الحاج

عبدالوهاب الأعظمي

بغداد: دار البصري، ط ٤، ١٩٦٩ م، ٥٦ ص.

دليل الحاج

محسن الطباطبائي الحكيم

النجف: مط النجف، ط ٢، ١٩٦٣ م، ١٧٦ ص (معه دليل الحاج في أعمال المدينة وزيارة القبور للسيد هادي الطباطبائي الحكيم).

دليل الحاج

محسن فهمي

التصوف الإسلامي (القاهرة) س ١٠: ع ٦ (١٩٨٨ / ٦ م) ص ٢٢ - ٢٥.

دليل الحاج

محمد حسنين مخلوف

القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٣، ١٣٩٩ هـ.

دليل الحاج

هادي الطباطبائي الحكيم

النجف: مط النجف، ١٩٦٥ م، ٨٢ ص.

دليل الحاج

يونس إبراهيم السامرائي

بغداد: دار البصري، ١٩٧٠ م، ٤٨ ص.

دليل الحاج إلى بيت الله الحرام

السيد محمود الفيض المستوفي

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٨ م، ٧٩ ص.

دليل الحاج: بحث في بيان مناسك الحج

اعداد: البعثة الدينية - ديوان الاوقاف

بغداد: مط الحكومة، ١٩٧١ م، ١٨ ص.

دليل الحاج: راهنماي قدم بقدم الحجاج: همه با هم بسوی خدا

ص: ٢٨١

(بالفارسية)

قم: روح، ط ٣، ١٣٧٥ ش، ٢٨٠ ص، ٢١ سم.

دليل الحاج: في رحلة التوبة والمغفرة

محسن فهمي

التصوف الإسلامي (القاهرة) س ١٢: ع ٦ (١٩٩٠ / ٦)

ص ١٨ - ٢٢.

دليل الحاج الكامل في مناسك الحج والعمرة

محمد عبدالعزيز الهلاوي

القاهرة: مكتبة القرآن، ١٩٨٤ م، ١٥٩ ص.

دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج

لواء محمد صادق المصري

(١٣٢٠ - ١٣٨٧ هـ)

[مطبوع ومؤلفه هو أول رحالة عربي قام برحلة استكشافية للحجاز]

ظ: المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣ - ٤ / ١٤١٠ هـ)

١٠ - ١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٥.

دليل الحاج المصور ومناسك الحج على المذاهب الأربعة

صالح محمد كمال

مكة: دار الثقافة، ط ٩، ١٩٨٤ م، ١٩١ ص، ٢٤ سم.

دليل الحاج المغربي

المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

دليل الحاج والمعتمر

عبدالمحسن بن عبدالله آل الشيخ

السعودية: وزارة الدفاع والطيران، ط ١.

دليل الحج والعمرة وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وكل ما يهم الحاج والمعتمر

كمال أحمد محمد مبارك الإسكندرية: ١٩٨٦ م، ١٠١ ص.

دليل الحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي

رئاسة إدارة التحقيق العلمي وهيئة الفتوى والموعظ والإرشاد

الرياض: ١٤٠٦ هـ،

ص: ٢٨٢

٦٥ ص، ١٧ سم.

دليل الحجاج المصور

إعداد: محمد حسين فلاح زاده

تعريب: محمد حسن تيراثيان

طهران: نشر مشعر، ١٤١٦ هـ، ١٠٨ ص.

دليل الزائر في المدينة المنورة

ابو الخير صلاح بن محمد كرنه

المدينة المنورة: دار الهدى، ط ١، ٥٤ ص، ١٧ سم.

دليل الزائرين

عبدالعلى أديب الممالك

ظ: بسوى أم القرى ١٤.

دليل الزائرين

محمد رضا بن محمد القاسم الحسينى القزوينى

ظ: الذريعة ٨ / ٢٥٨، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩ / ٤٧٣.

دليل الزائرين وأنيس المجاورين في زيارة سيد المرسلين

على بن ابراهيم الشروانى المدنى (ت ١١١٨ هـ)

ظ: تحفة المحبين والأصحاب ٢٩٩، ايضاح المكنون ١ / ٤٧٨، العرب س ٣١: ج ٥، ٦ (١١، ١٢ / ١٤١٦ هـ) ص ٣٤٨.

الدليل الشامل للمملكة العربية السعودية

زكى محمد على

المدينة المنورة: مكتبة الزمان للثقافة والعلوم، ١٣٧ ص، رحلى.

دليل المتحيرين في مناسك الحاج والمعتمرين

مغزالدین محمد مهدى بن الحسن القزوينى الحلوى النجفى ت ١٣٠٠ هـ.

دليل المجتاز بأرض الحجاز

الحسن بن عمر بن حبيب

العرب (الرياض) س ١٢: ج ٥-٦ (١١-١٢ / ١٩٧٧ م)

ص ٤٠٦-٤١٤.

دليل المدينة المنورة للحاج والزائر

عبيدالله محمد أمين الكردى،

ص: ٢٨٣

وعبدالعزيز محمد الكابلي

المدينة المنورة: دار التراث، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ٢١١ ص، ٢٤ سم.

الدليل المرشد للمدينة المنورة

اعداد: وكالة المنير للدعاية والاعلان

جدة: ط ١، ١٤٠٧ هـ، ١١٠ ص، ٢١ سم.

دليل المسالك: شرح احكام المسالك في احكام المناسك

سعيد بن خلف الخزرجي

مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٤ م، ٧٦ ص.

دليل المسلمين في زيارة أعمال الحرمين

عبدالمجيد على

النجف: مطبعة الغرى الحديثة، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م، ٤٨ ص.

دليل المناسك

محسن الطباطبائي الحكيم

النجف: مط الآداب، ط ١، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م، ٢٧٥ ص، ٢٤ سم.

دليل المناسك

محمد حسين فضل الله

بيروت: دار الملاك، ١٤١٦ هـ، ٢٢٨ ص.

دليل الناسك

(شرح استدلالى على منسك الحج للميرزا النائيني)

محسن الحكيم

تحقيق: محمد القاضى الطباطبائي

تقديم: محمد باقر الحكيم

قم: مؤسسة المنار، ١٤١٦ هـ، ٦٠٩ ص، ٢٤ سم.

دور أجداد الرسول صلى الله عليه و آله فى مكة

خالد صالح العلى

مجلة كلية التربية (البصرة) س ٣:

ع ٦ (١٩٨١ م)، ص ٣١-٥٦.

دور أجداد الرسول صلى الله عليه و آله فى مكة

خالد صالح العلى

مجلة كلية التربية (البصرة) س ٣:

ع ٦ (١٩٨١ م)، ص ٣١-٥٦.

دور الحج فى ترسيخ السلام فى العلاقات الاجتماعية

محمد مهدي الآصفي

ص: ٢٨٤

مقات الحج ع ١ (١٤١٥ هـ) ص ٢٨٩ - ٣٠٥.

دور الحج في صياغة الشخصية المؤمنة من خلال الطرح القرآني

نور الاسلام (بيروت) س ٢: ع ١٥ (١٩٩١ م)، ص ٤٢ - ٤٩.

دور الحج في مسيرة التاريخ

محمد باقر الصدر

طهران: مؤسسة البعثة، ٥٢ ص، ٢١ سم.

دور الحج في المسيرة التاريخية

(دراسة لآراء الإمام الخميني في قضايا الحج)

محمد علي حسين

طهران: مؤسسة البعثة، ١٤٠٢ هـ، ٤٩ ص، ٢١ سم.

دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة

أحمد إبراهيم شريف

القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٨ م، ٤٨٠ ص.

دور دراسة ظاهرة الحج في تدعيم الفكر الإسلامي في مواجهة المناهج العربية المعاصرة

حسن العنيقة

طهران: مؤسسة الحج، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ٤٠ ص، ٢١ سم.

دور علي عليه السلام في فتح مكة

عفيف النابلسي

مقات الحج ع ٢ (١٤١٥ هـ) ص ١٧٠ - ١٩٤.

دور مكة التاريخي والثقافي

علي عبدالرحمن أبا حسين

مجلة قافلة الزيت مج ٢٠: ع ١٢ (يناير/فبراير ١٩٧٣ م)

ص ٤٣ - ٤٨.

دولة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة

أحمد إبراهيم الشريف

الكويت: دار البيان، ١٣٩٢ هـ /

١٩٧٢ م، ٣٢٤ م، ١٤ * ١٩ سم.

دولة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة

محمد ممدوح العربي

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨ م، ٣٨٦ ص، ٢٥ ص.

ص: ٢٨٥

دولة المدينة بين أثينا ومكة

(دراسة مقارنة)

هاشم يحيى الملاح

آداب الرفادين (جامعة الموصل) ع ٤ (٨ / ١٩٧٢ م) ص ٦٠ - ٧٦.

ديدارى از غار حرا

(بالفارسية)

أحمد بهشتى

جهرم: انجمن اسلامى دين ودانش جوانان، ط ٢، ١٣٥٢ ش، ص ٣٠.

الدين وتاريخ الحرمين الشريفين

عباس كرازه

القاهرة: شركة فن الطباعة، ١٩٥١ م، ٢٨ ص.

القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٣٨٤ هـ، ٢٢ + ١٤ / ٥ سم.

مكة المكرمة: مركز الحرمين، ١٤٠٤ هـ، ٢١ سم.

ديوان عمر بن إبراهيم البرى من شعراء المدينة فى مطلع القرن الرابع عشر (دراسات حول المدينة المنورة)

تحقيق وتقديم: محمد الخطراوى

المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ط ١، ١٤٠٦ هـ، ٢٥٦ ص، ٢٤ سم.

ديوان محمد أمين الزللى من شعراء المدينة فى القرن الثالث عشر (دراسات حول المدينة المنورة)

تحقيق وتقديم: محمد العيد الخطراوى

المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ١٩٥ ص، ٢٤ سم.

ذاتينا الإسلامية فى ضوء حادثة تحويل القبلة

حلمى عبدالمنعم صابر

المجاهد (القاهرة) ع ١٢٤ (٢ / ١٩٩١ م) ص ٤٨ - ٥٠.

ذبائح منى

عبدالعزیز بن باز

المنهل (جدة) مج ٢٦: ج ٣ (٣ / ١٣٨٥ هـ / ٧ / ١٩٦٥ م) ص ١٥٥.

ص: ٢٨٦

ذبح الهدى للتمتع في مكة

إبراهيم النعمة

الرسالة الإسلامية (بغداد)

ع ١١٩ - ١٢٠ (١٣٩٨ هـ)

ص ٥٥ - ٥٧.

الذخائر القدسيّة في زيارة خير البريّة

عبد الحميد قدس بن محمد علي (ت ١٣٣٥ هـ)

القاهرة: المطبعة الميمنية، ١٣٢١ هـ، ٢٢٨ ص.

القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي.

بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٢ م، ٢٢٣ ص.

ظ: معجم المطبوعات لسركيس ١٢٧٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٨/٢.

ذخائر المدينة المنورة في أسمائها وفضائلها وأدعية زيارة آثارها الشريفة

محمد سعيد الخنيزي

بيروت: دار الانتصار، ١٣٩٠ / ١٩٧٠ م، ٨٤ ص.

ذراع مدينه

(بالفارسيّة)

مجهول المؤلف

ظ: ازبکستان طاشقنده ٣١٥ / ٥، فهرستواره منزوی ٢١٨ / ١.

ذراع مدينه

(كتب في ١٠٣٧ هـ، بالفارسيّة)

قريشي

ظ: نشریه ٥١ / ٩، فهرستواره منزوی ٢١٨ / ١.

ذروة الوفاء في عمارة المسجد الشريف

نور الدين السهمودي ت ٩١١ هـ.

خ: الصافي بمكتبة الملك عبدالعزيز برقم ١٤٢.

ظ: تحفة المحبين والأصحاب ٢٧١، العرب. س ٣١: ج ٥، ٦ (١١)، ١٢ / ١٤١٦ هـ) ٣٤٨.

ذريعة الوصول إلى زيارة جناب حضرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

عبدالغني بن عبدالجليل التلمساني ٧٢١ هـ.

ص: ٢٨٧

ظ: كشف الظنون

١٨٢٨ / ٢ - ٢٠٠٠، هدية العارفين ١ / ٥٩٠، معجم أعلام الجزائر ٧٠، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ١١ / ٢. ذكر حجة الوداع وترتيبها وصفتها من حين خروج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة عامداً إلى مكة إلى حين رجوعه أبو محمد بن أحمد الظاهري، ابن حزم ت ٤٥٦ هـ.

خ: كتابه بتركيا برقم ٤٣ في ٦ ورقة (القرن العاشر الهجري)

ظ: نوادر المخطوطات العربية في تركيا ١ / ٧٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١١ / ٢.

ذكريات طيبة وبحوث حول أسرار الحج والزيارة

هاشم محمد سعيد الدفتر دار

ظ: ١٣٧٠ هـ.

ذكريات علي تلال مكة

بنت الهدى

بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط ٢، ١٤٠٠ هـ،

٦٩ ص، ٢١ سم.

مقات حج. س ٣: ع ٩ (پائيز ١٣٧٣ ش) ص ٢٢٥ - ٢٣٧، ع ١٠ (زمستان ١٣٧٣ ش) ص ١٧٦ - ١٩٢ (جواد محدثي).

ذكريات علي مشارف مكة

حسين شحاده

بيروت: دار التعارف، ط ١، ١٣٩٧ هـ، ٤٨ ص، ٢١ سم.

ذكريات عن مدرسة الخياط بمكة

بكر شريف

المنهل (جدة) مج ٧: ج ١١ - ١٢ (١١ - ١٢ / ١٣٦٦ هـ)

١٠ - ١١ / ١٩٤٧ م)

ص ٥٤٦ - ٥٤٩.

الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك

أحمد المقریزی ت ٨٤٥ هـ

مصر: ١٩٥٥ م.

ذيل الانتصار لسيد الأبرار

عمر بن علي السهمودي

ظ: المدينة المنورة بين الأدب

ص: ٢٨٨

والتاريخ ١٠٠، العرب. س ٣١:

ج ٥، ٦ (١١، ١٢ / ١٤١٦ هـ) ص ٣٤٨.

ذيل تاريخ المدينة للمرجاني

أحمد بن عبدالله بن حسن باعتر السيوني الحضرمي

ت ١٠٩١ هـ.

ظ: ايضاح المكنون ١ / ٢١٧، العرب. س ٣١. ج ٥، ٦ (١١، ١٢ / ١٤١٦ هـ) ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

ذيل الدرّة الثمينه في أخبار المدينة

أبو العباس الغزافي

ظ: الاعلان بالتوبيخ ٢٧٤، العرب. س ٣١. ج ٥، ٦ (١١، ١٢ / ١٤١٦ هـ) ص ٣٤٩.

رأيت في بلاد الله

ناصر قاسم

المنهل (جدة) مج ٢١: ج ١ - ٢

/ ١ - ٢ / ١٣٨٠ هـ

٧ - ٨ / ١٩٦٠ م) ص ٦٠ - ٦٣

ج ٣ (٣ / ١٣٨٠ هـ)

٨ - ٩ / ١٩٦٠ م) ص ١٣٥ - ١٤٠.

راه حج

(بالفارسيه)

عالم بن داملا رحيم طاشقندي

ظ: ازبكيستان طاشقند ٧ / ٥٤، فهرستواره منزوي ١ / ٢١٩.

را خدا در مسائل اخلاقي واجتماعي واماكن مقدسه مکه ومدينه

(بالفارسيه)

حسن ابطحي

مشهد: كانون بحث وانتقاد ديني، ط ١، ١٣٦٢ ش، ١٩١ ص.

راهنمايي احكام حج

(بالفارسيه)

محمد الشيرازي

ترجمه: محمد علي الهمداني

قم: انجمن جوانان امام صادق عليه السلام، ١٣٥٢ ش، ٢٤ ص.

راهنماي اعمال حج از خاطرات راه مکه

(بالفارسيه)

م. ل

طهران: (د. ن)، ١٣٤١ ش،

ص: ٢٨٩

٩٤ ص، ٢١ سم.

راهنمای حج، تاریخ جغرافیای مکة و اماکن متبرکه و عتبات عالیات و مشاهد مشرفه

(مناسک حج)

(بالفارسیه)

عماد الدین حسین الاصفهانی

طهران: انجمن تبلیغات اسلامی، ط ١، ١٣٢٧ ش.

راهنمای حج در اماکن مقدسه و مکة معظمه و مدینه منوره

جعفر وجدانی

طهران: ١٣٥٧ ش، ٢٦ ص.

راهنمای حج - منظوم

غلام حسین امنای پور

طهران: ١٣٤٩ ش، ٣٢ ص، ١٧ سم.

راهنمای حج و زیارتگاههای در جهان اسلام

(بالفارسیه)

ابراهیم وحید دامغانی

طهران: انتشارات رودکی، ط ١، ١٣٦٢ ش، ٢٢٤ ص.

راهنمای حج و مناسک مفصل

(بالفارسیه)

محمد باقر الکره‌ای

باهتمام: نصر الله نوریانی

طهران: ١٣٢٣ ش، ٢٧٢ ص، ٢١ سم.

راهنمای حجاج

(بالفارسیه)

اعداد: مرکز تحقیقات و انتشارات حج

طهران: ط ١، ١٤٠٥ ه.

طهران: ط ٢، ١٤٠٧ ه، ٢٠٣ ص، ٢١ سم.

راهنمای حجاج بیت الله الحرام

(بالفارسیه)

اعداد: ممثلیه الولی الفقیه لشؤون الحج والزيارة

طهران: حج و زیارت، ١٣٧١ ش، ٧٦ ص.

راهنمای حجاج در مذاهب امام شافعی با تعیین فاصله مکانها

(بالفارسیه)

مسعود قادر مرزى

ص: ٢٩٠

قم: صاحب اثر، ط ١، ١٣٧٥ ش، ٦٤ ص.

راهنمای حرمین شریفین

(بالفارسیه)

ابراهیم الغفاری

منظمة الاوقاف والأموال الخيرية.

طهران: ط ١، ١٣٧٠ ش، ٥ ج.

راهنمای خانه خدا

(مناسك مصور حج، بالفارسیه)

الهيئة التحريرية لمؤسسة الثورة الإسلامية.

طهران: قسم اعلام الثورة الإسلامية، ط ١، ١٣٦٢ ش، ٢٠ ص، ٢٤ سم.

راهنمای زوار عتبات

(دليل زوار العتبات، بالفارسیه)

محمد عادل

مطبوع

ظ: الذريعة ٣١٢ / ١١، فهرستواره منزوی ٢١٩ / ١.

راهنمای زیارت خانه خدا یا دستور عمره مفرده

(بالفارسیه)

هاشم حمیدی

د. م: (د. ن)، ١٣٥٥ ش، ٩٤ ص.

راهنمای سفر مکه و مدینه

(بالفارسیه)

شهاب الدین المرعشی النجفی

ط: طهران.

راهنمای قدم بقدم حجاج: همه با هم بسوی خدا

(بالفارسیه)

عادل علوی

قم: روح، ط ٣، ١٣٧٥ ش، ٢٨٠ ص، ٢١ سم.

راهنمای مسافرین خانه خدا

(بالفارسیه)

علی البسطامی

د. م: (د. ت)، ١٣٥٠ ش، ٨٠ ص، ١٧ سم.

راهنمای مصور حجاج

(بالفارسية)

إعداد: محمد حسين فلاح زاده

[طهران]: مشعر، ط ٢، ١٣٧٣ ش، ١٦٤ ص.

طهران: مشعر، ط ٣،

ص: ٢٩١

١٣٧٤ ش، ١٢٠ ص.

راهنمای مناسک

(بالفارسیه)

شمس المحدثین الحسینی

النجف: مط النعمان،

١٩٦٤ م - ١٣٨٥ ه، ٢٣٢ ص.

راهنمای مناسک حج

(بالفارسیه)

محسن الحکیم

د. م: (د. ن)، ١٣٤٥ ش، ٨٣ ص.

راهیان خانه خدا

(بالفارسیه)

محمد مراد قلی کلوخی

د. م: المؤلف، ط ١، ١٣٦٤ ش، ١٢٨ ص.

راهیان سفر روحانی مسافرت به مکة وسیر در وطن در خدمت راهنما

(بالفارسیه)

محمد رضا خانی وحشمت الله خان

طهران: المؤلف، ط ١، ١٣٦٩ ش.

راهیان کعبه سفیران انقلاب

(بالفارسیه)

إعداد وتنظیم: مرکز تحقیقات وانتشارات حج

(د. م): فتر نماینده امام وسرپرست حجاج، ط ١، ١٣٦٨ ش، ١١٤ ص، رحلی.

راهی به سوی کعبه

(بالفارسیه)

مصطفی محمود

ترجمه: إسماعیل هادی

طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامی، ١٣٦٠ ش، ١١٩ ص، ٢١ سم.

راهی به کعبه

(بالفارسیه)

غلام علی رحیمیان

سمنان: (د. ن)، ١٣٥٨ ش، ١٥٧ ص.

رؤية قصصية لواقعة تاريخية صارت من مناسك الحج

فاروق حسان السيد

منار الإسلام (أبو ظبي) س ٢٠:

ع ١٢ (١٢/١٤١٥ هـ)

ص: ٢٩٢

١٩٩٥ / ٥ م) ص ٣٠ - ٣٢.

الربذة

إبراهيم على العياشي

المنهل (جدة) مج ٢٦: ج ٩ (٩ / ١٣٨٥ هـ / ٩ / ١٩٦٦ م) ص ٧٠٨.

الرَّبْدَةُ ليست الحناكية

العرب س ١٣: ص ٣٦٩، ٣٩٠.

الرَّبْدَةُ أين تقع؟

العرب س ١٠: ع ١-٢، ص ١-٤ (٧، ٨ / ١٣٩٥ هـ)، س ١١:

ص ١٦١.

رجال من الحرمين الشريفين:

حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه

عباس المهاجر

ميقات الحج. س ٣: ع ٥ (١٤١٧ هـ) ص ١٩٩ - ٢١٧.

رجال من الحرمين الشريفين:

عبدالله بن عباس إيماناً وجهاداً وعلماً

محسن الأسدي

ميقات الحج. س ٣: ع ٦ (١٤١٧ هـ) ص ٢٣٦ - ٢٦٦.

رجال من مكة المكرمة العاصمة المقدسة

زهير محمد جميل الكتبي

جدة: دار الفنون، ط ١، ١٤١٠ هـ، ٢ ج.

رحالة دمشقى مر بنجد سنة ١١٢٠ هـ بعد عودة من الحج ومر بالاحساء ثم العراق

مرتضى بن على بن علوان (ت بعد ١١٢٠ هـ)

العرب. س ٢٦: ع ٣-٤ (٩، ١٠ / ١٤١١ هـ / ٣، ٤ / ١٩٩١ م)

ص ١٨٩ - ٢٠٥ (حمد الجاسر)

الرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثماني

أبو القاسم سعد الله

دراسات تاريخ الجزيرة العربية ج ١ (١٩٧٩ م) ص ٣٣٥ - ٣٤٧.

الرحلات الحجازية كشف لأمجاد الجزيرة العربية مهد الإسلام ومنطلق الحضارات

عبدالعزیز بن عبد الله

مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج ٢

ص: ٢٩٣

ص ٣٤٩-٣٥٦ (م ١٩٧٩)

الرحلات الحجازية وصله بيت شقى العروبة
عبدالعزیز بن عبدالله

اللسان العربی (الرباط) مج ١٥: ج ١ (١٩٧٧ م) ص ٢١١-٢١٧.

رحلات فی بلاد العرب فی شمال الحجاز والاردن
عائق بن غیث البلادی

مكة المكرمة: دار مكة، ط ٢، ١٤٠٣ هـ، ٢٤٥ ص، ٢٤ سم.

رحلات فی قلب الحجاز

عائق بن غیث البلادی

مكة المكرمة: دار مكة، ط ١، ٣٢٠ ص، ٢٤ سم.

رحلة ابن طویر الجنة إلى الحجاز؟

عبدالقادر زمامة

مجلة معهد المخطوطات العربية مج ٢٥: ج ١، ٢ (١٩٧٩ م) ص ١٦٩-١٨١.

رحلة إلى طيبة

حمد الجاسر

العرب س ١: ع ٦ (١٢/١٣٨٦ هـ)

٣/١٩٦٧ ص ٤٨١-٤٨٤، ع ٧ (١/١٣٨٧ هـ / ٤/١٩٦٧ م) ص ٥٨٨-٥٩٢

ع ٨ (٢/١٣٨٧ هـ / ٥/١٩٦٧ م) ص ٦٩٢-٦٩٤، ٦٩٦

ع ٩-١٠ (٣/١٣٨٧ هـ)

٦/١٩٦٧ م) ص ٨٥٤-٨٥٧

ع ١١ (٥/١٣٨٧ هـ / ٨/١٩٦٧ م) ص ١٠٠٧-١٠١١

رحلة إلى المدينة المنورة

محمود ياسين

سورية: دار الفكر المعاصر، ط ١، ١٩٨٧ م، ٢٣٩ ص، ٢٤ سم.

رحلة إلى وادی القرى

صالح العمري

المنهل (جدة) مج ٣٤: ج ١-٢

(١-٢/١٣٩٣ هـ / ٣/١٩٧٣ م) ص ٦٥-٧٠.

رحلة البكري إلى الحج

حمد الجاسر

العرب س ٢٢: ع ٥-٦ (٦/١٩٨٧ م)، ص ٤٠٩-٤١٣.

رحلة التميمي التونسي إلى الحج

ص: ٢٩٤

محمد بن صالح القيرواني ت ١٣٦٢ هـ

العرب (الرياض) س ١٦: ع ١-٢ (٧، ٨ / ١٤٠١ هـ / ٥، ٦ / ١٩٨١ م) ص ١٣٦-١٤٠.

ع ٣-٤ (٩، ١٠ / ١٤٠١ هـ / ٧، ٨ / ١٩٨١ م) ص ٢٥٤-٢٥٨.

ع ٥-٦ (١١، ١٢ / ١٤٠١ هـ / ٩، ١٠ / ١٩٨١ م) ص ٤٥٦-٤٥٩.

ع ٧-٨ (١، ٢ / ١٤٠٢ هـ / ١١، ١٢ / ١٩٨١ م) ص ٥٦٠-٥٦٦.

ع ٩-١٠ (٣، ٤ / ١٤٠٢ هـ / ١ / ١٩٨٢ م) ص ٧٥٧-٧٦٣.

ع ١١-١٢ (٥، ٦ / ١٤٠٢ هـ / ٣، ٤ / ١٩٨٢ م) ص ٩٣٦-٩٣٩.

س ١٧: ع ٣-٤ (٩، ١٠ / ١٤٠٢ هـ / ٦ / ١٩٨٢ م) ص ٢٥٥-٢٥٨.

ع ٥-٦ (١١، ١٢ / ١٤٠٢ هـ / ٩، ١٠ / ١٩٨٢ م) ص ٤٤٣-٤٤٦.

ع ١١-١٢ (٥، ٦ / ١٤٠٣ هـ / ٢، ٣ / ١٩٨٣ م) ص ٨٦٩-٨٧٩

(حمد الجاسر)

رحلة الحج

الصافي الكلبايگاني

مطبوعة

رحلة الحج

آية الله الطالقاني

مطبوعة

رحلة الحج

محمد حسن جان هندي

ظ: الفهرس المشترك للمخطوطات الفارسية ١٠ / ٦٧.

رحلة الحج إلى بيت الله الحرام

محمد الأمين الشنقيطي

جدة: دار الشروق، ط ١، ١٤٠٣ هـ، ٢٨٧ ص، ٢١ سم.

رحلة حج البيت

إبراهيم بن درويش محمد الكازروني

ظ: الذريعة ١٢ / ١٨٦.

رحلة الحج شحنه روحية ألهمت الفنان المسلم

عبدالمنعم البداوي

الهلال (القاهرة) س ٩٧: ع ٧ (٧ / ١٩٩٠ م) ص ٦٦-٧٣.

رحلة الحج في القرن ١٩

ص: ٢٩٥

الحسن الغسال

إعداد: عبدالعزيز التمساني

العربي ع ٢٧٩ (٢/ ١٩٨٢ م) ص ١٧٥.

رحلة الحج ودليل الحجاج

حسين ذو القدر شجاعى

مطبعة.

رحلة الحجاز

إبراهيم بن عبدالقادر المازنى (١٣٠٨-١٣٦٨ هـ)

العرب. س ٢٦: ع ٣-٤ (٩، ١٠ / ١٤١١ هـ / ٣، ٤ / ١٩٩١ م) ص ٢٠٨-٢١٣ (حمد الجاسر)

رحلة الحجاز

عبدالغنى شهيندر

بيروت: ١٩٣٧ م.

ظ: معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٧.

رحلة الحجاز

محمد حسين الشهرستاني

ظ: الذريعة ١٢/ ١٩٦.

رحلة الحجاز

هدايت على بن شيخ فضل على

ظ: الفهرس المشترك للمخطوطات الفارسية ١/ ٦٢.

الرحلة الحجازية

ابن عثمان المكناسى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٤٠٠، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٨.

الرحلة الحجازية

أحمد بن طوير الجنة الحميرى الشنگيطى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٢٧٢، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٨.

الرحلة الحجازية

أبو العباس أحمد بن عبدالعزيز الهلالى السجلماسى

(١١١٣-١١٧٥ هـ)

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ١١٠١، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٨.

الرحلة الحجازية

أبو العباس أحمد بن قاسم بن أبى عبدالله محمد ساسى التميمى البونى

ص: ٢٩٦

من بونه المعروفة الآن بعنابه في الجزائر (١٠٦٣-١١٣٩ هـ)

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٢٣٧، معجم اعلام الجزائر ٩٧، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢٨ / ٢.

الرحلة الحجازية

أبو العباس أحمد بن محمد بن داود ابن يعزى بن يوسف الجزولى التملى الهشتوكى ت ١١٢٧ هـ.

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ١١٠٣، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢٨ / ٢.

الرحلة الحجازية

الحسين الورتلانى الزواوى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٢٣٩، ٣٥٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢٨ / ٢.

الرحلة الحجازية

حمد الجاسر

العرب. س ١٧: ع ١١-١٢ (٤، ٥ / ١٤٠٣، ٢ / ٣، ١٩٨٣ م) ص ٨٥٧-٨٦٩.

الرحلة الحجازية

رضا بن محمد الهندى النجفى (١٢٩٠-١٣٦٢ هـ)

ظ: الذريعة ١٠ / ١٦٨.

الرحلة الحجازية

السيد الجيلانى الاسحاقى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٩٧، ١٢١، ٤٢٨، ٤٢٩، ٩٣٥، ١١٥٧، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢٨ / ٢.

الرحلة الحجازية

عبدالله صوفان بن عودة بن عبدالله القدومى النابلسى الحنبلى

(١٢٣٧-١٣٣١ هـ)

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٩٤٠، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢٩ / ٢.

الرحلة الحجازية

(لم تكمل)

عبدالقادر أحمد بن أبى جيدة الكوهن الفاسى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٤٩٢، ٧٥٢، معجم ما كتب عن

ص: ٢٩٧

الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٩.

الرحلة الحجازية

عبدالمجيد الزبادي

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٣٥٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٩.

الرحلة الحجازية

فضل الله حجازي، علي رضا حجازي

ميفات حج: ع ١٦ (تابستان ١٣٧٥ ش) ص ١٦٢ - ١٩٠.

الرحلة الحجازية

محمد بن أحمد بن عبدالله الجزولي (١١١٨ - ١١٨٩ هـ)

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٣٥٢، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٩.

الرحلة الحجازية

محمد بن التهامي بن عمرو ت ١٢٤٤ هـ

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٢٨١، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٩.

الرحلة الحجازية

(لم تكمل)

محمد بن جعفر الكتاني

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٥١٧، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٩.

الرحلة الحجازية

(وصف لرحلة حج عباس ابن حلمي الثاني خديوي مصر سنة ١٣٢٧ هـ)

محمد لبيب البتونوني ت ١٣٥٧ هـ

القاهرة: ١٣٢٩ هـ، ٣٣٤ ص.

الرحلة الحجازية

محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي

بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٠ م، ٤١٦ ص.

الرحلة الحجازية الأولى

محسن الأمين العاملي ت ١٣٧١ ش.

ظ: الذريعة ١٠/ ١٦٨.

الرحلة الحجازية (الأولى)

شمس الدين محمد بن الطيب الفاسي المدني الشركي

ص: ٢٩٨

(١١١٠ - ١١٧٠ هـ)

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ١٠٧٠، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢ / ٢٩.

الرحلة الحجازية الثانية

محسن الأمين العاملى ت ١٣٧١ هـ.

ظ: الذريعة ١٠ / ١٦٨.

الرحلة الحجازية (الثانية)

شمس الدين محمد بن الطيب الفاسى الشركى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ١٠٧٠، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢ / ٢٩.

الرحلة الحجازية الثالثة

محسن الأمين العاملى ت ١٣٧١ هـ.

ظ: الذريعة ١٠ / ١٦٨.

رحلة الحرمين

(فى مناسك الحج، بالفارسية)

عبدالله بن أبى القاسم البلادى البوشهرى

مطبوع

ظ: الذريعة ١٠ / ١٦٨.

الرحلة الحسينية

(تقرير عن سفر الحج)

محمد حسين بن حمد الحللى ت حدود ١٣٥٤ هـ.

د. م. د. ن، ١٣٢٩ هـ.

الرحلة الرضوانية الدانية فى الرحلة الحجازية الثانية

مصطفى البكرى الصديقى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٢٢٣، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢ / ٣٠.

رحلة عبدالساعى الدرعى المتوفى سنة ١٢٣٩ هـ

(رحلة إلى الحج)

الرياض: دار الرفاعى، ١٤٠٢ هـ، ١٧٧ ص.

رحلة العتبات ومكة

سيف الدولة

ط: سنة ١٢٧٩ هـ.

رحلة فى بلاد العرب السعيدة

نزیه مؤيد العظم

القاهرة: مطبعة عيسى البابى، ١٩٣٧ م.

الرحلة المقدسة إلى بيت الله الحرام

ص: ٢٩٩

عبدالله عبدالمطلب بوقس

بيروت: المؤلف، ط ١، ١٤٠٣ هـ، ٢٣٩ ص، ٢٤ سم.

بيروت: المؤلف، ط ٢، ١٤٠٦ هـ، ٤٢٤ ص، ٢٤ سم.

رحلة مكة

مجهول المؤلف

ظ: آشنائي با چند نسخه خطي ١٠٥.

رحلة مكة

مجهول المؤلف

مهداة إلى ناصر الدين شاه، عام ١٢٨٨ هـ.

ظ: مجلة العرب س ٣٢: ج ١، ٢ (٧-٨ / ١٤١٧ هـ /

١١-١٢ / ١٩٩٦ م) ص ٣١.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعيدته جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتيه، ثقافته و علميته...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسايل الديتية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافته على أساس معارف القرآن و اهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلامية، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهرية، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الديتية، السياحية و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الديتية كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "پنج رمضان" ومفترق "وفائي" / "بناية" القائمية

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

